الجزء الأول المجلد التاسع والعشرون

مجلة المجمع العلمي العربي

دمشق



الأول من كانون الثاني سنة ١٩٥٤ م

السادس والعشرون من ربيع الآخر سنة ١٣٧٣ هـ

مناظرة عالمين (١)
في مجلس المأمون

أيها السادة !

أحببت أن أقدم بين يدي محاضرتي هذه الكلمة توطئةً لموضوع المحاضرة فأرجو أن تحسن في سمعكم ، وتخفَّ على طبعكم :

* * *

قامت في هذه الآونة بدمشق مناظرة بين بعض الأساتذة في موضوع أدبي تاريخي ، فكان لأحد الأستاذين رأي خالفه فيه زميله ، وكان إخوان المتناظرَين وأصدقاؤهم يتنازعون بينهم ، ويرفعون أصواتهم بالتحزّب لهذا أو لذاك . أما هما فكانا آخذين في شأنهما ، عاكفين على بحثهما ، محافظين على هدوئهما وأناتهما ، وصلة الزمالة بينهما . وقد ضرب بعض الفضلاء لهذين الاستاذين مثلاً : مطران لندرة والفيلسوف (راسل) ذلك أن المطران والفيلسوف اختلفا في أيّ الأمرين أفضل في إصلاح البشر ؟ (التديُّن) أو (الإلحاد) . فكان المطران يقول : إن التدين أضمن لسلامة المجتمع البشري وصلاحه . والفيلسوف راسل يقول العكس . وفي آخر الأمر عُقد لهما في لندرة مجلس مناظرة ، شهده طائفة من أشياعهما : فكان الأشياع والأنصار في ضجيج وصخب ، بل في أوار لهب ، ونار غضب ، من أجل العصبية للمتناظرَين ، والمتناظران في جدّة من أناتهما

---

(١) محاضرة الشيخ عبد القادر المغربي ألقاها في ردهة المجمع العلمي العربي في ٢٨ آذار سنة ١٩٢٥ .

ورزانتها وحسن تناصفهما وطيب نفسيهما ، غير عابئين بما كان يقوم ويقعد ، ويبرق ويرعد ، وراء جدار غرفتهما .

* * *

حديث المناظرة هذا ، أوحى إليّ موضوع محاضرتي هذه ، وأوقع في نفسي ذكرى المناظرات الممتعة التي كانت تقع في تاريخ العرب ، وفي مجالس خلفاء العرب ، والتي تدل على فضل علمائنا ، وسعة صدر خلفائنا ، والاستفادة من الحريتين العلمية والفكرية ، إذا أطلقتا في ما بيننا . هكذا كان شأن السلف حتى كانت أرباب المقالات المذهبية ، وزعماء الفرق والنحل في الاسلام يجلسون في جامع الكوفة ، كل منهم في جانب منه ، وكانت تبلغ حلقاتهم بضع عشرة حلقة ، ولكل منهم أنصار ومريدون يؤيدونه ، ويتبعون قوله . وهناك مخالفون له يردون عليه . ويفنّدون رأيه ، وما كان أحد منهم يجرأ على أن يقول لمناظره اسكت ولا تقل هذا ، أو لا يجوز لك أن تقول هذا أو أبلغ أمرك الى السلطان ، بل كان لهم من حرية الاسلام وحماية الخلافة ما على أساسه بنى الأوربيون حريتهم الفكرية التي كان من نتاجها مدنيتهم الحديثة .. وقد صوّر لنا فيلسوفهم فولتير هذه الحرية ، بألطف تصوير ، وأجمل تعبير مذ قال : (إنني لا أوافقك على ما تقول ، ولكنني أقاوم جهد طاقتي كلّ من أراد أن يسلبك حريتك في أن تقول) .

دعونا الآن من الأوربيين وعودوا بنا الى ما كان من حرية العلم والفكر ومجالس المناظرة في تاريخ الاسلام ، وعهد خلفاء العرب الكرام .

***

لو أقسم مُقسمٌ بأنه لم تقم في القرون الخالية أمة تضاهي الأمة العربيـة في حبّ العلم والتفنّي باسم العلم، والتفنّن في نشر العلم لما كان غاليًا ولا حاشًا .

وبديهي أن السببَ في ذلك هو القرآن الكريم : فقد اتفق علماء التفسير على ان أول كلمةٍ أنزلت من السماء على قلب النبي العربي (ﷺ) هي كلمـة (اقرأ) : التي افتُتحت بها سورة (اقرأ باسم ربك الذي خلق) وبعد أن أمره الوحي بالقراءة أرشده الى تمجيد الخالق الذي كان من أكبر نعمه على البشر أن علّمهم ما لم يكونوا يعلمون . ومهّد بين أيديهم السبُل والأسباب لتحصيل العلم . فقال : (اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علّم الانسان ما لم يعلم) .

وانما قال علَّم بالقلم لأن القلَمَ آلةُ الكتابة المعروفةُ في ذلك العهـد . فالوحيُ نبّههم الى الشكر لله على نعمة آلة الكتابة التي يعرفونها ، فلا ينافي هذا أن نشكر له تعالى على أدوات الكتابة التي هدى اليها البشر فيما بعد : كالقلم الحديدي والقلم الرصاصي وآلة الطباعة والآلة الكاتبة التي تسمى بالافرنجية (تايب ريتر) ثم آلة تصوير الكتابة التي اخترعت أخيراً وتسمى (فوتوغرافير) .

وقـد سمعتُ مرةً بعض شيوخ الدين المتعصبين للقديم يفضّل كُتُب العلم المخطوطة على الكتب المطبوعة . ويقول إن بالكتب المخطوطة وحدها الفتوحَ والبركة والفائدة : ذلك لأن الكتب المخطوطة كتبت بالقلم الذي نوّه به الوحي الإلهي مذ قال تعالى : (علّم بالقلم) ولم يقل علم بالطبع ولا بآلة (تايب ريتر) ويستدل على ذلك أيضاً بتبحر أسلافنا العرب في العلوم ووضعهم المصنفات الكبرى التي كل واحد منها يشبه أن يكون دائرة معارف مما لا يقدر على مثله اليوم إلا الجمعيات المؤلفة من عدة أشخاص . وما ذلك إلا ببركة كتب الخط المكتوبة بقلم القصب ، الكريم الأصل والنسب .

هذا ما كان يقوله ذلك الفقيه الصالح . ولا يتسع معنا الوقت لمجادلته ؛ فلنرجئها الى وقت آخر . ولنقبل على الموضوع .

الكلام على (العلم في أمتنا العربية) يشتمل على مسائل كثيرة :

(١) ما ورد من الحض على طلب العلم في القرآن والحديث الشريف .

(٢) مسائل العلوم التي امتلأ بها القرآن وفاضت بها كتب السنة .

(٣) ما رُوي عن علماء العرب في مزايا العلم والعلماء .

(٤) اشتغال علماء العرب بالعلوم ووضعهم المصنفات فيها .

(٥) جمع ملوك العرب وعظمائهم للكتب وتشييدهم دوراً خاصةً لها .

(٦) عقدهم مجالسَ المناظراتِ العامةِ بين العلماء لأجل تمحيص الحقائق العلمية .

(٧) العلومُ التي اخترعها علماء العرب أو تناولوها من الأمم القديمة عن كثب فوسعوا دائرتها ، وأصَّلوا أصولها ، وفرَّعوا مسائلها . ثم استفاد منها الافرنج في نهضتهم ومدنيتهم الحديثة .

* * *

(علم المناظرة)

ومن هذه العلوم (علم المناظرة) .

الداعي لوضع علم المناظرة هو أنه لما كانت العلوم تتزايد يوماً بعد يوم . وكانت مراتبُ أذهان المشتغلين بها متفاوتةً مختلفة . وكان لا يخلو علمٌ من تصادم الآراء ، وتباين الافكار بين أهله — لذلك كله مست الحاجة الى وضع قانون يقف وقفة الحكم بين الجانبين المتناظرين بشرط أن يُراعى فيه الوصول الى الحق . والاَّ كان مكابرة ومشاغبة .

وهذا القانون هو (علم المناظرة) وربما كان في قوله تعالى : (ووضع الميزان)

إشارةً الى هذا القانون، ولما كان مبناه على أساس تأدُّب أحد المتناظرين مع رفيقه سموه أيضاً : آداب البحث .

وقالوا في تعريفه هو :

علم بأصول يُبحث فيه عن كيفية إيراد الكلام بين المتناظرين . و (موضوعه) الأدلة من حيث أنه يثبُتُ بها المدَّعى على الغير . و (الغرضُ منه) تحصيلُ ملَكَة المناظرة لئلا يقع الخبط في البحث ويضيع الصواب .

وأشهر المصنفات العربية في هذا الفن (فن آداب المناظرة) هي :

(١) آداب شمس الدين السمرقندي، المتوفى في حدود (٦٠٠) للهجرة .

(٢) آداب عضد الدين الايجي ، المتوفى سنة (٧٥٦) .

(٣) آداب ابن كمال باشا المتوفى سنة (٩٤٠) .

(٤) آداب طاشكبرى المتوفى سنة (٩٦٢) .

وقد جرت بين علمائنا في العصور المختلفة مناظرات ذات شأن يجد المطالع نموذجاتٍ صالحة منها في كتب التراجم، ولا سيما في كتاب (معجم الأدباء) لياقوت ، وفي كتاب (الطبقات الكبرى) لتاج الدين السبكي .

أما اهتمام خلفاء العرب وأمرائهم بالمناظرات فحدث عنه ولا حرج ، وأشهرهم في ذلك بل وفي حب العلم والعلماء (المأمون العباسي) .

سأله يوماً أحد أبناء عمه من بني العباس :

— أيحسن بنا طلب العلم والأدب ؟ (يعني ونحن أبناء ملوك) فأجابه المأمون :

— والله لأنْ أموتَ طالباً للعلم خيرٌ من أن أعيش قانعاً بالجهل .

— والى متى يحسن بي طلب العلم ؟

— ماحسنت بك الحياة .

كأنه يقول : ما دُمتَ ترى الحياة حسنة يكون طلب العلم حسناً ، والحياة

حسنة مستحسنة بالطبع ، فكذلك ينبغي أن يكون طلب العلم ، ومستند المأمون في رأيه قوله (ﷺ) : «اطلب العلم من المهد الى اللحد» .

هذا أثر من آثار حب المأمون للعلم ، أما حبه للمناظرات العلمية واهتمامه بأمرها ، فالشاهد عليه ما قاله المؤرخ المسعودي . ونحن ذاكروه لكم ملخصاً :

« بعد أن قضى المأمون نهمته من العلوم القديمة ودراسة كتبها ، انصرف عنها الى علم الكلام على طريقة المعتزلة ، وجعل يجالس المتكلمين ويقرّب الجدليين والنظّارين : كالنظّام وأبي الهذيل وغيرهما ممن كان يوافقهم أو يخالفهم (أي أن المأمون ما كان يقصر عنايته على علماء مذهبه المعتزلة بل كان يفسح صدره ومجالسه لعلماء الفرق على اختلاف آرائهم ومشاربهم) . وكان يستقدم العلماء من الأمصار البعيدة . ويُجري عليهم الأرزاق . فرغب الناس في صناعة النظر والمناظرة . وتعلموا البحث والمجادلة . ووضع كل فريق منهم كتباً ينصر فيها مذهبه . ويؤيد نحلته . رافعاً بذلك صوته من دون خوف ولا إحجام . وقد خصص المأمون يوم الثلاثاء من كل أسبوع للمناظرة . ووضع لذلك ترتيباً خاصاً : فاذا حضر المتناظرون من أرباب المقالات أدخلوا حجرة مفروشة ، وقيل لهم : انزعوا نعالكم . ثم تحضر الموائد ، ويقال لهم : أصيبوا من الطعام والشراب ، وجددوا الوضوء ، ومن خفّه ضيّق فلينزعه . ومن ثقلت عليه قلنسوته فليضعها . فاذا فرغوا أتوا بالمجامر فبخروا وطيبوا . ثم يخرجون الى المأمون فيستدنيهم ، حتى يدنون منه ، ويناظرهم أحسن مناظرة وأنصفها وأبعدها من مناظرة المتجبّرين ، فلا يزالون كذلك الى أن تزول الشمس وهو وقت الظهر . ثم تنصب الموائد مرة ثانية للعشاء فيطعمون وينصرفون » .

* * *

واني أيها السادة ذاكر لحضراتكم في موقفي هذا إحدى المناظرات العجيبة التي جرت في مجلس المأمون وكان لها دويّ عظيم في ذلك الزمان ، وتأثير كبير في نفوس أهله ، بل انها خففت من غلوّ المأمون أيضاً في بعض آرائه ،

وذلك لأنها تعلقت بمسألة علمية دينية فلسفية : هي أول مسألة قامت حولها الدنادن والمجادلات بين علماء العرب في عصرهم الأول وشطرتهم شطرين : (معتزلة) و (سُنة) تلك المسألة هي :

(هل القرآن مخلوق أو غير مخلوق) ؟

وموضع الخطورة في هذه القضية : أننا اذا قلنا إن القرآن مخلوق · يقال لنا : كيف يكون مخلوقاً وهو كلام الله وكلامه قديم كذاته · وإذا قلنا إنه غير مخلوق : كيف نقول انه غير مخلوق ونحن نسمعه أصواتاً ، ونكتبه حروفاً ، ونجلده مصحفاً ، ونحمله بأيدينا من مكان الى آخر · هذا ظاهر الخلاف في هذه المسألة · وربما كان له باطن لا يمكننا التصريح به ، ولا الاشارة اليه في هذا الموطن · وانما نقول بالاختصار : إذا أردنا من القرآن كلامَ الله كان قديماً لأنه يكون إذ ذاك عبارة عن صفة من صفاته تعالى وهي قديمة · وإن أريد بالقرآن ما عدا الصفة القديمة من صوت مسموع · ومصحف مصنوع كان حادثاً ·

هذه المسألة على بساطتها ووضوحها كان لها في تاريخ الاسلام الديني أسوأ الأثر · وآل الأمر فيها الى أن يُسجن مثل الامام أحمد بن حنبل ويقيد ويعذب · وكان سواد الأمة ومعظم علمائها من الفريق القائل بأن القرآن قديم · أما الفريق القائل بأنه حادث ويسمى المعتزلة فاتفق له من بعض خلفاء بني العباس من يأخذ بقوله · ويحمل الناس عليه · ومن ثمّ كانت صولته أشدّ · وعاملُ جبروته أنفذ · وكان من هؤلاء الخلفاء الذين أيدوا القول بالحدوث الخليفة (المأمون) · فكان هذا الخليفة على ما فيه من علم صحيح ، وعقل حصيف ، يشدّد على الناس · ويكلفهم القولَ برأيه ومذهبه · فكان الناس لعهده يستترون في بيوتهم · وينقطعون عن شهود الجمعة والجماعة ويتسللون

من بلد الى بلد خشية الفتنة والارهاق . وقد مُنع الفقهاء والمحدثون من القعود للناس في المسجد الجامع الواقع في الجانب الشرقي من الرُّصافة وفي غيره من المواضع : إلاَّ (بشراً المرِّيسيّ) و (محمد بن الجهم) ومن رأى رأيهما من علماء المعتزلة القائلين بحدوث القرآن . وكل من أظهر مخالفتهم قِيد اليهم . وعُرض قوله عليهم . فان أصرَّ نُكِّل به أو نفي من الأرض . وكان كثيرون من العلماء يوافقونهم في الظاهر خوفاً على أنفسهم . وفي الباطن يبرأون الى الله مما أعلنوه .

* * *

شاع أمر هذه المحنة في بغداد . وجعل أهل الأمصار الاسلامية يتداولون خبرها . ويتعوَّذون بالله من شرِّها .

قال (عبد العزيز بن يحيى الكناني) : (وهو من جماعة (١) أهل السنة) : اتصل بي وأنا في مكة ما ابتُلي به الناس في بغداد ، وكيف استطال عليهم بشر المرِّيسي ، ولبَّس على (المأمون) وخواصَّ مملكته ، فأطال همي هذا الخبر ، وأطار نومي ، فخرجت من مكة ، متوجهاً الى ربي . وأسأله سلامتي ، حتى قدمتُ بغداد ، فشاهدتُ من غِلَظ الأمر وامتداده أضعاف ما كان يصل إليَّ .

وبعد أن وصل (عبد العزيز الكناني) الى بغداد جعل يبتهل الى الله أن يسدِّده ويثبِّت قدمه ويرشده الى طريقةٍ يتوصَّل بها الى قهر تلك الفئة الجائرة . فبدا له أن يُخفي أمره عن الناس جميعاً خشية أن يُنكَّل به قبل أن يُسمع كلامه . ثم خطر له خاطر عجيب وهو أن يقف بعد صلاة الجمعة في جامع الرُّصافة . ويرفع صوته بمخالفة المعتزلة . وتسفيه آرائهم ، وطلب محاجَّتهم . فإن اشهاره نفسه على هذه الصورة يحول دون البطش به ، وقبول مناظرته ، واستماع قوله .

---

(١) توفي سنة « ٢٤٠ هـ » .

ثم ذهب عبد العزيز ومعه ابن له صغير الى جامع الرُّصافة يوم الجمعة ولم يكد ينتهي الإمام من الصلاة حتى سمع الناس من الصفّ الأول حيالَ المنبر صوت رجل مكيِّ الزيِّ ، حجازيِّ اللهجة ، واقف على قدميه . ينادي بأعلا صوته ابنَه (وكان أقام ابنه قبالته عند الأسطوانة الأخرى) قائلاً :

الأب : ما تقول في القرآن يا بُنيَّ ؟

الابن : كلام الله منزل غيرُ مخلوق يا أبتِ .

فارتاع الناس لهذه المحاورة ، وهربوا على وجوههم خارجين من المسجد فأسرعت الشرطة فاحتملوا عبد العزيز وابنه الى رئيسهم (عمرو بن مسعدة) وهو من أشهر رجال دولة المأمون ، وقد اتفق مجيئه يومئذٍ ليصلي الجمعة في جامع الرُّصافة . (ولما وقف عبد العزيز وابنه بين يديه) سأله :

رئيس الشرطة : أمجنون أنت ؟

عبد العزيز : لا .

الرئيس : أموسوس أنت ؟

عبد العزيز : لا .

الرئيس : معتوه ؟

عبد العزيز : لا ! والحمد لله . واني لصحيح العقل ، جيد الفهم .

الرئيس : أمظلوم أنت ؟

عبد العزيز : لا .

فالتفت رئيس الشرطة الى رجاله وقال لهم : مُرُّوا بالرجل وابنه سحباً الى الدار (أي دار الشرطة) .

فاحتملها الشرطة وجعلوا يعْدُون بهما عَدْواً شديداً ، وأيديهما في أيديهم يَمْنةً ويَسْرةً . حتى صاروا بهما الى (دار الرئيس) على هذه الحالة المنكرة .

وكان رئيس الشرطة سبقهم اليها . فأدخلا عليه وهو جالس في صحن الدار على كرسيّ من حديد وشَوارِه (١) عليه . فسأله قائلاً :

الرئيس : من أين أنت ؟

عبد العزيز : من مكة .

الرئيس : ما حملك على ما صنعتَ بنفسك ؟

عبد العزيز : طلبتُ القُربة الى الله . ورجوتُ الزلفى لديه .

الرئيس : هلاّ فعلتَ ذلك سرّاً من غير نداء . ولا اظهار مخالفة لأمير المؤمنين . ولكن أردتَ الشهرة والرياء والسؤدد . لتأخذ أموال الناس بالباطل .

عبد العزيز : ما أردتُ إلا الوصول الى أمير المؤمنين والمناظرة بين يديه .

الرئيس : وهل تُقدم على المناظرة بين يدي الخليفة ؟

عبد العزيز : نعم . وهذا ما قصدته وبلغت بنفسي ما ترى . وتغريري بنفسي . وسلوكي البراري أنا وولدي . رجاء تأدية حق الله فيما استودعني من العلم والفهم في كتابه . وما أخذه عليّ وعلى العلماء من البيان (فليتأمل علماء هذا الزمان) .

الرئيس : لعلك جعلتَ هذا سبباً لغيره من المطالب بعد أن تصل الى أمير المؤمنين . إذا كنت تنوي ذلك فقد حلّ دمك .

عبد العزيز : إن نكثتُ في شيء غير هذا ، وجعلتُ هذا ذريعةً له فدمي حلال .

فوثب رئيس الشرطة عن كرسيه . وقال لأعوانه: أخرجوه بين يديّ الى الخليفة .

(١) والشَوار بفتح الشين اللباس والزينة ، فشَوار رئيس الشرطة وشوار أمراء الجند : هو اللباس الرسمي ذو الطراز والزركشة الذي يدل على مرتبتهم . أما اذا قالوا أقبل الوزير وسواده عليه فيعنون بالسواد اللباس الأسود الذي كان يلبسه القضاة والوزراء وكبار الكتّاب . فهو لباسهم الرسمي وعنهم أخذ الأتراك العثمانيون لباس السواد الرسمي .

قال عبد العزيز : فأخرجوني أنا وابني بين يديه وهو راكب على فرسه ، وجعلوا يعدُون بنا في شوارع بغداد على وجوهنا وأيدينا في أيديهم حتى وصلنا الى قصر الخلافة في الجانب الشرقي من بغداد ٠

فدخل رئيس الشرطة على المأمون ٠ وبقيت أنا وابني في الدهليز واقفَيْن على أرجلنا ، فأطال ٠ ثم خرج الى حجرةٍ له وأمر أعوانه باحضاري ٠ ثم افتتح الحديث معي قائلاً :

الرئيس : اخبرتُ أمير المؤمنين بخبرك وما فعلته في المسجد وما سألته من الجمع بينك وبين مخالفيك للمناظرة بين يديه ، وقد أمر — أطال الله بقاءه وأعلا أمره — بإجابتك الى ما سألت ٠ وأمرَ بجمع المناظرين من العلماء الى مجلسه — أعلاه الله — في يوم الاثنين الأدنى ، وقال أنه سيحضُر هو بنفسه معكم ٠ فتتناظرون بين يديه ويكون هو الحكَم بينكم ٠

عبد العزيز : أطال الله بقاء مولانا أمير المؤمنين ٠ وأيَّد دولته ٠

الرئيس : أعطِنا كفيلاً بنفسك حتى تحضُر معهم يوم الاثنين ٠ وليس بنا حاجة الى حبسك ٠

عبد العزيز : أدام الله عزَّك ! أنا رجل غريب ، ولستُ أعرف في هذا البلد أحداً ٠ ولا يعرفني من أهلها أحد ٠ فمن أين لي من يكفُل بي ٠ وعلى الأخص بعد أن أظهرت مقالتي ٠ لو كان أهل بغداد يعرفونني حقَّ المعرفة لتبرَّأوا مني ، وهربوا من قربي ، وأنكروني ٠

الرئيس : نوكِّل بك من يكون معك حتى يُحضرك في ذلك اليوم وتنصرف الآن فتصلح من شأنك ٠ وتتفكر في أمرك ٠ فلعلك ترجع عن غيك ٠ وتثوب من فعلتك ، فيصفحُ أمير المؤمنين عنك ٠

عبد العزيز : ذلك اليك أعزَّك الله فافعل ما رأيت ٠

* * *

ولما جاءت غداة يوم الاثنين . حُمِلَ عبد العزيز مكرّماً الى دار الخلافة وأدخل الى حُجرة (رئيس الشرطة) فسأله هذا : عما اذا كان لم يزل مقيماً على رأيه . ثم نصح له وحذّره . وخوّفه عاقبة مخالفته أمير المؤمنين فيما إذا ظهر عليه مناظره . وإنه ليس حينئذٍ إلا السيف . وإنه إن كان ندم ورجع عن مقالته فإنه يسأل العفو عنه من أمير المؤمنين . وضمن له جائزة وقضاء ما له من حاجة .

فأجابه عبد العزيز : بأنه ما خرج من بلده (مكة) إلا لإقامة الحق .

الرئيس : وقد وقف على رجليه : — قد حرصتُ على خلاصك أيها الرجل جَهدي . وأنت حريصٌ على سفك دمك جهدك .

عبد العزيز : معونةُ الله أعظم وألطف من أن ينساني . وعدلُ أمير المؤمنين أوسعُ من أن يضيق عني .

وكان قد صدر أمر الخليفة المأمون الى أقاربه أشياخ بني هاشم أن يركبوا الى قصر الخلافة في يوم الاثنين لأجل شهود المناظرة ، والى الفقهاء والقضاة الموافقين للمعتزلة على مذهبهم ، والى سائر المتكلمين والمناظرين أن يحضروا ، والى القوّاد والأولياء [1] أيضاً .

ففي يوم الاثنين هذا ركب المدعوون كلهم بالسلاح لإحداث الهيبة في نفس عبد العزيز وفي نفوس الذين على رأيه ، ومن يوشك أن يفسدهم بعقيدته .

قال عبد العزيز :

ثم أذن لي بالدخول الى الخليفة ، فدخلت ثم لم أزل أُنقل من دهليز الى

---

(١) المراد بالأولياء المؤالون والمبالون بالحب والاخلاص للخلافة ، وليس المراد بالاولياء ما نفهمه نحن اليوم من انهم اهل الباطن وشيوخ رجال الطريق وكبار المتصوفين والمشهورين بالكرامات .

دهليز . حتى وصلت الى (الحاجب) أي صاحب الستر الذي على صحن دار الخلافة .

قال عبد العزيز : ولما بلغتُ الحاجب سألني إن كنت أحتاج الى تجديد الوضوء ؟ فقلتُ مالي الى ذلك حاجة . فقال : اركع ركعتين . فصلى عبد العزيز أربع ركعات بدل الركعتين ودعا الله بقلب سليم . عندها قال له الحاجب : استخِرِ الله . وقم فادخل .

قال عبد العزيز : ثم أزاح الحاجب الستر ، وتقدّم اليَّ خدام القصر ، فأخذوا بيدَي وعضدي . وجعل جماعةٌ منهم أيديَهم في ظهري وعلى رقبتي ، وطفقوا يعدون بي عدواً شديداً في صحن الدار ، فنظرني الخليفة المأمون من بعيد ، فسمعت صوته يقول ، خلُّوا عنه ، خلُّوا عنه . وكثر ضجيج الحجاب وقوّاد العسكر ورفعوا أصواتهم مردّدين كلمة الخليفة : (خلوا عنه ، خلوا عنه) . فخلّوا عني . وقد كاد يتغير عقلي من شدة الفزع . ومن كثرة ما رأيت من أنواع السلاح ، الذي ملأ صحن القصر . وكنتُ قليل الخبرة بدار الخلافة . ما رأيتها قبل ذلك ولا دخلتها .

فلما أوصلني الحجّاب الى باب ديوان الخليفة وقفت . فسمعت (المأمون) يقول : أدخلوه وقرّبوه . فلما دخلت من باب الديوان ، وقعتْ عيني عليه . وقبل ذلك لم أكن انتبهتُ اليه من كثرة ما كان على الباب من القوّاد والحجّاب فقلت :

— السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

— وعليكم السلام ورحمته وبركاته . ثم قال : أُدْنُ مني . فدنوتُ منه . ثم جعل يقول : أُدْنُ مني . فدنوتُ منه . ثم جعل يقول : أُدْنُ ، أُدْنُ . ويكرر ذلك . وأنا أدنو خُطوةً خُطوة . حتى وصلتُ الى الموضع الذي

يجلس فيه المتناظرون • ويُسمع كلامهم • والحاجب معي يقدّمني • فلما انتهيت الى موضعي • قال لي المأمون : اجلس فجلست • ولم أكد أستقر حتى سمعت رجلاً من جلساء الخليفة يقول : يا أمير المؤمنين يكفيك من كلام هذا الرجل قبحُ وجهه • فوالله ما رأيتُ أقبح وجهاً منه •

قال عبد العزيز : فسمعتُ قول هذا الرجل وفهمته وما رأيت شخصه لكثرة ما أنا عليه من الجزع والرعدة • وقد لاحظ المأمون مني ذلك الخوف وما قد نزلَ بي من الهول • فجعل ينظر إليَّ من طرف عينه وأنا أنتفض وأرتعد • فأحبَّ أن يؤنّسني ويسكّن روعتي ، فطفق يكثر من الكلام مع جلسائه • ويكلم رئيس الشرطة (عمرو بن مسعدة) • • يتكلم بأشياء لا مناسبة لها في المجلس ، وهو يريد بذلك كله إيناسي ، وتسكين اضطرابي • ثم أدار نظره في الديوان وجعل يُطيل التأمل في الجدران • ، فوقعت عيناه على موضعٍ من نقش الجصّ قد انتفخ • فقال مخاطباً رئيس الشرطة (عمرو بن مسعدة) : يا عمرو ! أما ترى هذا النقش في الجصّ قد انتفخ وسيقع ؟ فبادر الى قلعه وعمله • فقال عمرو : قطع الله يد صانعه : فانه قد استحق العقوبة على عمله هذا •

ثم أقبل المأمون على عبد العزيز يسأله :

المأمون : ما الاسم ؟

عبد العزيز : عبد العزيز • •

المأمون : ابن مَنْ ؟

عبد العزيز : ابن يحيى بن مُسلم •

المأمون : وما اسم جدك ؟

عبد العزيز : ميمون الكناني •

المأمون : أوَ أنت من كنانة ؟

عبد العزيز : نعم يا أمير المؤمنين •

وسكت المأمون هنيهة لا يتكلم . ثم سأله :

المأمون : ومن أي البلاد أنت ؟

عبد العزيز : من الحجاز .

المأمون : من أيّ الحجاز ؟

عبد العزيز : من مكة .

المأمون : ومَنْ تعرف من أهل مكة ؟

عبد العزيز : يا أمير المؤمنين قلّ من بها من أهلها الا وأنا أعرفه . إلاّ رجل لجأ اليها أو من جاور بها فاني لا أعرفه .

المأمون : أتعرف فلاناً وفلاناً . وجعل يعدّد جماعةً من بني هاشم .

عبد العزيز : نعم يا أمير المؤمنين أعرفهم .

المأمون : وأنسابهم وأنسالهم (وذكر شيئاً من ذلك) .

عبد العزيز : نعم . (وأجابه عما سأل) .

قال عبد العزيز : وإنما أراد المأمون إيناسي وإزالة الوحشة عني فأنشطُ للكلام والمناظرة . وبالفعل ذهب عني ما كنت فيه من الجزع . وجاءت المعونة من الله . فقوي بها ظهري . واشتدّ قلبي . واجتمع فهمي .

ثم أقبل المأمون عليّ وقال : ياعبد العزيز ! إنه قد بلغني ما كان منك . وقيامك في المسجد الجامع . وقولك ان القرآن كلام الله غير مخلوق . بحضرة الناس وعلى رؤوس الخلائق . وما كان من مسألتك أن يُجمع بينك وبين مخالفيك لتناظرهم في مجلسي ، ثم أستمعُ منك ومنهم . وها أنا ذا قد جمعت المخالفين لك لتناظرهم بين يديّ وأكون أنا الحكم بينكم . فان تبينتْ الحجة لك عليهم وظهر الحق معك اتبعناك . وان تكن لهم الحجة عليك والحق معهم عاقبناك . وان استقلت واستعفيت أقلناك وعافيناك . ثم أقبل بوجهه على (بشر المريسي) وقال له : يابشر ! قم الى عبد العزيز فناظره وأنصفه .

فوثب بشر من موضعه كالأسد يثب الى الفريسة فرحاً . فانحط علي . ووضع ركبته وفخذه الأيسر على فخذي الأيمن فكاد أن يحطمه . وغمز علي بقوته كلها . فقلت له مهلاً : إن أمير المؤمنين لم يأمرك بقتلي ولا بظلمي . وإنما أمرك بمناظرتي وإنصافي . فصاح به المأمون وقال : تنح عنه يا بشر ، وكرر ذلك عليه . حتى باعده عني . ثم أقبل المأمون علي وقال : ياعبد العزيز ناظره على ما تريد . واحتج عليه ، ويحتج عليك ، وتسأله ويسألك ، وتناصفا في كلامكما ، وتحفظا ألفاظكما . فقلت : السمع والطاعة لأمير المومنين .

قال عبد العزيز : ولكنني لم أرد أن أشرع في المناظرة قبل أن أنتقم من ذلك الرجل الذي سمعته في المجلس يعيبني ويقول عني : إنني قبيح الوجه مشوه الخلقة . فقلت في الرد عليه مخاطباً الخليفة :

يا أمير المؤمنين ! إن يوسف الصديق الذي هو أحسن البشر وجهاً كان حسنه وبالاً عليه ، فظلم وسجن . ولما وقف ملك مصر على سعة علمه وحسن مهارته في تعبير الرؤيا صيره على خزائن الأرض . وفي آخر الأمر اعتزل الملك الأمور وصار كأنه من تحت يد يوسف .

وبديهي أن هذه المنزلة التي نالها يوسف ليست الا لعلمه وفضله ، لا لجماله وحسن وجهه ، وقال يوسف للملك : اجعلني على خزائن الأرض ، إني حفيظ عليم . ولم يقل : اجعلني عليها لأني حسن جميل . فوالله ما أبالي يا أمير المؤمنين إن كان وجهي أقبح مما هو الآن مادام أن ربي أعطاني ولله الحمد من فهم كتابه ، والعلم بتفسيره ما أعطاني .

فتعجب المأمون من قول عبد العزيز ولم يفهم الداعي اليه فسأله :

— أي شيء أردت بهذا القول . وما الذي دعاك اليه ؟

فأجابه عبد العزيز : إني سمعت واحداً من جلسائك يقول : (يا أمير المؤمنين يكفيك من كلام هذا قبح وجهه) فأي عيب يلحقني في صنعة ربي عز وجل .

فتبسم المأمون حتى وضع يده على فمه . فقلتُ : يا أمير المؤمنين ! قد رأيتك تنظر الى نقش الجص في الحائط وتنكر انتفاخ الجص ، وسمعت رئيس الشرطة يعيب الصانع ولا يعيب الجص . فقال المأمون : نعم ! العيب لا على الشيء المصنوع ، إنما العيب على صانعه . فقلتُ : صدقتَ يا أمير المؤمنين وقلت الحق . فهذا الرجل الذي عاب وجهي بعيب ربي لِمَ خلقني قبيحاً !! فازداد المأمون تبسماً حتى ظهر ذلك عليه . ثم قال : يا عبد العزيز ! ناظر صاحبك ، فقد طال المجلس بغير مناظرة .

عندها دخلا في الجدل وأخذ كلٌّ منهما يسرد النصوص استدلالاً على مذهبه . الى أن سأل بشر المعتزلي عبدَ العزيز سؤالاً وكأنه الجواب عليه ، ووافقه المأمون قائلاً : هذا يلزمك يا عبد العزيز !!

فلما سمع رفاق بشر الحاضرون في المجلس كابن الجهم وغيره كلام المأمون بالموافقة على طلب بشر جعلوا يضحكون ويقولون : ظهر أمر الله وهم كارهون . جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا . وطمعوا في أن المأمون يبطش بعبد العزيز .

واستوى بشر في جلسته وجثا على ركبتيه . وجعلوا يقولون : أقرَّ والله يا أمير المؤمنين بخلق القرآن .

أما عبد العزيز فأمسك عن الجواب ، ولم يردّ عليهم . فقال له المأمون : مالك لا تتكلم يا عبد العزيز ! فقال : ان الذي يناظرني هو بشر . وقد سألني وانتظر مني الجواب ، فضجيج هؤلاء أيشْ هو ؟ وأنا لم أنقطع ولم أعجز عن الجواب ، ولستُ أتكلم ما لم يسكتوا .

فصاح المأمون بمحمد بن الجهم ومن معه أن يسكتوا فسكتوا ، ثم أقبل عليَّ وقال : تكلم يا عبد العزيز واحتج لنفسك . فجعل عبد العزيز يتدفق في الكلام ويسرد الحجج كأنه النيل .

فصاح بشر : يا أمير المؤمنين ! لو تركته يتكلم لجاء بالترهات .

فقال عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ! قد جئتُ أنا بالحجج ورضي بشر وأصحابه بالضجيج ، وقطع المجلس ، ومحاولة التملص والخلاص ، ولا خلاص من الله حتى يُظهر الحق ويُزهق الباطل . قال عبد العزيز : فتبسم المأمون حتى غطى فمه بيده ، وأطرق ينكت الأرض باصبعه .

ثم صاح المأمون : يا بشر ! أقبل على صاحبك ، ودع هذا الضجيج .

وعادا الى المناظرة بجدٍّ ونشاط . وكان كلما ذكر بشرٌ دليلاً على مذهبه ، نقضه له (عبد العزيز) بأدلةٍ من القرآن ، حتى كأنما آياته كلها مرسومةٌ تحت عينيه .

مثال ذلك : أن (بشراً) استدلّ على خلق القرآن فقال : لا جدال أن القرآن شيء من الأشياء ، والله تعالى يقول في كتابه العزيز إنه (خالق كل شيء) فيكون القرآن من تلك الأشياء التي خلقها .

فأجابه عبد العزيز بما خلاصته :

قال تعالى : (ويحذّركم الله نفسه) ، فالله نفس . ثم قال في آية أخرى : (كلُّ نفس ذائقة الموت) ، فهل تقول يا بشر ! إن نفس الله داخلة في هذه النفوس التي تذوق الموت ؟

فصاح المأمون بأعلا صوته وكان جهوريّ الصوت : معاذ الله ! معاذ الله !

وهكذا كان عبد العزيز يدحضُ حجج خصمه بشر . ويكسر أقواله بالكتاب والسنة والقياس ، حتى قال له المأمون أخيراً أحسنتَ يا عبد العزيز .

ثم أمر له بعشرة آلاف درهم . فحُملت بين يديه . وانصرف من مجلسه على أحسن حال وأجملها .

قال عبد العزيز : ولم يشع خبر هذه المناظرة بين اخواني أهل السنة حتى

سُرّوا جميعاً بما وهبه الله لهم على يديّ من إظهار الحق ، وقمع الباطل ، وانكشف عن قلوبهم ما كان اكتنفها من الغمّ والحزن ، وجعل الناس يجيئون الى زيارتي مهنئين أفواجاً أفواجاً ، فخشيتُ على نفسي العاقبة ، فأغلقت بابي واحتجبت عنهم ، خوفاً على نفسي بل خوفاً عليهم من مكروه يلحقهم بسببي ، ثم ألحّوا عليّ قائلين : لا بدّ أن تُملي علينا ما جرى بينكما من الاحتجاج لنعرفه ونتعلمه ، فتهيبتُ ذلك ، وتخوّفت سوء عاقبته ، فلما أكثروا من الإلحاح ، قلتُ : أنا أذكر لكم بعض ما جرى مما لا يلحقني ضرر بذكره فرضوا به ، فأمليتُ عليهم أوراقاً ، أودعتها نتفاً من أخبار المناظرة ثم وزّعتها بينهم ، ليشتغلوا بها عني ، وينقطعوا عن ملازمة بابي .

* * *

هذا أيها السادة ما وسعه الوقت من أخبار هذه المناظرة التاريخية الممتعة ، على أنني لم أذكر من متعلقاتها إلا ما كان فيه دلالة على عادات ذلك العصر ومشارب أهله ، وأخلاق علمائه ، ولا سيما أخلاق (المأمون) وحلمه وإنصافه .

ولو أنني توسعتُ فذكرتُ لكم مسائل المناظرة نفسها وسردتُ المناقشات العلمية والنصوص الدينية التي كان يتداولانها ويبحثان فيها : من جهة اللغة تارةً ، ومن جهة القياس تارةً أخرى — لو سردتُ ذلك لكم ، لضاق منكم الصدر ، ولكان لكم في الانفضاض من حول محاضركم أجمل العذر .

المغربي

الاشتقاق

- ٣ -

خراش – اشتق من المخارشة مخارشة الكلاب وقتل بعضها بعضاً[1] .

عدي – سمي بالقوم يحملون في القتال . يقال : رأيت عَدِيَّ القوم . قال الشنفري :

لها وفضة فيها ثلاثون سيحفاً   اذا أنست أولى العديّ اقشعرت[2]

(١) القاموس : خرّشه يخرشُه خدشه . ولعياله كسب لهم وطلب لهم الرزق كأخرّش فيهما . والبعير اجتذبه بالمخروش وهو المحجف . وبعير مخروش وسم بسمة الخراش ككتاب وهي مستطيلة . وأبو خراش خُوَيلد بن مُرة الهُذَلي شاعر . وكلبٌ خراشٍ مضافاً كهراش . وخراش عن أنس كذاب .

اللسان : الخرش الخدش في الجسد كله . قال الليث : الخرش بالأظفار في الجسد كله . يقال : خرشه يخرشه خرشاً . وكلب خراش . وخرشه الذباب وخرشه اذا عضه ، والخرشة بالتحريك ذبابة . والخرشة الذباب . وبها سمي الرجل وخرشة وخراشة وخراش ومخارش كلها أسماء وسماك بن خرشة الأنصاري . وأبو خِراش الهذلي بكسر الخاء . وأبو خُراشة بالضم .

(٢) الأساس : مرّ عَديّ بني فلان وعديّهم وهم الذين يعدون على أرجلهم . ولم يزل بنو فلان حجيجاً غزياً : أي حجاجاً غزاة . القاموس : عدا عدواً وعدُواً وعدواناً محركة الى أن قال : وكغَنِيّ جماعة القوم كالعاديــة فيهما . أو هي للفرسان . المخصص : السيحف من النصال الطويل . وقيل : العريض وأنشد البيت ثم قال : وقد تقدم أنه الطويل من الناس . والبيت المستشهد به —

طابخة — يقال : ان ابني الياس طابخة ومدركة طلبا إبلاً لها ذهبت ، فقعد طابخة يصنع طعاماً ومضى مدركة فأدرك الابل فسميا بذلك[١] .

معبد — اشتق من العَبَد وهو الغضب . يقال : عبد الرجل اذا غضب[٢] .

غزية — اشتق من الغزو . ويقال للقوم اذا غزوا مرّ غزي القوم[٣] .

— من قصيدة أوردها الضبي في مفضلياته مستهلها :

ألا أم عمرو أجمعت واستقلت   وما ودعت جيرانهـا إذ تولت

والوفضة : الجعبة . وفي القاموس : خريطة الراعي لزاده وأداته . والجعبة من أدم جمعه جعاب . والسيحف السهم العريض النصل الطويل .

(١) القاموس : والطابخة الهاجرة . ولقب عامر بن اليأس بن مضر . وولد الياس عمراً وهو مدركة وعامراً وهو طابخة . وعميراً وهو قمعة . وأمهم خندف كزبرج وهي ليلى بنت حلوان بن عمران . وكان الياس خرج في نجعة فنفرت إبله من أرنب فخرج اليها عمرو فأدركها . وخرج عامر فتصيدها وطبخهـا . وانقمع عمير في الخباء ، وخرجت أمهم تسرع . فقال لها الياس : أين تخندفين ؟ فقالت : مازلت أخندف في إثركم فلقبوا مدركة وطابخة وقمعة وخنـدف . وحسين بن ميمون الخندفي محدث . ومحمد بن عبد الغني الخندفي له ذكر . والخندفة أن يمشي مفاجاً ويقارب قدميه كأنه يغرف بهما وهو من التبختر .

(٢) القاموس : والعبد بالتحريك الغضب ، والحرب الشديد ، والندامة ، وملامة النفس ، والحرص ، والانكار : عبد كفرح في الكل . وسموا عِباداً ، وعُباداً ، ومَعبَداً ، وعبديداً ، واعبداً ، وعَباداً ، وعابداً ، وعَبيداً .

(٣) مرّ كلام في عدي يتعلق بهذا الحرف . وفي القاموس : وسموا غازية ، وغزية كغنية اه قال الشاعر :

وما أنا الا من غزية ان غوت   غويت وان ترشد غزية أرشد

وفي الأساس : مرّ غزي بني فلان وعديهم وهم الذين يعدون على أرجلهم ولم تزل بنو فلان حجيجاً غزياً أي حجاجاً غزاة .

السايب — يقال للماء : ساب يسيب سيباً اذا جرى على وجه الأرض[١] .

جُلاح — من الجلَح . والجلح ذهاب شعر مقدم الرأس . يقال : رجل مجلوح وجليح وجلاح كما يقال : طويل وطُوال[٢] .

جلهمة : اشتق من جلهمة الوادي وهو ما استقبلك منه اذا تلقيته [وأصله من الجلَه] فالعرب تزيد الميم في أشباه ذلك . فيقال : فسحم فترى انه من الانفساح . ويقال للرجل اذا كان عظيم العجيزة ستهم ، فترى انه اشتق من الاست . ويقال للأزرق : زرقم . ويقال للناقة اذا أسنت فانكسرت أسنانها : دِلقم . ويقال للشديد الذي لا يخرج منه شيء خرز وناقة خرزم[٣] .

---

(١) المصباح : ساب الفرس ونحوه يسيب سيباً اذا ذهب على وجهه . وساب الماء جرى فهو سائب . وباسم الفاعل سمي . وسيبته بالتشديد فهو سيب . وباسم المفعول سمي . ومنه سعيد بن المسيب . وهذا الأشهر فيه ، وقيل : سعيد بن المسيب اسم فاعل .

(٢) المصباح : جلح الرجل جلحاً من باب تعب اذا ذهب الشعر من جانبي مقدم رأسه فهو أجلح . والمرأة جلحاء والجمع جلح مثل أحمر وحمراء وحمر . والجلحة مثل قصبة موضع انحسار الشعر . وأوله النزع ثم الجلح ثم الصلع ثم الجله وشاة جلحاء لا قرن لها . القاموس : وكغراب السيل الجراف . ووالد أحيحة .

(٣) القاموس : الجُلهمة بالضم حافة الوادي وناصيته ويفتح . والشدة . والخطة . والامر العظيم أو اسم . قال أبو هفان المهزي : جلهمة اسم رجل بالضم منقول من الجلهمة لطرف الوادي . قال : والمحدثون يخطئون ويقولون. الجلهمتين . قال ابن الأثير : زيدت فيه الميم كما زيدت في زرقم وستهم . وقال الأزهري : العرب زادت الميم في حروف كثيرة منها قولهم : قصمل الشيء اذا كسره وأصله قصل . وجلمط رأسه اذا حلقه . وفرصم الشعر اذا قطعه—

حوشب — وهو العظم الذي في بطن الحافر • والحوشب المنتفخ الجنبين[1] •
مضر — وأصله من اللبن وهو الحازر[2] •
ويقال : جحوش للغلام الذي قد غلظ ولم يحتلم ، قال الشاعر :

قتلنا مخلداً وابني حراق وآخر جحوشاً فوق الفطيم[3]

— وأصله فرص • واختار ابن عصفور انه علم مرتجل فيه أصلية • ورده أبو حيان : بان الارتجال لا ينافي الاشتقاق • وجلهم اسم امرأة أنشد سيبويه للأسود بن يعفر :

أودى ابن جلهم عباد بصرمته ان ابن جلهم أمسى حية الوادي

أراد المرأة ولذلك لم يصرفه • قال سيبويه : والعرب يسمون الرجل جلهمة والمرأة جلهم •

(١) القاموس : والحوشب الأرنب ، والعجل والثعلب الذكر والضامر • والمنتفخ الجنبين ضد • وموصل الوظيف في رسغ الدابة • أو عظم في بطن الحافر بين العصب والوظيف • أو عظم صغير كالسلامى بين رأس الوظيف ومستقر الحافر • أو عظم الرسغ • ورجل •

(٢) القاموس : مضر اللبن أو النبيذ مضراً ويحرك ومضوراً كنصر وفرح وكرم حمض وابيض فهو مضير وماضر • والمضيرة مريقة تطبخ باللبن المضير وربما خلط بالحليب • ومضارة اللبن بالضم ما سال منه • ومضر بن نزار كزفر أبو قبيلة وهو مضر الحمراء سمي به لولعه بشرب اللبن الماضر • أو لبياض لونه • وأما الحازر فهو الحامض من اللبن والنبيذ • ومن الوجوه العابس والباسر •

(٣) القاموس : والجحوش كجرول الصبي قبل أن يشتد وهذا التفسير عكس ما جاء من معناه في الأصل فان معنى غلظ اشتد • قال في المصباح : وغلظ الرجل اشتد فهو غليظ ، واستغلظ الزرع اشتد • والثعالبي يؤيد هذا المعنى —

بجاد — سمي بالبجاد من الوبر والبجاد ثوب ينسج من صوف أو من أوبار الابل والجمع البُجُد (١) .

علكٌ — العلك ردك الشيء . وردك الكلام على الرجل . يقال : ما زال يعكه بذلك القول حتى أغضبه (٢) .

— في ترتيب أسنان الناس والدواب في كتابه فقه اللغة فيقول : ثم إذا (غلظ الصبي) وذهبت عنه ترارة الرضاع فهو الجحوش عن الأصمعي . وأنشد للهذلي : قتلنا مخلداً (البيت) . وفي الأساس عزا البيت للمترض الظفري .

الليث : الجحاش مدافعة الانسان الشيء عن نفسه وعن غيره . وقال غيره ، هو الجحاش والجحاش . وقد سموا جحشاً ومجاحشاً وجحيشاً . وبنو جحاش بطن منهم الشماخ بن ضرار .

الجوهري : جحاش ابو حي من غطفان وهو جحاش بن ثعلبة بن ذبيان ابن بغيض بن ريث بن غطفان . قال : وهم قوم الشماخ بن ضرار . قال الشاعر :

وجاءت جحاش قضها بقضيضها وجمع عوال ما أدق وألأما

ويقول الشماخ :

أتتني سليم قضها وقضيضها تمسح حولي بالبقيع سبالها

(١) وفي مبادىء اللغة : بجاد ككتاب كساء مخطط . ومنه عبد الله ذو البجادين دليل النبي (ﷺ) وسمي به جماعة . والبجاد من بيوت العرب وهو المصنوع من الوبر .

(٢) القاموس : وعكه عليه عطفه كعكه . وفلاناً حدثه بحديث فاستعاده منه مرتين أو ثلاثاً . وماطله بحقه وبشر كرره عليه . وعن حاجته صرفه وحبسه . وبالحجة قهره بها . وبالأمر رده حتى أتعبه . وبالسوط ضربه . والكلام فسره الى أن قال : وعك بن عدثان بالثاء المثلثة ابن عبد الله بن الأزد وليس ابن عدنان أخاً معه .

يحصب — يقال : حصب الرجل يحصب حصباً اذا رمى بالحصى . وتقول اذا رمي الجمرات : قد حصب القوم وهم يحصّبون . ومنه سمي المحصب [١] .

دارم — اشتق من واحد من شيئين . يقال اذا دنا وقوع سنه وذهبت حدته التي تريد أن تقع ـ قد درم وهو قعود دارم . والدارم هو الا بكون للشيء حد ، ويقال : امرأة درماء المرافق اذا لم يكن لمرفقها حد . ويقال للأرنب اذا مشت فقاربت الخطوة : قد درمت تدرم [٢] .

---

(١) الأساس : حصبت الريح بالحصباء . وريح حاصب وحصبوه . وفي الحديث : (هل أحصبه لكم) . وحصبوا المسجد بسطوا فيه الحصباء . وأرض محصبة ذات حصى . وتقول : هذا حاصب وليس بصاحب . وهم حصب جهنم وحصبت النار طرحته فيها . وبتنا بالمحصب وهو موضع الجمار .

القاموس : ويحصب مثلثة الصاد حي والنسبة يحصبي مثلثة . وكضرب قلعة بالأندلس .

(٢) القاموس : درم الساق كفرح استوى . والكعب أو العظم واراه اللحم حتى لم يبن له حجم . والأسنان تحاتت ، والبعير ذهبت أسنانه ودنا وقوعها . ودرم القنفذ يدرم دَرْماً ودَرِماً بكسر الراء ودرماً ودرماناً محركتين ودرامة قارب الخطو في عجلة . وامرأة درماء لا تستبين كعوبها ومرافقها وكل ما غطاه الشحم واللحم وخفي حجمه . والأدرم الذي لا أسنان له . وأدرم الصبي تحركت أسنانه ليستخلف أخرى الى أن قال : ودارم بن أبي دارم صحابي وابن مالك بن حنظلة ابو حي من تميم وكان يسمى بحراً لأن أباه أتاه قوم في حمالة . فقال له : يا بحر ائتني بخريطة المال فجاءه يحملها وهو يدرم تحتها والدرماء الأرنب . وبنو الأدرم من قريش .

الندب — حي من الأزد . وأصل ذلك الشيء اذا بقي له أثر مشرف قيل : بقي له ندب [1] .

الهان — يصلح أن يكون فاعلاً من الهون هائن وخفف فصار مثل الهار والهائر [2] .

عبقر — يقال القوم اذا ذكروا بالشدة : كأنهم جن عبقر . قال أبو سعيد : سألت أبا عمرو عن قوله : فلم أر عبقرياً يفري فريه . قال : سيد قوم وقويهم . قال رجل من غطفان :

أكَلَّفُ أن تحِلَّ بنو سُلَيم جنوب الاتم — ظلم عبقري [3]

(١) القاموس : الندبة أثر الجرح الباقي (ج) ندب وأنداب وندوب . وندبه الى الأمر كنصره دعاه وحثه ووجهه . والميت بكاه وعدد محاسنه والاسم الندبة . والندب للخفيف في الحاجة الظريف النجيب جمع ندوب وندباء . وقد ندب كظرف وبالتحريك (ندب) الرشق والخطر . وقبيلة منها بشر بن جرير ومحمد بن عبد الرحمن .

(٢) من هار البناء هدمه فهار وهو هائر وهار .

(٣) الأساس : فلم أر عبقرياً يفري فريه . وقال : ظلم لعمر الله عبقري . وقال رجل من غطفان : أكلف (البيت) . تهذيب الألفاظ : والعبقري من الرجال الذي ليس فوقه شيء . ويقال : ظلم عبقري ليس فوقه شيء . قال شريح بن بجر الثعلبي :

أكلف أن تحل بنو سليم جنوب الاتم ظلم عبقري

ولو أني مليك بني سليم لسد عليهم حجر خفي

وعلى رواية التهذيب حرفا بني سليم وجنوب منصوبان .

النهاية : الأصل في العبقري فيما قيل : إن عبقر قرية يسكنها الجن فيما يزعمون . فكلما رأوا شيئاً فائقاً غريباً مما يصعب عمله ويدق . أو شيئاً عظيماً —

عروة — فعلة من عروت • يقال : عراه يعروه اذا أتاه • قال أبو خراش :

أوابل بالشد الذليق وحشني   لدى المتن مشبوح الذراعين خلجم

تذكر ذحلاً عندنا وهو فاتك   من القوم يعروه اجتراء ومأثم

خلجم طويل [1] •

الأوزاع — القطع المتفرقة • ويقال : بنو فلان أوزاع في الأرض •
ويقال : وزع ذلك الأمر بينهم اذا فرقه • قال المسيب بن علس :

أحللت بيتك بالجميع وبعضهم   متفرق ليحل بالأوزاع [2]

— في نفسه تتنبوه اليها • فقالوا : عبقري • (جنوب الاتم) جاء بدله في اللسان (بطون) • وعلى هذه الرواية (الاتم) بالمثناة لا المثلثة كما في الأساس ومن معاني الاتم القطع والاقامة بالمكان • وروى في التهذيب : (بني وجنوب) منصوباً • (التاج) عن الخليل تركته يفري فريه بالفتح والتخفيف • وكان يقول : التشديد غلط • وفي الحديث : فلم أر عبقرياً يفري فريه • روي بالوجهين •

(١) وفي الأساس (أوائل) بدل (أوابل) لوحشي بدل (حشني) و (بذا) بدل (لدى) وأوائل من وائل مواءلة ووالاً لجأ وخلص ، ووأل ووائل طلب النجاة ، والى المكان بادر • والحش والحث كلاهما بمعنى السرعة • وأما رواية الأصل أوابل فلعله من وبل الصيد أي طرده شديداً وبالعصا ضربه وكأمير الشديد والعصا الغليظة ، الشد العدو • والذليق الشديد • والمتن الضرب • ومشبوح الذراعين عريضهما •

(٢) هذا البيت من قصيدة له من مختارات الضبي في مفضلياته مستهلها :

أرحلت من سلمى بغير متاع   قبل العطاس ورعتها بوداع

والأوزاع لقب مرثد بن زيد ابي بطن من همدان منهم الامام عبد الرحمن ابن عبد الرحمن المولود في بعلبك والمدفون في بيروت •

حُجر – اشتق من قول العرب اذا شيئاً يكرهونه حجرا . قال الشاعر :

قالت وفيها حيدةٌ وذعر عوذٌ بربي منكم وحُجر [1]

يحابر – يرى انه جمع اليحبورة وهو طائر [2] .

رُعين – موضع باليمن . يقال للملك ذو رعين [3] .

---

(١) القاموس : الحجر مثلثة المنع . وبالكسر العقل . وبالضم أو ضمتين والد امرئ القيس الخ . الأساس : وفي ذلك عبرة لذي حجر وهو اللب . وهذا حجر عليك حرام . وحجر عليه القاضي حجراً . و (عوذ بالله منك وحجر) . وأعوذ بك من الشيطان . المخصص . ابن السكيت : عوذ بالله منك ، أي أعوذ بالله منك وأنشد البيت — تقول العرب عند الأمر تنكره (حجراً له) أي دفعاً وهو استعاذة من الأمر . والعوذ ما يلذ به من كل شيء .

(٢) القاموس : اليحبور طائر أو ذكر الحبارى . واليحابر جمعه .

التهذيب : وقال خداش بن زهير :

وان كلاباً لا كلاب لأهلها وقد جعلت كعب تكون يحابرا

التاج : ويحابر كيقاتل مضارع قاتل . ابن مالك بن ادد ، أو مراد القبيلة المشهورة . ثم سميت القبيلة يحابر قال الشاعر :

وقد أمنني بعد ذاك يحابر بما كنت أغشى المنديات يحابرا ....

(٣) الأساس : بدا رعين الجبل ورعانه وهو أنف شاخص منه وبتصغيره سمي الحصن الذي قيل للملك : ذو رعين . القاموس : والرعن أنف يتقدم الجبل جمعه رعون ورعان . والجبل الطويل ذو رعين كزبير ملك حمير . ورعين حصن له أو جبل فيه حصن ومخلاف آخر باليمن .

مرثد — نرى انه اشتق من الرثد . والرثد وضع المتاع بعضه على بعض . ويقال تركت فلاناً مرثداً يريد ناضداً متاعه ما تحمل بعدُ [١] .

بُريد — اشتق من البرد . ويصلح أن يكون تصغير أبرد كما تقول : أزرق وزريق . ومن البرد . وأبرد وبُريد أخوان من بني رياح أحدهما الشاعر .

جشيش — يكون من الجش ومن الجُش وهو مكان مرتفع فيه غلظ نحو الجحفة . وقال جريم بن سياب النابغة الذبياني :

اضطرك الحرز من ليلى الى برد تختاره معقلاً من جش أعيار [٢]

وداعة — اشتق من الثوب يودَّعُ به [٣] .

(١) الأساس : رثدت المتاع نضدته ومتاع رثيد ورثد . القاموس : رثد المتاع نضده كارتثده فهو رثيد ومرثود ورثد محركة . والرثد بالكسر الجماعة . وكسكن الرجل الكريم والأسد . واسم . وملك لليمن . وتركتهم مرتثدين ما تحملوا بعد أي ناضدين متاعهم .

(٢) القاموس : جشه دقه كأجشه . وبالعصا ضربه . والمكان كنسه . والبئر نقاها . والباكي دمعه أمراه والجشيش السويق . وحنطة تطحن جليلاً فتجعل في قدر ويلقى فيها لحم أو تمر فيطبخ . وكأمير اسم وزبير ابن الديلمي ممن أعان على قتل الأسود العنسي وابن مالك في تميم . وابن مر في مذحج وابن عوف في كنانة . والجشُ الموضع الخشن الحجارة وجش أعيار موضع أو ماء ملح باكناف شربة .

(٣) الأساس : ودع الثوب توديعاً وتودعه صانه في الميدع وهو الصوان ويسمى بوداعة مخلاف ورجال . اللسان : ووادعة قبيلة اما أن تكون من همدان واما أن تكون همدان منها . القاموس : والميدع والميدعة والميداعة بالكسر الثوب المبتذل جمع موادع ووداعة مخلاف باليمن . وابن جذام او حرام وابن أبي زيد ووداعة بن ابي وداعة السهمي صحابيون .

قحافة — اشتق من القحف • والقحف أخذك كل ما بقي من الصحفة • يقال : اقتحف كل شيء في الاناء [١] •

شجنة — شعبة من الشيء [٢] •

رؤاس — اشتق من الرأس • يقال : رجل رُؤاس وكُباس عظيم الرأس أيضاً [٣] •

رزام — يصلح أن يكون من شيئين من رزم يرزم بالأرض فلا يقوم • ومن ارزام الناقة • ويصلح في جمع الشيئين كما في لقمة من خبز ولحم أو تمر وأقط • أو سمن وتمر • ويقالُ : تركتُ فلاناً يرتزم بين طعام كذا وكذا وهو أن يجمع بينهما في لقمة • قال الراعي :

---

(١) القاموس : القحف بالكسر العظم فوق الدماغ وما انفلق من الجمجمة فبان • ولا يدعى قحفاً حتى يبين أو ينكسر منه شيء جمع أقحاف وقحوف وقحيفة • والقدح أو الفِلقة من القصعة اذا انثلمت • وإناء من خشب نحو قحف الرأس كأنه نصف قدح • وبنو قحافة بطن من خثعم • وأبو قحافة عثمان بن عامر صحابي وابن الصديق رضي الله عنهما •

(٢) القاموس : الشجن محركة الهم والحزن والغصن المشتبك • والشعبة من كل شيء كالشجنة مثلثة والمتداخلة الخلق من النوق • والحاجة حيث كانت جمع شجون • وشجنة بن عطارد بن عوف بن كعب بن زيد مناة • والحديث ذو شجون فنون وأغراض •

(٣) القاموس : وبنو رؤاس حي • منهم أبو دُؤاد ، ووكيع ، وحميد بن عبد الرحمن بن حميد الرؤاسيون • والرؤاسي العظيم الرأس • وفيه في مادة (كبس) وكغراب العظيم الرأس ومن يكبس رأسه في ثيابه وينام • ولبن جعفر ابن ثعلبة ، وعلي بن قسم بن كُباس محدث •

كلي الحمض بعد المقحمين ورازمي الى قابل ثم اعذري بعد قابل

يقول : كلي الحمض واخلطيه بشيء آخر من الشجر [١] .

حريش — يصلح أن يكون من الخشنة . يقال : أفعى حرشاء اذا كانت خشنة المس . ودرهم أحرش اذا كان لم تلينه الأيدي . ويصلح أن يكون من البعير يضرب فيبقى به أثر الضرب . فيقال : به حراش . وبعير محروش وحريش مثل قتيل ومقتول . ويصلح أن يكون من حرش الضب . يقال : ضب محروش وحريش [٢] .

(١) المخصص : المرازمة كالمعاقبة . وكل خلط بين شيئين في مأكل مرازمة — الأساس : عنده رزمة من الثياب وهي ما شد منها في ثوب واحد . وجاءوا بالسياط رزماً وبالعصي حزماً . وهي من رزمت الشيء اذا جمعته . وفلان يرازم بين المطاعم يخلط بينها فيأكل خبزاً مع لحم ، وأقط مع تمر . وقيل : هو ان يناوب بينها فيتناول مرة لحماً ، ومرة لبناً . ومرة حاراً . ومارة بارداً . والابل ترازم بين الحمض والخلة (الحمض ما ملح وأمر من النبات والخلة ما حلا) ، تناوب بينهما . وبعد ايراده بيت الراعي عقبه بقوله : أي بعد الذين أقحمتهم السنة الى الأمصار . القاموس : والمرازمة في الطعام المعاقبة بأن يأكل يوماً لحماً ويوماً عسلاً . ويوماً لبناً ونحوه لا يداوم على شيء . وأن يخلط الأكل بالشكر . واللقم بالحمد . أو أكل اللين واليابس . والحلو والحامض . والجشب والمأدوم . وبكل فسر قول عمر (رضي الله عنه) : اذا أكلتم فرازموا . ورزام ككتاب الرجل الشديد والضعب . وابن مالك بن حنظلة ابو حي من تميم .

(٢) الأساس : حرشت بين القوم . وفلان من عادية التحريش . والضب أحرش أي خشن الجلد . ودينار أحرش فيه خشونة الجدة كقولهم : درع قضاء . وأعطاني فلان دنانير حرشا . ونقبة حرشاء لم تطل بالهناء . القاموس : بعد —

حاشد — يقال للرجل اذا كان يبذل ما عنده من مال : لقد حشد [1] .

غاضرة — يصلح أن يكون من الغضارة غضارة العيش والبهجة . ومن العطف أيضاً غضر يغضر اذا هو عطف قال ابن احمر :

تواعدن ان لا وعي عن «فرج راكس» فرحن ولم يغضرن عن ذاك مغضرا

أي ما عطفن ولا نصرن . ويقال : حفر بئره في غضراء منكرة اذا أنبط في طينة حرّة تضرب الى الخضرة . وأباد الله غضراءه وخضراءه أي أباد الله خصبه وخيره [2] .

— ذكر المادة ومتفرعاتها . والحريش دُوَيبة قدر الاصبع بأرجل كثيرة . أو هي دخّال الاذن . وابن هلال القريعي الشاعر . وابن كعب في قيس . وابن جذيمة في الأزد . وابن عبد الله في كلب الى غيرهم ممن سموا بهذا الحرف .

(١) القاموس : حشد يحشِد ويحشُد جمع . والزرع نبت كله . والقوم خفّوا في التعاون او دُعوا فأجابوا مسرعين واجتمعوا لأمر واحد كاحشدوا واحتشدوا وتحاشدوا . والناقة حفلت اللبن في ضرعها . والحشد ويحرك الجماعة . وككتف من لا يدع عند نفسه شيئاً من الجهد والنصرة .

الأساس : حشد القوم واحتشدوا : اجتمعوا وخفوا في التعاون . واحتشدوا وتحشدوا وتحاشدوا على الأمر اجتمعوا عليه متعاونين . وعنده حشد من الناس . ورجل محشود محفود مجتمع عليه مخدوم . واحتشدت لفلان في كذا أعددت له . واحتشد لنا في الضيافة اذا اجتهد وبذل وسعه . واحتشد للضيافة واحتفل لها . وفلان حافل حاشد مجتهد في خدمته وضيافته وسعيه . قال :

والحاشدون على قِرى الأضياف

هذا . وسُمّي حيٌّ بحاشد .

(١) الأساس : بنو فلان مغضورون ومغاضير اذا كانوا في غضارة عيش وهو طيبه ونضرته وقد غضرهم الله . وانبط بئره في غضراء أي في طينة طيبة حرة . —

حرثان — اشتق من حرث الزرع . أو من حرث الدابة وهو أن تركب حتى يذهب لحمها وتجهد[1] . .

هوازن — جمع هوزن . وهوزن حي من اليمن ويقال لهم : هوزن . وأبو عامر الهوزني منهم[2] .

(يتبع) سليمان ظاهر

— وأباد الله غضراءهم وخضراءهم أي طينهم وشجرتهم التي منها تفرعوا اه . وفي تهذيب الألفاظ (لا بد) بدل لا وعي وكلاهما صحيح لأن معنى لا وعي لا بد . وابن أحمر هو عمرو بن أحمر الباهلي من شعراء الحماسة وكان من شعراء الجاهلية وأدرك الاسلام فأسلم وغزا مغازي الروم وأصيب باحدى عينيه ثم نزل الشام وتوفي في زمن عثمان . وعده الجمحي في طبقاته من الطبقة الثالثة من الشعراء الاسلاميين : وفرج راكس موضع معروف

القاموس : وغاضرة قبيلة من أسد . وحي من صعصعة . وتسمى أرض طف كربلاء حيث قتل الحسين بن علي عليه السلام الغاضرية ولعلها سميت بذلك لنزول حي غاضرة فيها .

(١) المختار : الحرث كسب المال وجمعه احراث[1] وبابه نصر . وفي الحديث (احرث لدنياك كأنك تعيش أبداً) قلت : تمام الحديث (واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا) كذا نقله الفارابي في الديوان . والحرث أيضاً الزرع اه . ويقال : احرث القرآن أي ادرسه . قال الأزهري : والحرث تفتيش الكتاب وتدبره — القاموس : وحرثان بالضم اسم . وأورد أسماء طائفة كبيرة ممن اسموا بمشتقات هذا الحرف .

(٢) القاموس : الهوزن كجوهر الغبار . وطائر . وأبو بطن . وهوازن قبيلة .

(١) المجمع : قول المختار (وجمعه أحراث) كلمة أحراث هنا زائدة، أما قوله (وجمعه) فهو معطوف على كسب عطف تفسير .

كتاب الفنون لابن عقيل

أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن أحمد البغدادي الظفري الواعظ الفقيه الأصولي المقرئ الحنبلي كان من أعلام الاسلام ونوابغه في القرن الخامس للهجرة ، وقد أدرك القرن السادس . ولد ببغداد سنة « ٤٣١ » ونشأ فيها نشأة المتعلمين ، المتسمين بخدمة الدين ، وقد ذكر هو شيوخه ، كما جاء في ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب « ج ١ ص ١٧١ — ٢ » وفيهم كثرة ، تشعر بشيء من الافتخار نزا في نفسه عند ذكره لهم ، وهو افتخار شريف الا أنه يُربِكُ الباحث عن ذوي الآثار الحسنة في ثقافته الدينية وثقافته الأدبية من شيوخه . هذا الى أن ابن رجب ذكرهم بكناهم وأن اللذين قاما على نشر ذيل الطبقات «المستشرق الفاضل هنري لاووست الفرنسي الباذل مجهوده في نشر الثقافة الحنبلية » ، و « الدكتور الأديب سامي الدهان » لم يستطيعا أن يردا الكنى الى أسمائها ، ولكنهما خرجا من عهدة النشر العلمي بأن وضعا فهرستين أحدهما « للآباء » والآخر « للأبناء » فضلاً عن فهرست الأسماء وفهرست الأنساب ، فان لم يرض قارئ الكتاب بذلك فليرضخ رأسه به ، فلا يكلف الله نفساً الا وسعها ، ولقد وقفت همانها في ذلك عند الاحالة على اختلاف النقول والمنقول ؛ ولقد جاء في سيرته « ص ١٧٢ » ان شيخه في علم الأصول « أبو الوليد » وهو في فهرست الكنى « ابو الوليد » أيضاً . وأصبح شيخه هذا في ص ١٧٤ ، ص ١٩٠ » « ابن الوليد » وهو في فهرست الأبناء « ابن الوليد » أيضاً . ونقدنا لنشر هذا الكتاب ، سيظهر في مجلة المجمع العلمي العراقي بشكر كثير ومؤاخذات كثيرة .

والحقيقة أن الشيخ الذي درس ابن عقيل عليه علم الكلام هو ابن الوليد أبو علي محمد بن احمد الكرخي المعتزلي المتفلسف المتوفى سنة «٤٧٨» المدفون في الشونيزية «مقبرة الشيخ جنيد» بالجانب الغربي من بغداد [1] .

وكانت وفاة العلامة ابن عقيل في جمادى الآخرة سنة «٥١٣» ودفن في دكة الامام احمد بن حنبل في الشمال الغربي من العاظمية . وترجمته مشهورة معروفة في أكثر كتب التاريخ التي ألفت بعد وفاته كالمنتظم لأبي الفرج بن الجوزي ومرآة الزمان لسبطه ، وتاريخ الاسلام للذهبي ، وطبقات القراء له أيضاً ، وغاية النهاية لشمس الدين الجزري ، وشذرات الذهب فضلاً عن ذيل الطبقات لابن رجب ، قال الذهبي : «تفقه على أبي يعلى محمد بن الحسين بن الفراء وأخذ علم الكلام عن أبي علي بن الوليد وأبي القاسم ابن التبان ومن ثم حصلت فيه شائبة تجهم واعتزال وانحراف عن السنة (كذا) وكان إماماً مبرزاً متبحراً في العلوم ، يتوقد ذكاءاً . وكان أنظر أهل زمانه . قال أبو طاهر السلفي : ما رأت عيناي مثله ، ما كان أحد يقدر أن يتكلم معه لغزارة علمه وبلاغته وحسن ايراده وقوة حجته . وقد سقت جملة من أخباره في تاريخي الكبير [2] » .

---

(١) ابن الجوزي في المنتظم « ج ٨ ص ٢٣٥ ، ٢٤٨ » و « ج ٩ ص ٢٠ » وابن الأثير في « الكامل حوادث سنة ٤٧٨ » والقفطي في « المحمدون من الشعراء » « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٣٣٣٥ الورقة ١٠ » والشمس الذهبي في تاريخ تاريخ الاسلام « نسخة المتحف البريطانية (٥٠١٥٠) الورقة ١٦٤ » وذكر القفطي في ترجمة يحيى بن عيسى بن جزلة الحكيم الطبيب من تاريخ الحكماء وابن خلكان في ترجمته أيضاً من الوفيات ، وابن العبري فيها من مختصر الدول أن يحيى ابن جزلة كان نصرانياً فلازم ابن الوليد المذكور لقراءة المنطق عليه ، فحسن له الاسلام ودعاه اليه وذكر له الدلائل الواضحة حتى استجاب له وأسلم وصنف رسالة في الرد على أهل دينه الأول . ووقف كتبه قبل موته على تربة الامام ابي حنيفة النعمان ومدرسته .

(٢) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٨٤ الورقة ١٣٩ » .

وقد ألف ابن عقيل كتباً جليلةً منها كتاب «الفنون» وكتاب «كفاية المفتي» في المذهب الحنبلي، قال سبط ابن الجوزي : «وكتاب الفنون وهو مائتا مجلدة ، جمعه طول عمره واختصر منه جدي [ابوالفرج] عشر مجلدات ، فرّقها في تصانيفه ، وقد طالعت منه في بغداد في وقف المأمونية[1] نحواً من سبعين ، وفيه حكايات ومناظرات وغرائب وعجائب وأشعار»[2] . ولم يصرّح ابن الجوزي بالاختصار الذي أشار اليه سبطه بل قال : «وجعل كتابه المسمى بالفنون مناظر لخواطره وواقعاته ، ومن تأمل واقعاته فيه عرف غور الرجل[3]» . وقال الذهبي في الكتاب الذي أشرنا اليه ونقلنا منه «صاحب كتاب الفنون الذي بلغ أربعمائة وسبعين مجلداً» .

وقال ابن رجب : «ولابن عقيل تصانيف كثيرة في أنواع العلوم وأكبر تصانيفه كتاب الفنون وهو كتاب كبير جداً ، فيه فوائد كثيرة جليلة في الوعظ والتفسير والفقه والأصلين والنحو واللغة والشعر والتاريخ والحكايات ، وفيه مناظراته ومجالسه التي وقعت له ، وخواطرُه ونتائج فكره قيّدها فيه ، قال ابن الجوزي : وهذا الكتاب مائتا مجلدة ، وقع لي منه نحو من مائة وخمسين مجلدة ، وقال عبد الرزاق الرسعني في تفسيره : قال لي أبو البقاء اللغوي [العكبري] سمعت الشيخ أبا حكيم النهرواني يقول : وقفتُ على السفر الرابع بعد الثلاثمائة من كتاب الفنون . وقال الحافظ الذهبي في تاريخه : لم يصنف في الدنيا أكبر من هذا الكتاب ، حدثني من رأى المجلد الفلاني بعد الأربعمائة ، قلت : وأخبرني

(١) المأمونية هي محلة عقد القشل والميتاوبين وصبابيغ الآل الحالية في شرقي بغداد ، ووقفها هو خزانة الكتب التي انشأتها السيدة زمرد خاتون الشامية زوج الخليفة المستضيء بأمر الله وأم الخليفة الناصر لدين الله في رباطها « تكيتها » بالمحلة المذكورة ، وقد زال الرباط وزالت الخزانة من الوجود .

(٢) مرآة الزمان « ج ٨ ص ٨٤ » من طبعة حيدر أباد الدكن .

(٣) المنتظم « ج ٩ ص ٢١٤ » .

عمر[1] بن علي القزويني ببغداد قال : سمعت بعض مشايخنا يقول هو ثمانمائة مجلدة[2]» .

هذا خبر كتاب « الفنون » الذي ومنا مقالتنا باسمه ، وهذا وصفه ، ولكن خزائن الكتب التي اطلعنا على أثباتها ليست فيها أجزاء من هذا الكتاب ، في ظاهر تسجيلها ، فهل ضاع مع جملة من الكتب الاسلامية العظيمة ؟

إن حاجي خليفة لم يذكر هذا الكتاب في « كشف الظنون » وهو لكبره وكثرة مجلداته كان صعبًا اقتناؤه وانتساخه ، والصعوبة من حيث العمل والنفقة ، على أن العلماء ومن كبارهم أبو الفرج بن الجوزي اختاروا منه واختصروا وانتخبوا واستفادوا . وكثيراً ما رأيناهم ينقلون في كتبهم من ذلك الكتاب[3] أو يقولون « قال ابن عقيل » في الأمور العجيبة ، ولكن أين هذه النقول من « سبعين وأربعمائة مجلدة » ؟

نحن لا نظنّ أن الكتاب قد استهلكه النقل أو زال من الوجود بدلالة أننا عثرنا على جزء منه ، في دار الكتب الوطنية بباريس ولعل جزءاً آخر في خزانة أحمد باشا تيمور بدار الكتب المصرية ، وان لم يوسما بأنهما من أجزاء كتاب الفنون ومجلداته . فأما جزء دار الكتب الوطنية بباريس فقد فهرسه مؤلف فهرستها في الرقم « ٧٨٧ » من العربيات بالاسم الذي زوّره عليه أحد المزوّرين وهو « كشف الغمة في المسائل المختلفة في الأربع مذاهب (كذا) للامام المحقق الشعراني » . وفي الحق أن الكتاب لا يقتصر على المسائل المختلفة في المذاهب الأربعة فتصح عليه هذه التزويرة الكبيرة ، بل يحتوي على ما ليس له صلة

(١) هو الشيخ سراج الدين الفقيه الشافعي المدفون في جامع محلة سراج الدين بشرقي بغداد « م : ٧٥ » .

(٢) ذيل طبقات الحنابلة « ج ١ ص ١٨٨ » .

(٣) كما فعل ابن النجار في تاريخه في ترجمة عبد الملك الجوبني قال « قرأت في كتاب الفنون لأبي الوفاء علي بن عقيل » وفي ترجمة ابن المؤلف « عقيل بن علي بن عقيل » ونقل عنه غير ذلك .

بالدين أصلاً ، كما سنذكره منه وما سنشير اليه بذكر اسمه أو وسمه ، ثم إن الشعراني وهو عبد الوهاب بن أحمد المتصوف المشهور ، توفي سنة « ٩٧٣ هـ » ، وهذا الكتاب قد جاء في آخره ، في الورقة «٢٦٧» ما نصه : « والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله وسلم . وقع الفراغ منه ضحوة نهار يوم الخميس ثامن عشر شوال سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ، كاتبه العفيف بن المبارك ابن الحسين بن محمود [1] رحمه الله من دعا له بالعفو ولوالديه بالمغفرة وهو حسبي ونعم الوكيل » ، فكيف تصحُّ نسبة كتاب منسوخ سنة « ٥٣٤ هـ » الى عالم توفي سنة « ٩٧٣ » ؟ هذا هو الذي حدانا على تفحصه وتقصي أمره والبحث عن مؤلفه ، فألفينا أنه مجلدة من مجلدات كتاب « الفنون » لأبي الوفاء بن عقيل المذكور بعد التأمل الرشيد والتفكير المديد .

وقد استدللنا على ذلك بعدة أمور :

« أولها » : أن أخبار الكتاب وحوادثه جرت في عصر ابن عقيل .

و « الثاني » : أن مضامين الكتاب من الأنواع التي أشاروا اليها في وصف كتاب الفنون بالتحقيق والتأكيد من موعظة ومناظرة واستفتاء وخبر طريف وشعر حسن .

و « الثالث » : أن الرجال المذكورين فيه كان لابن عقيل اتصال بهم لا شك فيه ، ولا سيما اتصال الدراسة واتصال الاستمانة ، كما جاء في الورقة (١٨) « أخبرنا شيخنا القاضي الامام ابو يعلى محمد بن الحسين ابن عقيل في الفقه الحنبلي ، كما ألمعنا اليه ، كما أنه شيخ غيره فيه .

(١) هنا كانت كلمة نسبه وقد محاها المزوّر أو غيره زيادة في التعمية : وهو أبو محمد عفيف بن المبارك بن الحسين بن محمود الخياط الوراق من أهل باب الأزج ببغداد « محلة باب الشيخ ورأس الساقية » . كان صهر الشيخ الزاهد عبد القادر الجيلي الحنبلي ، وكان يورّق للناس تورّيقاً قليل الضبط بخطه الحسن وسمع الحديث ، توفي سنة « ٥٧٠ » كما في تاريخ ابن النجار (في باب العين) .

و « الرابع » : أن مؤلفه حنبلي ولا يذكر اسمه في المناظرة وانما يقول : « قال الحنبلي » تواضعاً وتأدباً .

و « الخامس » : أن مؤلف الكتاب من المحلة الظفرية[1] ببغداد ، بدلالة ذكره لها كما في الورقة « ٣٢ » ونصه : « وجرى بمجلسنا بالظفرية مسألة آلة اللهو هل يجب ضمان احراقها ؟ » وفيها الورقة « ١٢٠ » قال : « جرى بمجلس الظفرية مسألة المسلم والأقارب قبل قسمة الميراث » . وهذا لا ينفي أنه سكن أو وعظ في غيرها .

و « السادس » : أن المولف نقل من كلام المعتزلة ، وخصوصاً من كلام شيخه ابن التبان المقدم ذكره وان لم يشر الى تلمذته عليه ، فقال في الورقة (٨٢) : استدل بعض أصحاب الحديث ... فأجابه شيخ معتزلي مقدم عليهم بالجانب الغربي يعرف بابن التبان في الكرخ بمجلس عقده ببعض دورها[2] » .

و « السابع » : أنه صرح بمونة أبي منصور عبد الملك بن يوسف الحنبلي السري له ، كما في الورقة « ٢٣٥ » من الكتاب ، وهذا السري من الذين يذكرون في ترجمة ابن عقيل من كتب التاريخ ، كما في المنتظم لابن الجوزي قال : « وأقبل علي أبو منصور بن يوسف فحظيت منه بأكثر من حظوة وقدمني في الفتاوى مع حضور من هو أسن مني وأجلسني ...[3] » .

و « الثامن » : هو أن كنيته « أبا الوفاء » وردت في هامش الورقة (٨٨) من نسخة باريس القيمة النسخ .

---

(١) المحلة الظفرية من محال بغداد الشرقية أيام بني العباس ، وكان حدها من جادة سور الظفر التي دفن حيالها الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي الصوفي الكبير القائم قبره الى اليوم ، فهي بين محلة الفضل وخان اللاوند من الشمال وعزات طويلات والجوبة من الجنوب ، وقد خرب كثير منها .

(٢) وسنذكر ما نقله عن معتزلي في باب الحسن والقبيح من حيث الشرع والعقل .

(٣) المنتظم « ج ٩ ص ٢١٣ » ونقله ابن رجب في ذيل الطبقات « ج ١ ص ١٧٣ » .

والجزء الآخر محفوظ في الخزانة التيمورية كما ذكرنا آنفاً، وقد كتب عليه «كتاب الجدل في الأصول للعلامة علي بن عقيل البغدادي الحنبلي» وهو مخطوط سنة «٥٦٤»[1] . وما هو عندي إلا مجلدة من كتاب الفنون كما أشرت اليه آنفاً .

[مقتبسات من كتاب الفنون]

قال أبو الوفاء علي بن عقيل في تقديم المجلدة المحفوظة في دار الكتب الوطنية بباريس برقم «٧٨٧» من العربيات :

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله حق حمده ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلم ، أما بعد فان خير ما قطع به الوقت ، وشغلت به النفس ، فتقرُب به الى الرب — جلت عظمته — طلب علم أخرج من ظلمة الجهل الى أنوار الشرع ، وأطلع به على عاقبة محمودة يعمل لها ، وغائلة مذمومة يتجنب ما يوصل اليها وليس ذلك إلا العلم الذي يُصلح الاعتقاد ويخلصه من الأهواء ويصلح الأعمال ويصفّيها من الأدواء وهما علمان :

علم الأصول ومبناه على التأمل والاعتبار ، وعلم الفقه ومبناه استخراج معاني الألفاظ الشرعية وأخذ الأحكام من المنطوق به للمسكوت عنه ، وذلك الذي شغلت به نفسي ، وقطعت به وقتي ، فما أزال أعلق ما أستفيده من ألفاظ العلماء ، ومن بطون الصحائف ومن صيد الخواطر التي تنثرها[2] ، المناظرات والمقابسات

(١) ذكرى احمد تيمور باشا « ص ٢٣ » وقد ذكر في فهرست الجامعة العربية للمخطوطات العربية المصورة « ص ٢٥ » جزء في الأصول صنفه الشيخ أبو الوفا علي ابن عقيل المذكور ، وهو مصور على نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق محفوظة مع كتب الحديث ، مع انه مذكور في الفهرست مع التفسير وعلوم القرآن . وقال المفهرس « وهوى القرآن » فتأمل ذلك ..

(٢) غير منقوطة في الأصل ولا تزال تحتاج الى تحقيق او هي «تنثرها» من النثر.

في مجالس العلماء ومجامع الفضلاء طمعاً في أن يعلق بي طرف من الفضل أبعد به عن الجهل ، لعلي أصل الى بعض ما وصل الرجال قبلي (كذا) ولو لم يكن من فائدته عاجلاً إلا تنظيف الوقت عن الاشتغال برعونات الطباع التي تقطع بها أوقات الرعاع ، وعلى الله قصد السبيل وهو حسبي ونعم الوكيل » . فتأمل هذا التواضع النبيل والتعليل الجميل للاشتغال بما كان هو في سبيله .

شذرة وعطرة « و ١ »

ما أشدّ شؤم المعاصي ؟ بينا يسمع قول الله للملائكة : اسجدوا لآدم حتى سمع النداء : اهبطوا منها جميعاً ، بينا يرفل في حلل السندس والاستبرق حتى طفق يخصف على عورته من الورق . إذا أردت أن تتلمح القدر السابق فانظر الى قوله السابق : « إني جاعل في الأرض خليفة . خليفة في الأرض ما يصنع في الجنة ؟ ساقته الكلمة السابقة والعلم السابق الى المستقر « ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين » .

التزويج بأقل من المهر « و ٧ »

جرى بمجلس نور الهدى [1] ذي الشرفين الزينبي مسألة « الأب » اذا زوّج

(١) هو ابو طالب الحسين بن محمد بن عبد الوهاب العباسي الزينبي ، نسبة الى جدته الكبرى زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس من فضليات العباسيات وراويات الحديث النبوي وهذا معنى تلقيبه بذي الشرفين ، تفقه ابو طالب الزينبي على قاضي قضاة الدولة العباسية أبي عبد الله محمد الدامغاني الحنفية ، جدّ الأسرة الدامغانية ببغداد ، وعلى ابي بكر الرازي ، صاحب القدوري ، وبرع في الفقه الحنفي ، ودرّس في مدرسة الامام ابي حنيفة خمسين سنة ، وولي نقابة النقباء للعباسيين والطالبيين ثم استعفى منها ، ولقب بنور الهدى ، نظام الحضرتين العباسية والسلجوقية ، وكان زاهداً عابداً ما حل ديناراً ولا ادّخره ، توفي سنة « ٥١٢ » عن « ٩٢ » سنة ودفن عند الامام ابي حنيفة . « المنتظم ج ١ ص ٢٠١ » و « الجواهر المضية في طبقات الحنفية ج ١ ص ٢١٩ » وقد تصحف لقبه في الجواهر المضية الى « نظام الحضر » وانما هو « نظام الحضرتين » .

ابنتيه بدون مهر مثلها ، فاستدلّ فيها حنبلي بأن النكاح ليس المال فيه أصلياً في القصد بل تابع ، والأصل إنما هو طلب الكفاءة ، والحظ الأكبر ذلك . والأب هو الغاية في الاشفاق ، فلا تذهب نحوه تهمة ، فاذا نقصها من الصداق عُلِم أنه دفع ذلك وسدّ الخلل فيه بزيادة في الجمال والكمال الذي تدوم به العشرة وتصفو به الألفة ، من أخلاق تنضمّ الى كرم الأصل وشرف النسب فلا يُغيرها ولا يؤذيها ولا ينقصها حقاً من حقوقها ...

شجاعة عبد الله بن الزبير « و ٤١ »

روى ابن دُريد قال أخبرنا السكن بن سعد الجرموزي قال أخبرنا علي بن نصر الجهضمي عن أشياخ من الأزد ممن أدرك ممن شهد الجمل قال : لما رجع ابن الزبير من البصرة الى المدينة مرّ بمنازل بني مُجاشع من بني تميم ليلاً ، فبينا هو يسير ومعه مولى يقال له «زيد» إذ سمع صهيل البسّام فرس الزبير . فقال له مولاه : أشهد بالله إنه لصهيل البسام . وكان ابن جرموز قد أخذه . فقال له ابن الزبير : ويحك والله إنه لصهيل الأشقر ، والله لا أرجع الليلة حتى آخذه أو تموقني دونه العوائق . فقال له مولاه : أذكرك الله لما تركته وانطلقت فاني أخاف أن تقتل ، والله ما نجوتَ من الموت إلا بما بقي لك من أجلك وقد عاينته عياناً . فقال عبد الله لمولاه : اثبت لي مكانك وحدُّك ما بينك وبين نصف الليل فان جئتك فذاك وإلا فانطلق وانعَني الى أسماء . ثم ترجل واشتمل بسيفه وصمّد لصوت الفرس ، فعرض له رجل من الحيّ في جنح الليل فضربه ابن الزبير فقتله حتى انتهى الى الفرس فأخذه من رباطه وجاء به يقودُه حتى انتهى الى مولاه فانطلقا جميعاً ، فقال ابن الزبير — رضي الله عنه — في ذلك :

يذكّر في الزبير صهيلُ طِرْفٍ تناوله ابنُ جرموز بغدْرِ
فقلت لصاحبي أرودْ قليلاً لأقضي حاجتي .وونا نذْري

فان أرجع فذاك رجوعُ مُنجٍ ... وإلا فانّني أو مُجٍ بسرّي
فجئتُ أقودُهُ والنجمُ عالٍ ... وما هي من أبي بكر بنكرِ
وقد كان الزبير فتى معدٍّ ... إذا فزعوا وفارس حيّ فهرِ
وأجودَهم على العلاّت كفّاً ... وأعودَهم على عسرٍ بيسرِ
وأقومَهم بأمر الحقّ فيهم ... وأتركَهم لشبهة كلِّ أمرِ
وقالوا قد هوت لأبيك أمٌّ ... فقلتُ لهم ألا لا لست أدري
أرى أمرين في عرفٍ ونكرٍ ... ولستُ بعاذرٍ إلا بعُذْرِ
فان تكن المنية أقصدَتْهُ ... فكلُّ فتىً إلى الغايات يجري

أخلاق خالد بن برمك « و ١٣،٦٢ »

... ركب أبو عبيد الله كاتب المهدي ... فعرض له في طريقه مُعاذ ابن مسلم وخالد بن برمك ، فترجّل له مُعاذ ، ولم يفعل ذلك خالد ، فحقدها أبو عبيد الله في نفسه ، فلما نزل أقبل على معاذ وأكرمه ، وجفا خالداً . فلما سخط المهدي على أبي عبيد الله قعد عنه مُعاذ وأتاه خالد بن برمك فبذل له مالاً جليلاً وأعانه بنفسه وماله وجاهه كل المعونة ، ولما رأى خالد أبا عبيد الله قد عجب من ذلك مع ما فعل من جفائه قال : « يا أبا عبيد الله إن النفس التي منعتني النزول لك ذلك اليوم هي التي بعثتني على ما ترى من وفائي لك في هذا الوقت وإن النفس التي بعثت مُعاذاً على نزوله لك هي التي أقعدته عنك الآن . قال حنبلي [يعني أبو الوفاء بن عقيل نفسه] : هذه والله المكارم التي عاش الناس في بحبوحتها قديماً وعدمناها في أواخر أعمارنا لموت الكرماء ، حاشى ظهير الدولة (١) خازن إمامنا .

(١) ذكر في الورقة « ٧٢ » انه يلقب أيضاً « مجد الدين » فلعله مجد الدين أبو المعالي هبة الله بن محمد المعروف بابن المطلب البغدادي ، صاحب ديوان الزمام أيام الخليفة المقتدي بأمر الله والخليفة المستظهر بالله ، وقد قلده هذا الأخير الوزارة وتوفي سنة « ٥٠٣ » كما في تلخيص معجم الألقاب .

شجاعة علي بن أبي طالب وفضله (و ١٣ ، ١٤)

قيل لأمير المؤمنين علي عليه السلام - لِمَ لا تلبس الجديد وأنت تقدر عليه ؟ قال : هو أخشع لقلبي . وقيل له : لِمَ لا تجعل لدرعك ظهراً ؟ قال : لأني لم أدخل فأحدث نفسي بالفرار والتولي .

روى الأنباري قال أخبرني أبي قال حدثنا محمد بن عمران الضبي قال : لما كثر أصحاب الحديث على شريك وقالوا له : « يا أبا عبد الله حدثنا حديث رسول الله (ﷺ) : تقتل عماراً الفئة الباغية » . غضب وقال : أترون فخراً لعلي أن يقتل عمار معه ؟ إنما الفخر لعمار في أن يقتل مع علي - رضي الله عنهما - .

الصلاة على جنازة الرجل والمرأة معاً « ١٣ »

كانت لأم كلثوم بنت علي - عليه السلام - ثلاثة أشياء : زوجها أبوها من عمر - رضي الله عنه - ولم يستأمرها . واستشهد عمر - رضي الله عنه - فلم ينقلها أبوها من منزله الليلة التي أصيب فيها ، وقال : الدار للمسلمين وليست لعمر ولو كانت ملكاً له لنقلتها . وتوفيت وابنها زيد بن عمر في ليلة ، فصلى عليها ابن عمر فجعل الابن مما يليه وجعلها مما وراء الابن . وعرف بذلك كيف السنة في الصلاة على المرأة إذا اتفق معها رجل .

شريف (١) سخيف

لابن حجاج (٢) في شريف آذاه :

(١) الشريف يراد به يومئذ أحد العلويين أو أحد العباسيين كالشريف الرضي والشريف أبي تمام الزينبي ، ولكنه كان على العباسي اشهر، كما جاء في محاضرات السيوطي.

(٢) الحسين ابن حجاج الشاعر الماجن المشهور ، من اهل القرن الرابع للهجرة ، وديوانه لا يزال مخطوطاً وفيه فحش من القول كثير ، وفي اليتيمة للثعالبي نماذج من اقله فحشاً .

رأيتم قطُّ أحمقَ من شريفٍ يصرُّ على أذى رجل سخيف؟
فكان كمثل عطّـار تدلى فنكّس رأسه جوف الكنيفِ

شعر محمد بن عمر الأنباري « و ١٧ »

قال أبو الحسن محمد بن عمر الأنباري في ابن بقية الوزير لما صلب[1] :

لم يلحقوا بك عاراً إذ صلبت بلى باؤوا بعارك ثم استرجعوا ندما
وأيقنوا أنهم في فعلهم غلطوا وأنهم نصبوا من سؤددٍ علما
فاستدركوه وواروا منك طودَ علًى بدفنه دفنوا الأفضال والكرما
لئن بليتَ فما تبلى نداكَ ولا يُنسى وكم هالكٍ يُنسى إذا قدُما
تقاسم الخلق حسن الذكر منك كما مازال مالُكَ بين الخلق مقتسما
بقية الجود فينا كنت فانقرضتْ . فليس نعدَم مذ فارقتنا العدَما
وكنت لله فينا أنعُماً سُلبتْ ولو بقيتَ لنا لم نسلب النِّعما
وكيف ينساك حرٌّ لم يجد عوضاً مذ مُتَّ عنك ولا يبكي عليك دما؟!

وحشي والراشدان « و ٢٣ »

قال وحشي لما قدمت المدينة وقد وُلي أبو بكر ، سألني كيف قتلت حمزة ؟ فأخبرته . فقال : غيبْ وجهك عني . فكنت أخالفه الطريق فاذا سلك طريقاً سلكتُ طريقاً أخرى حتى توفي وُولي ابن حنتمة — يعني عمر بن الخطاب — (قال حنبلي : وقوله ابن حنتمة يدلُّ على ما يدلُّ عند العقلاء) فأرسل إليَّ فدعاني فقال : كيف قتلت حمزة ؟ فأخبرته . فقال : لا تساكنِّي في المدينة . فخرجت الى الشام ، فلما ولي أمير المؤمنين معاوية أنزلني داراً وأجرى عليَّ رزقاً من بيت المال ...

(١) أرى أنه قال ذلك لما أنزل من الخشبة للمصلوب - كان - هو عليها ، لأن مرثيته في صلبه هي التي قال فيها ابن الأنباري المذكور :
علو في الحياة وفي الممات لحق أنت احدى المعجزات

من مواعظ ابن عقيل « و ٨٨ »

ما أعجب شأن العارف وأعجب شأن الخلق معه : تبذّل التجار منهم [١] في طلب الأرباح وتمية الأموال ، ولم يعابوا ، وتبذّل المحبون والعشاق والمتيّمون في محبة الأشخاص ولم يلاموا ، وتبذّل قوم في محبة الخيل والطيور والصيد ولم يعابوا ، وتبذّل قوم في عبادة بارئهم فكثر اللوام والعُذّال واستهجنت منهم الأحوال وقيل فيهم كل مقول ونُسبوا الى كل عظيم من الخطأ ومهول ، وقيل لهم ما لهم عقول ، ومعلوم أن المتبذل في الله لا يُلام عقلاً لأنه ليس فوق إنعامه إنعام ، ولا على إحسانه إحسان ، نعمته تنهال وبرّه لم يزل ولا يزال ، يمدح على القليل وهو المعطي ، ويرضى باليسير وهو الموفق ، إنك لفي قول مختلف ، لا أرى لك ثبات قدم على ندم ولا وجوداً ولا موجوداً ، ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فارجع وأنِبْ ، واستغفر وتُبْ ، فقد رحل إخوانك سابقين وبقيت أنت مع المتخلفين .

نوبة زوزجار « ١٧٨ »

سئلتُ عن نسوة يغزل بعضهن لبعض يسمينه « نوبة روزجار » وصفته أن تخرج كل واحدة قطناً تفرّقه عليهن فتحصل مبادلة بالعمل . قلت وبالله التوفيق : يجوز لأن الأعمال لا يدخلها الرّبا فأكثر ما فيه أن يكون غزل واحدة أجود من غزل الأخرى فهو ارتفاق بالأعمال .

تحسين العقل وتقبيحه « و ٩٥ »

حضرنا يوماً بدار الكتب [٢] بشارع ابن أبي عوف فتذاكرنا أمر العقل

---

(١) أي من الخلق المتقدم ذكرهم .

(٢) هي دار الكتب التي اسسها غرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال الصابي ، قال ابو الفرج بن الجوزي في حوادث سنة « ٤٥٢ هـ » « وفي رجب وقف ابو الحسن محمد بن هلال الصابي دار كتب بشارع ابن أبي عوف من غربي مدينة السلام ونقل اليها -

وتحسينه وتقبيحه ، فقال إنسان يميل الى مذهب أبي الحسن الأشعري : متى يثق العاقل بعقله وقد علم أنه لو قدّر فيما قبل ورود الشرع كيف حكم إيلام الحيوان وهدم بنيته لرآه بالعقل قبيحاً ، ولو قدّر إيصال اللذات الى نفسه بتقبيل الملاح من المردان ولبس الحرير في الشتاء وسماع ما تحيا به الأنفس والقلوب من القيان لرآه حسناً ، إذ فيه تقوية النفس ورفاهية الجسم وروْح القلب ونعيم الجسد . فلما جاءت الشرائع لم يقنع بأن يبيح إيلام الحيوان حتى جعل ذبحه تقرّباً اليه وقرباناً وحرّم أكثر النعيم وجعله بغياً منه وطغياناً ، فتركت هذه الأمور العاقلَ لا يحكم بعقله ولا يقبّح قبيحاً ، حكم العقل بقبحه ، وفوّض الأمور الى الشرع .

وكان بالحضرة رجل ينتحل العدل والتوحيد ، فأجابه : هل استدلالك هذا حسن أم قبيح ؟ فان قلت : حسن أو قبيح سألناك عن طريق تحسينه أو تقبيحه فان أجبت بانه العقل كفانا ذلك إبطالاً لما قررتَ ، وإن قلت : علمت ذلك بالشرع قيل لك أين النص في كتاب الله وأين سنة رسول الله بما ذكرت ؟ على أنا نبسط الكلام ونفتح عن مجال الجدال حتى لا نضيّق عليك ، فنقول : أظننت أنّ تحسين إيلام الحيوان بعد تقبيحه بالعقل المجرد كونه إيلاماً ؟ كلا ولكن لما ثبت عندنا بأدلة العقول حكمة واضع الشريعة وانه لا يفعل القبيح ولا يشرعه وأنا لو جوّزنا ذلك لانسد علينا باب العلم بصدق السفراء ، لكنا لما سبق لنا العلم بأن الصانع القديم حكيم لا يفعل القبيح ثبت لنا أنه

ــ ألف كتاب » . وقال سبطه في حوادث السنة المذكورة في مرآة الزمان « وفي رجب وقفت دار الكتب بشارع ابن ابي عوف من غربي بغداد ونقل اليها ألف كتاب وذلك لأن الدار التي وقفها سابور الوزير بين السورين في الكرخ سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة احترقت لما دخل طغرلبك بغداد وتمزقت الكتب ونهب الباقي وحمل أكثرها الى خراسان ودرس العلم . والمكان الذي كانت فيه من حساب الكرخ ورواصفه » .
وذكر ابن الفوطي في معجم الألقاب أنه وقف نحواً من أربعمائة مجلد في فنون العلم .

لا يؤيد كذاباً ، فثبت أنه لما أيد بالاعجاز أشخاصاً ، كانوا صادقين . فلما ثبت ذلك جاءت الشريعة بإيلام الحيوان لوجهٍ من وجوه الحكمة والمصلحة ، وليس في العقل تقبيح الايلام على الإطلاق ، بل بط الدبيلة وألم الفصد والحجامة وشرب الأدوية ، كل ذلك إيلام ، وكذلك الردع عن القبيح بالحدود ، فكل ذلك حسن لما عاد به من صلاح الأجل وحفظ الكل . فالايلام الذي جاءت به الشرائع من هذا القبيل ، فأما من قبيل الايلام الذي وقع لا بحكمة فكلا . فسكت الأشعري » .

أنجد بن قيس التميمي « و ٤ »

بعث زياد الى معاوية رجلاً من بني تميم يقال له أنجد بن قيس ، وكان له غناء يوم صفين مع أمير المؤمنين علي (عليه السلام) فقال له معاوية : أنت القائم في الفتنة علينا والمكثر عدوّنا ؟ فقال أنجد : يا أمير المؤمنين انها كانت فتنة عمياء ، نزا فيها الرضيع وخف الرفيع فاحتدمت وأكلت علينا ثم شربت ، حتى اذا حسرت ظلماؤها وكشف غطاؤها وآل الأمر الى مآله وصرّح الحق عن محضه عرفنا خليفتنا وتركنا فتنتنا ولزمنا عصمتنا ومن يحدث متاباً لم يرد الله به عقاباً . فقرّبه معاوية وأحسن اليه .

مُستَنْبِحة « ٢١٥ »

ومن مستنبحات العرب قول عبد السلام الكناني :

ومستنبح والليلُ مرْخٍ سدوله له رنةٌ تحت الدجى ونعيقُ
وقد جاده نوء السماك بودقه وريحٌ شمالٌ زفزفٌ وبروقُ
دعاني وعرض الدوّ بيني وبينه وفجٌ بعيد الجانبين عميقُ
فقلت له ابيك لبيك إنني اليك وربِّ العالمين مشوقُ

وقلت لعبدي أذكِ نارك معجلاً ... فهـذا وقود حاضر وحريقُ
فان يأتنا أو يهده ضوء نارنا ... بليلتنا هاتي فأنتَ عتيـقُ
فأثقب ناراً في يفاع محلّق ... وضرّمها ما اسطاع فهي ذلوقُ
ترى شرراً كالقصر منها كأنها ... جمال عليها الزعفران ونوقُ
فأقبل مجهوشاً وقد سلّ جسمه ... فلم يبق إلا أعظم وعروقُ
فقلت له حياك ربك من فتىً ... أنخْ فمحلٌ واسعٌ وصديقُ
وأبٌ يرى حقَّ الأبوّة واجباً ... عليه ومن بعد الحقوق حقوقُ
فأفرخ عنه الروع وارتدَّ لونه ... وسكّنت منه القلبُ وهو خفوقُ

(بغداد) الدكتور مصطفى جواد



المدرسة العادلية الكبرى

تقوم برعاية اللغة العربية منذ سبعة قرون ونصف

من دواعي الفخر لمدينة دمشق أن تقوم المدرسة العادلية الكبرى على رعاية اللغة العربية منذ سبعة قرون ونصف ، وأن تكون لها فكرة سامية وهدف عال نحو اللغة العربية ، وهي أهداف لا تختلف بجوهرها عن أهداف المجمع العلمي العربي بدمشق ، بل كان الهدف واحداً منذ احتفل بافتتاحها سنة (٦١٩هـ) الى يومنا هذا وقد أصبحت مجمعاً علمياً .

أسدل النعيمي حجاباً كثيفاً على هذه الناحية في « تنبيه الطالب » ثم حذا حذوه من اختصر كتابه أو استمد منه ، لأنه ذكر هذه المدرسة مع مدارس الفقهاء الشافعية ولم يشر الى ناحية اللغة العربية . وانما أشار الى ذلك اشارة ضعيفة في باب الترب فجعل الانسان لا ينتبه لهذه الناحية . ولدى استقراء نظام التدريس فيها تبين ان لهذه المدرسة فرعين : فرع للفقه ، وفرع للقراءات واللغة العربية .

وضع أسس هذه المدرسة لدراسة الفقه الشافعي السلطان نور الدين محمود ابن زنكي سنة (٥٦٨) ولم يرتفع من بنائها الا القليل حتى عاجلته المنية [1] وفي سنة (٦١٢) أزال الملك العادل بناء نور الدين وعمل مكانه مدرسة عظيمة للشافعية بعد أن وسع مساحتها ودعيت باسمه [2] . وتوفي الملك العادل سنة (٦١٥) ودفن في قلعة دمشق ولما يكمل بناؤها ، فقام ابنه الملك المعظم بإكمال بناء هذه المدرسة

---

(١) كتاب الروضتين ٢١٤/١ ؛ خطط الشام للأستاذ محمد كردعلي ٨٥/٦ .

(٢) المصدر نفسه ؛ البداية والنهاية ٥٨/١٣ ؛ تنبيه الطالب ٣٥٩/١ .

وجعل لها قبة لدفن أبيه ، ونقل جثته من القلعة اليها سنة (٦١٩) وهي السنة التي تمّ فيها بناؤها واحتفل بافتتاحها .

يعود الفضل في إتمام هذه المدرسة الى الملك المعظم الذي نفذ مشروع سلفه وأوقف عليها الأوقاف العظيمة . وكان مغرماً باللغة العربية وآدابها فأراد تحقيق أفكاره وميوله في هذه المدرسة التي أصبحت سيدة مدارس دمشق ، ولم يشأ أن يغير ما أنشئت من أجله وأن يهدم مشاريع سلفه فجعلها قسمين : (١) قسم للفقه . (٢) قسم للقراءات والعلوم العربية .

الملك المعظم وولعه الشديد باللغة العربية :

أنجب الملك العادل أخو صلاح الدين ستة عشر ولداً [١] كان في طليعتهم الملك الكامل محمد (ملك مصر) والملك المعظم عيسى (ملك دمشق) والملك الأشرف موسى (ملك الجزيرة وبلاد الأرمن ثم دمشق) ورغماً عما كان عليه أولاده من ثقافة عالية ، ومعرفة غزيرة ، وأدب جم ، ونظم للشعر العربي ، فقد كان الملك المعظم عالم البيت الأيوبي غير منازع ، وحامل راية ثقافتهم ، ومفخر دولتهم على مر الزمان ، ويقول الأستاذ خليل مردم بك : ان الملك المعظم في بني أيوب كالمأمون في بني العباس [٢] .

ولد المعظم بمصر سنة (٥٧٨) على رأي ابن خلكان [٣] أو سنة (٥٧٦) على رأي سبط ابن الجوزي [٣] ونشأ كبقية الملوك الأيوبيين فتعلم الفروسية ، وادارة البلدان ، وأصول الحرب ، وقيادة الجيوش .

وملكت عليه الروح العلمية والأدبية مشاعره فلم يكن له مطامع في التوسع

(١) ابن خلكان ١/٥٠١ المطبعة الأميرية .
(٢) ديوان ابن عنين ، المقدمة ١٣ طبع المجمع العلمي العربي .
(٣) ابن خلكان والنجوم الزاهرة ٦/٢٦٧ طبع دار الكتب المصرية .

والاستيلاء على أراضي غيره بل قنع بمملكته التي كانت تمتد من حدود حمص الى العريش ، فتشمل دمشق وضواحيها ، وبلدان السواحل الاسلامية ، والغور ، وفلسطين ، والقدس ، والكرك ، والشوبك ، وصرخد وجميع بلاد حوران [١] .

يقول ابن الأثير : نفق العلم في سوقه وقصده العلماء من الآفاق فأكرمهم وأجرى عليهم الجرايات الوافرة وقرّبهم وكان يجالسهم ويستفيد منهم ويفيدهم . وكان يرجع الى علم وصبر على سماع ما يكره ، لم يسمع أحد ممن يصحبه منه كلمة سوء [٢] .

ويقول ابن خلكان عنه : إنه كان عاليَ الهمة حازماً ، شجاعاً ، مهيباً ، فاضلاً ، جامعاً شمل أرباب الفضائل ، محباً لهم ، كان يحب الأدب كثيراً ، وله رغبة فيه [٣] .

ويقول أبو المظفر سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان : الملك المعظم ، العالم الفقيه ، المجاهد في سبيل الله ، النحوي ، اللغوي ، ويطلق عنان القلم في ذكر محاسنه وترجمته في عدة أوراق . ويعلق ابن تغري بردي على ذلك بقوله : « قلت » ويحق له ذلك فان المعظم كان في غاية ما يكون من الكمال في عدة علوم وفنون ، وهو رجل بني أيوب ، وعالمهم بلا مدافعة ، ومحاسنه أشهر من أن تذكر [٤] .

هذا بعض ما وصفه به المؤرخون ، ولعل القارئ الكريم يأخذه العجب اذا قلنا له ان ملك دمشق وفلسطين وشرقي الأردن وحوران كان ينزل من قصره في قلعة دمشق يتخطى الطرقات الى دار أستاذه تاج الدين الكندي في جيرون

---

(١) ابن خلكان ٥٠١/١ . الانس الجليل ٣٥٥/١ .
(٢) الكامل ١٨٣/١٢ طبع مصر سنة ١٣٠٣ .
(٣) ابن خلكان للمصدر المذكور .
(٤) مرآة الزمان ٤٢٥/٨ . النجوم الزاهرة ٣٦٨/٦ و ٣٦٩ .

(حارة النوفرة اليوم) والكتاب تحت إبطه [1] وربما كان الطلاب لم ينتهوا من درسهم فيسكتون حين يحضر فيقول الملك المعظم لأستاذه : لا والله ، اغلِ القراءة بالنوبة فليتموا [2] .

ولعل القارئ يظن ان قراءة الملك المعظم كانت ابتدائية ، ولكننا نذكر أسماء الكتب التي قرأها على الكندي وهي : المفصل للزمخشري وكان يحفظه غيباً ، كتاب سيبويه وشرحه الكبير للسيرافي ، وشرحه لابن درستويه ، الايضاح لأبي علي الفارسي وكان يحفظه أيضاً ، الحجة في القراءات له أيضاً ، الحماسة ، وحفظ على فخر الدين المسعودي وقرأ عليه الجامع الكبير في الفقه الحنفي ، كما سمع مسند الامام احمد على حنبل وابن طبرزد ، وسيرة ابن هشام على ابن الحلي بمصر .

وهذه دراسة كأرقى ما يمكن دراسته للغة العربية ، والثقافة الاسلامية ، ولا نعلم أحداً اليوم يدرس مثل هذه الكتب .

وقد دفعه حبه لتشجيع الإقبال على تعلم النحو أن أعلن أن كل من يحفظ المفصل للزمخشري له مائة دينار وخلعة ، واجتمع القاضي ابن خلكان بجماعة كثيرة ممن يحفظه لهذا السبب [3] .

ويقول سبط ابن الجوزي : كان يحب الفقهاء ويحرضهم على الاشتغال بالعلم فيقول : من حفظ نص الجامع الكبير للكرماني أعطيته مئة دينار ومن حفظ الايضاح لأبي علي الفارسي في النحو أعطيته مئتي دينار فحفظ الكتابين جماعة ووفى لهم بما شرطه [4] .

---

(١) ذيل الروضتين لأبي شامة ، والوافي بالوفيات نقله عنه النعيمي في تنبيه الطالب .
(٢) ذيل الروضتين ٩٨ .
(٣) وفيات الأعيان ١/٥٠١ .
(٤) مرآة الزمان ٨/٤٢٧ .

وأمر أن يجمع له في اللغة كتاب جامع كبير فيه كتاب الصحاح ويضاف اليه ما فات الصحاح من التهذيب للأزهري ، والجمهرة لابن دريد وغيرهما [١]

وأمر بترتيب مسند الامام أحمد على الأبواب وأن يرد كل حديث الى الباب الذي يقتضيه معناه [٢] . وهذه فكرة لا تخرج الا من دماغ عالم مفكر غيور على اللغة العربية .

ولم يقف تفكيره عند تأليف معجم كبير جامع للغة العربية بل اتجه نحو الترجمة أيضاً فأمر الفتح بن علي البنداري بترجمة الشاهنامه للفردوسي الى اللغة العربية فعربها البنداري فكانت هي الترجمة الوحيدة باللغة العربية [٣] .

وأسند وزارة مملكته الى أشهر شعراء عصره وهو ابن عنين فكان عمله هذا أكبر تكريم للأدب العربي والشعر العربي .

وعطف على العلماء والأدباء عطفاً جعل مملكته تزخر بهم ، وشجع حركة التأليف والمؤلفين فألفت عدة مؤلفات في فنون شتى أهدي أكثرها اليه . فيقول الفتح بن علي بن محمد البنداري في مقدمة كتاب ألفه له : خدمةً لملك اجتمع فيه من الفضائل ما تفرق في جميع سلاطين الأمم ، وصار نظاماً لمحاسن يتزين بأفرادها سائر ملوك العرب والعجم ، مولانا السلطان الملك المعظم ، أبي الفتح عيسى بن السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب [٤] .

ولما دخل سيف الدين الآمدي دمشق سنة (٦١٧) أنعم عليه الملك المعظم انعاماً كثيراً ، وأكرمه غاية الاكرام ، وولاه التدريس [٥] . وقد ألف

---

(١) الكامل لابن الأثير ١٨٣/١٢ طبع مصر سنة ١٣٠٣ . والبداية والنهاية ١٢١/١٣ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) مقدمة الشاهنامه للدكتور عبد الوهاب عزام .
(٤) دولة آل سلجوق ص (٣) مطبعة الموسوعات .
(٥) عيون الأنباء ١٧٤/٢ .

الآمدي المذكور له كتاب «الإحكام في أصول الأحكام» وهو يعد من أجل كتب الفقه والتحليل والاستنتاج فقال في مقدمته أنه ألفه : خدمةً لمولانا السلطان الملك المعظم المكرم ، سلطان الأجواد والأمجاد ، أجل عالم ، وأفضل من تمتد اليه أعناق الهمم والعزائم ، ملك أرباب الفضائل ، ناقد خلاص الأفاضل ، باعث أموات الخواطر ، ناشر رفات العلوم الدواثر (١) .

وجاء في عيون الأنباء : ان رشيد الدين الصوري خدم الملك المعظم وكان مكيناً عنده وجيهاً . . . ولم يزل في خدمته الى أن توفي المعظم ، وحرر أدوية الترياق الكبير ، وجمعها على ما ينبغي فظهر نفعه ، وعظمت فائدته ، وقد صنع منها شيئاً كثيراً في أيام الملك المعظم (٢) . وألف كتاب الأدوية المفردة وجعله باسمه واستقصى فيه ذكر الأدوية المفردة ، وذكر أيضاً أدوية اطلع على معرفتها لم يذكرها المتقدمون ، وكان يستصحب مصوراً ومعه الأصباغ والليق على اختلافها وتنوعها فكان يتوجه رشيد الدين الصوري الى المواضع التي بها النباتات مثل جبل لبنان وغيره من المواضع التي قد اختص كل منها بشيء من النباتات فيشاهد النبات ويحققه ويريه للمصور فيعتبر لونه ومقدار ورقه وأغصانه وأصوله ، ويصور بحسبها ويجتهد في محاكاتها .

ثم انه سلك أيضاً في تصوير النبات مسلكاً مفيداً ، وذلك انه يري النبات للمصور في ابان نباته وطراوته فيصوره ، ثم يريه اياه أيضاً وقت كماله وظهور بزره فيصوره تلو ذلك ، ثم يريه اياه أيضاً في وقت ذواه ويبسه فيصوره فيكون الدواء الواحد يشاهده الناظر اليه في الكتاب وهو على انحاء ما يمكن أن يراه به في الأرض فيكون تحقيقه له أتم ، ومعرفته له أبين (٣) .

(١) الإحكام في أصول الأحكام ص (٣) مطبعة المعارف .
(٢) عيون الأنباء ٢/٢١٦ .
(٣) المصدر المذكور ٢/٢١٩ .

ولا يخفى ما في هذا العمل من عناء وتطلب نفقات واذا لم يكن ذلك برعاية الملك المعظم فمن المتعذر أن يقوم به شخص بنفسه .

مؤلفات الملك المعظم :

ان اشتغاله بسياسة بلاده ومقارعة جيرانه من الدول الأجنبية وغيرها لم يمنعه ان يقوم بعدة مؤلفات عرفنا منها ما يلي : كتاب في العروض ، شرح الجامع الكبير ، ديوان شعره ، كتاب في الرد على الخطيب البغدادي [1] (طبع في مصر عام ١٣٥١) .

ولا يطالع الانسان هذا الكتاب الا وتأخذه هزة الطرب حينما يقع على الجمل الآتية التي يقول فيها ملك دمشق : أنبأنا شيخنا الامام العلامة حجة العرب أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي مشافهة [2] وأخبرنا الشيخ الامام الأوحد احمد بن عمر بن محمد بن قدامة المقدسي بقراءتي عليه بالبيت المقدس فى صفر من سنة اثنين وعشرين وستمائة [3] . إذ يرى الملك المعظم يسلك طريق المحدثين في رواية الأخبار بالأسانيد .

مؤسساته العلمية :

للمعظم عدة مؤسسات علمية أنشئت لتعزيز العلوم والآداب :

(١) في مدينة القدس بباب الرحمة مدرسة تعرف بالنصرية نسبة للشيخ نصر المقدسي ، ثم عرفت بالغزالية نسبة لأبي حامد الغزالي . ثم أعاد انشاءها المعظم وجعلها زاوية لقراءة القرآن والاشتغال بالنحو ووقف عليها كتباً من جملتها إصلاح

(١) النجوم الزاهرة ٦/٢٦٧ ، مرآة الزمان ٨/٤٢٥ .
(٢) ص ١٧٦ .
(٣) ص ١٧٨ .

المنطق لأبي يوسف بن اسحاق بن السكيت . وقد وقفت على كراسة منه بخط ابن الخشاب ، وعلى ظهر الكراسة الوقف ، وهو مؤرخ في التاسع من ذي الحجة سنة عشر وست مئة . وقد دثرت الزاوية المذكورة في عصرنا ولم يبق لها نظام وصارت من المهملات[1] .

(٢) مدرسة للحنفية بالقدس عند باب المسجد الأقصى المعروف بباب الدويدارية[2] .

(٣) وبنى على آخر صحن الصخرة من جهة القبلة مكاناً يسمي النحوية للاشتغال بعلم العربية ووقف على ذلك أوقافاً حسنة[3] .

(٤) المدرسة العادلية الكبرى بدمشق وهي الآن (مقر المجمع العلمي العربي) ورغماً عن أنها سميت باسم أبيه فاليه يعود الفضل في أكثر بنائها وإتمام عمارتها .

(٥) المدرسة المعظمية في صالحية دمشق وفيها قبره وقبور أهله وأولاده[4] وقد زالت معالمها في عصرنا .

وللمعظم أبنية ومصانع كثيرة في فلسطين وخاصة في جبل الطور يطول بنا تعدادها .

وتتلخص ميول الملك المعظم بما يلي :

١ — سعيه لنشر اللغة العربية بوضع جوائز متعددة لمن يحفظ كتبها .

٢ — دعوته لتأليف معجم كبير جامع للغة العربية .

٣ — بذل المال بسخاء للعلماء وتقليدهم الوظائف الكبيرة كالسيف الآمدي ، والرشيد الصوري ، ويعقوب بن سقلاب النصراني .

---

(١) الانس الجليل ٣٨٦/٢ .

(٢) المصدر السابق ٣٥٥/١ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) انظر خطط الشام للأستاذ محمد كردعلي ، والقلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية .

٤ – تنشيط حركة التأليف في جميع العلوم .
٥ – تنشيط حركة الترجمة .
٦ – تكريمه الأدباء والشعراء بإسناد الوزارة اليهم كابن عنين وفخر الدين الساعاتي .
٧ – إنشاء المدارس للغة العربية ، وهذا مما اختص بها المعظم دون سائر من بنى مدارس في مصر والشام .
٨ – إنشاء المكتبات للمطالعة .

وهذه المبادئ التي قام بها الملك المعظم ، تشابه كثيراً المبادئ التي يقوم بها المجمع العلمي العربي الآن .

قسم الفقه في المدرسة العادلية الكبرى :

كانت بلاد الشام خالية من العلم وأهله ولكنها في زمان نور الدين الشهيد صارت مقراً للعلماء والفقهاء لصرف همته في بناء المدارس وترتيب أمورها والناس آمنون على أموالهم وأنفسهم (١) . وكان ممن استدعاهم من العلماء الى البلاد الشامية قطب الدين النيسابوري (٢) فوصل الى نور الدين في سنة (٥٦٨) وهو فقيه عصره ونسيج وحده ، فسر نور الدين به وأنزله بحلب بمدرسة باب العراق ثم أطلقه إلى دمشق فدرس بزاوية الجامع الغربية المعروفة بالشيخ نصر المقدسي ونزل بمدرسة الجاروق (٣) ، وشرع نور الدين في انشاء مدرسة كبيرة للشافعية لفضله وهي المدرسة العادلية الآن التي بناها بعده الملك العادل أبو بكر بن أيوب أخو صلاح الدين وفيها تربته . وقد رأيت أنا ما كان بناه نور الدين ومن بعده منها ، وهو موضع المسجد والمحراب الآن .

(١) الروضتين ١/١٤ .
(٢) المصدر نفسه ١/١٣ .
(٣) هي المدرسة الجاروخية .

ثم لما بناها الملك العادل أزال تلك العمارة وبناها هـذا البناء المحكم الذي لا نظير له في بنيان المدارس ، وهي المأوى ، وبها المثوى ، وفيها قدر الله تعالى جمع هذا الكتاب (أي الروضتين في أخبار الدولتين) فلا أقفر ذلك المنزل ولا أقوى [١] .

وبقي قطب الدين الى أن توفي في الأيام الناصرية في سنة ثمان وسبعين وقد وقف كتبه على طلبة العلم . ونقلت بعد بناء هذه المدرسة اليها فما فلتها ثمرته إذ فاتها مباشرته [١] .

ويصف لنا أبو شامة الاحتفال بافتتاحها فيقول : حضر السلطان الملك المعظم عيسى بن العادل فجلس في ايوان المدرسة وجلس عن يمينه شيخ الحنفية جمال الدين الحصري ثم فخر الدين بن عساكر ثم القاضي محيي الدين بن الشيرازي ثم القاضي محيي الدين بن يحيي الزكي .

وجلس عن يسار السلطان مدرس المدرسة قاضي القضاة جمال الدين المصري ، ثم سيف الدين الآمدي ، ثم شمس الدين بن سني الدولة ، ثم القاضي نجم الدين خليل قاضي العسكر وجلس مقابل السلطان تقي الدين بن الصلاح ، ودارت حلقة صغيرة فيها أعيان المدرسين والفقهاء والناس وراءهم متصلون ملء الايوان وكان مجلساً جليلاً لم يتفق مثله الا في سنة (٦٢٣) واشترك السلطان مع الجماعة في الكلام العلمي [٢] .

ومن ذلك الوقت أصبحت التقاليد أن لا يلي التدريس فيها إلا قاضي القضاة وأن تكون محكمة للقضاء الشافعي ، وهذه أسماء من وليها على الترتيب .

(١) ابو شامة في الروضتين ١/٢١٤ .
(٢) ذيل الروضتين ١٣٢ .

١ — جمال الدين المصري [1] .

٢ — شمس الدين احمد بن خليل الخويي .

٣ — كمال الدين عمر بن بندار بن عمر التفليسي نيابة عن شهاب الدين الخويي .

٤ — رفيع الدين الجيلي .

٥ — كمال الدين المذكور اصالة عن نفسه .

٦ — نجم الدين بن سني الدولة .

٧ — شمس الدين بن خلكان .

٨ — عز الدين محمد بن الصائغ .

٩ — بهاء الدين بن الزكي .

١٠ — نجم الدين بن صصرى .

١١ — بدر الدين بن جماعة .

١٢ — امام الدين القزويني .

١٣ — جمال الدين الزرعي .

١٤ — جلال الدين القزويني .

١٥ — علاء الدين علي بن اسماعيل القونوي .

١٦ — علم الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران الاخنائي .

---

(١) أعطى ابو شامة ملاحظات قيمة عنه . فقال : انه اول من درّس فيها . .وكان يذكر بها قبل درس الفقه درساً من تفسير القرآن طويلاً ويجري فيه مباحث حسنة . فانه كان يحضره معنا جماعة من الفضلاء فاتفق أن فرغ من ذكر التفسير من أوله الى آخره فلما تم له ذلك توفي بعد ذلك بقليل أي سنة (٦٢٣) . وقال عن مجلس قضائه : كان ملازماً لمجالس الحكم بالشباك الكمالي بالجامع وغيره . وكان اذا جلس فيه بعد العصر لا يزال الى أن يصلي المغرب ، وفي بعض الليالي يصلي العشاء الآخرة فكان اذا فرغ من الحكم بين الخصوم تجري بحضرته المذاكرة في العلم الى حين انفصاله . ويجلس بكرة كل يوم جمعة ويوم الثلاثاء بايوان العادلية لاثبات الكتب ويصطف شهود البلد في جوانب الايوان وكان مجلداً عليه جلالة (ذيل الروضتين ١٤٨) وينبغي أن نشير هنا الى ان اهل دمشق حتى يومنا هذا يسمون المحكمة « بالعادلية » .

١٧ — جمال الدين يوسف بن ابراهيم بن جملة .

١٨ — تقي الدين السبكي .

١٩ — بهاء الدين احمد بن تقي الدين السبكي .

٢٠ — أخوه تاج الدين السبكي .

٢١ — سراج الدين الحمصي .

٢٢ — شمس الدين الوناني .

٢٣ — شرف الدين القزويني معيد المدرسة [١] .

ويغيب بعد ذلك في مطاوي الكتب المجهولة أسماء من تولاها بعد ذلك وفضلاً عن كون هؤلاء فقهاء وقضاة فان بينهم أعلاماً في الأدب واللغة كابن خلكان صاحب وفيات الأعيان وكجلال الدين القزويني الذي أصبح كتابه « التلخيص » في علوم المعاني والبديع والبيان كتاباً مدرسياً من عهده الى عصرنا هذا وكتاج الدين السبكي الذي له كتب قيمة في الأدب والتاريخ كجمع الجوامع وكطبقات الشافعية وقد ترجم لأكثرهم السيوطي في طبقات النحاة .

وكان يؤمها العلماء واللغويون ويجري فيها مباحثات ومناقشات لغوية وأدبية فقد نقل عن جلال الدين القزويني أنه قال : اجتمعت ببدر الدين ابن النحوية في العادلية بدمشق وسألته عن قول أبي النجم :

قد أصبحت أمُّ الخيار تدَّعي   عليَّ ذنباً كله لم أصنعِ

في تقديم حرف السلب وتأخيره فما أجاب بشيء . وقد تكلم على هذا البيت كلاماً جيداً في مؤلفه « إسفار الصباح » والسبب في ذلك أن كل من وضع مصنفاً لا يلزمه أن يستحضر الكلام عليه متى طلب منه لأنه حالة التصنيف يراجع الكتب المدونة في ذلك ويطالع الشروح فيحرر الكلام في ذلك الوقت ثم يسهو عنه [٢] .

(١) ذيل الروضتين ٢٣٩ ويرجع لمعرفة تراجم هؤلاء المذكورين الى تنبيه الطالب للنعيمي .

(٢) اللمعات البرقية .

وممن نزلها وتوفي فيها من الشعراء الفصيح محمد بن أبي النجم بن البطريق الشاعر الجزرى الأديب له شعر حسن فائق [1] .

قسم القراءات واللغة العربية :

علم القراءات من فروع اللغة وهو عبارة عن بيان لهجات بعض القبائل العربية ومذاهب النحاة واللغويين في الألفاظ الواردة في القرآن الكريم . والقراءات والعربية متلازمتان . فلا يكون قارئ ماهر الا وهو نحوي لغوي ، ولا نحوي لغوي الا وهو قارئ .

وأئمة اللغة هم أئمة القراءات وأصحاب المذاهب فيها كأبي عمرو بن العلاء ، والكسائي ، وخلف الأحمر ، وحمزة الزيات ، وأضرابهم كابن مالك ، وابن الحاجب ، وابن هشام ، وأبي حيان من المتأخرين .

أما هذا القسم وهو قسم القراءات واللغة العربية في المدرسة العادلية فقد كان في القسم الخارجي منها في تربة الملك العادل التي أحد أبوابها في دهليز المدرسة يقابله من الجهة الشمالية باب آخر لسكن أستاذ هذا الفن . وقد أفادنا أبو شامة بأنه كان ساكنا في هذه المدرسة هو وأهله .

ويفيدنا أيضاً بأنه كان فيها مجلس للكتب (قاعة مطالعة) في صدر الايوان وهو الموضع الذي كان يجلس فيه غالباً للفتوى وغيرها ومنه يخرج الى الصلاة بالمدرسة [2] كما يفيدنا ابن العماد : أن أبا شامة وقف كتبه عليها وشرط أن لا تخرج منها فاحترقت جملة [3] .

٤- المشيخة الكبرى :

يرجع الفضل في معرفة هذه المشيخة الى محمد بن الجزري فقد قال في ترجمته لمحمد بن مالك النحوي الشهير : قدم دمشق مستوطناً ونزل بالعادلية الكبرى .

(٤) ذيل الروضتين ١٦٩ وتوفي سنة ٦٣٧ .
(١) المصدر السابق ص ٣٨ .
(٢) شذرات الذهب ٥/٣١٩ .

وولي مشيختها الكبرى التي من شرطها القراءات والعربية وأظن ولايته لها بعد أبي شامة . فأقام بالعادلية وألف التواليف المفيدة في فنون العربية ...

وحدثني بعض شيوخنا أنه كان يجلس في وظيفة مشيخة الاقراء بشباك التربة العادلية . وينتظر من يحضر يأخذ عنه . فاذا لم يجد أحداً يقوم الى الشباك ويقول : القراءات القراءات ، العربية العربية . ثم يدعو ويذهب ويقول : أنا لا أرى ان ذمتي تبرأ الا بهذا فانه قد لا يعلم اني جالس في هذا المكان لذلك[1] .

ويقول السيوطي : ان ابن مالك كان امام المدرسة العادلية أيضاً فكان اذا صلى يشيعه قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان الى بيته تعظيماً له[2] .

وممن تولى مشيخة الاقراء الكبرى والإمامة فيها أبو شامة وبها ألف كتابه القيم « الروضتين في أخبار الدولتين » وأشار لذلك في كتابه المذكور[3] .

ويفيد ابن الجزري بأنه كان بها مشيخة صغرى وممن تولاها محمد بن منصور الحلبي[4] .

وهذه أسماء من عرف ممن تولوا المشيخة الكبرى فيها :

١ — القاسم بن أحمد اللورقي النحوي .

٢ — ابو شامة مؤلف الروضتين .

٣ — محمد بن مالك النحوي .

٤ — احمد بن ابراهيم بن سباع الفزاري .

٥ — محمد بن أبي بكر الحريري .

٦ — محمد بن محمد الجزري مقرئ الممالك الاسلامية ومؤلف النشر في القراءات العشر .

٧ — ابنه فتح الدين .

٨ — ابنه الآخر محمد .

---

(١) غاية النهاية ٢/١٨٠ .

(٢) بغية الوعاة ص ٥٥ .

(٣) أنظر ص (٦١) من هذا المقال .

(٤) غاية النهاية ٢/٢٦٦ .

٩ — صدقة الضرير .

١٠ — عثمان بن الصلف .

١١ — اسماعيل بن ابراهيم البكاري .

١٢ — محمد بن ابراهيم الزنجيلي .

١٣ — نصر الله البابي الجوخي [1] .

ومن طريف ما يذكر أن جماعة من المغرمين بالسبق تجمعوا بها وقرؤا الجزء الأول من تاريخ الحافظ ابن عساكر سنة (٦١٤) أي قبل أن يتم بناؤها بخمس سنين وكان من جملتهم الحافظ البرزالي المؤرخ [2] ، فكانوا أول من درّس بها .

وقد غاب عنا أسماء من درّس بها منذ القرن التاسع الهجري حتى القرن الثاني عشر الذي ظهر به الشهاب أحمد المنيني صاحب التآليف العديدة فسكنها ودرّس بها وألف . ثم تسلسل التدريس في أحفاده حتى جعلها المجمع العلمي العربي مقراً له في سنة (١٩١٩ م) .

ويقول المرحوم محمد كردعلي : وكأن المولى تعلقت ارادته فقضى أن لا يخلي العادلية والظاهرية من علم ينشر ، وأدب يذكر ، فاختارهما مباءة للمجمع العلمي ، يقيم فيهما سوق العلم والأدب بعد الكساد [3] .

محمد أحمد دهمان

---

(١) يرجع لمعرفة تراجم هؤلاء الى تنبيه الطالب للنعيمي ج٢ التربة العادلية، والى غاية النهاية لابن الجزري ، وطبقات النحاة للسيوطي .

(٢) انظر الجزء الأول من تاريخ ابن عساكر تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ص ٦٣٢ ٦٣٤ و ٦٥٢ و ٦٦٣ و ٦٧١ و ٦٨٢ و ٦٩٢ و ٧٠٨ و ٧١٩ .

(٣) خطط الشام ٨٥/٦ .

دراسات

عن مقدمة ابن خلدون

ألفه أبو خلدون ساطع الحصري

طبعة موسعة صفحاتها (٨ + ٦٥٦ + أربع لوحات اضافية) (١)

منذ عشرة أعوام نشر العالم الاجتماعي ساطع الحصري كتاباً عنوانه « دراسات عن ابن خلدون » يقع في جزأين صدرا في بيروت عام ١٩٤٣ و ١٩٤٤ . ونظراً لأحوال الحرب السائدة يومذاك ولبعد الأستاذ ساطع الحصري عن مكتبته التي كانت في العراق فقد اكتفى بأن يدوّن في ذينك الجزأين خلاصة آرائه مستعيناً بذاكرته الجبارة وبمراجعة مقدمة ابن خلدون من جديد . ومع ذلك كله فقد جاءت تلك الدراسات أوفى ما كتب على ابن خلدون من ناحية عرض الموضوع ومن حيث مقارنة آراء ابن خلدون بآراء علماء التاريخ والاجتماع من الغربيين .

وكان الأستاذ الحصري يمنّي النفس بأن تنتهي الحرب العالمية الثانية ويجمع الله شمله بمكتبته الثمينة وبأوراقه التي دوّن فيها ملاحظاته وأثبت عليها موازناته وقيد شوارد أفكاره . وحقق الله أمنية الأستاذ الحصري ولكن الأيام شغلته عما كان قد عزم عليه ، فان البلاد العربية أرادت أن تستفيد من خبرته الطويلة في التربية والتعليم فكان مستشاراً للمعارف في الجمهورية السورية ثم مستشاراً ثقافياً في جامعة الدول العربية فأدى من المنصبين خدمات جليلة لأمته ولبلاده ،

(١) نشره السيد محمد ناجي الخضيري ببغداد ، وطبعته دار المعارف بمصر ١٩٥٣ .

ولكن لم يستطع أن يوفر وقته على استتمام البحث في مقدمة ابن خلدون . غير أنه استطاع أن يوسع دراسته الأولى فجعلها ستمائة وأربعا وستين صفحة . بعد أن كانت نحو خمسمائة . هذا بالاضافة الى أربع لوحات تمثل اثنتان منها رسمين خياليين لابن خلدون وتمثل اثنتان أخريان مشاهد من بيئة ابن خلدون (بيته وبناء مدرسته) .

على أن هذه الدراسات لا تزال في رأي الأستاذ ساطع الحصري نفسه غير وافية بمراده ، كما أن شواهدها من المراجع الأجنبية لا تزال تحتاج الى توسيع في بعض نواحيها والى تقييدها بأرقام صفحات الكتب في بعض نواحيها الأخرى . وكذلك كان الأستاذ الحصري يأمل أن تنتهي الحرب العالمية الثانية فيتاح له أن يطلع على مخطوطة قيل إنها محفوظة في تونس . ولقد سافر الأستاذ ساطع الحصري الى تونس عام ١٩٤٥ ولكنه لم يعثر على تلك المخطوطة الموجودة فلم يكن له بد بعد ذلك من أن يوسع « دراساته عن ابن خلدون » على منهاجه القديم ، ومع هذا فقد قطع الطريق على كل باحث جديد في مقدمة ابن خلدون . ولن يتاح لأحد أن يزيد شيئاً على ما جاء به الأستاذ الحصري في هذا الموضوع الا اذا وقع على مخطوطة جديدة لمقدمة ابن خلدون .

* * *

يمس الأستاذ ساطع الحصري في توطئة دراساته (ص ١ — ٩) نقطتين مهمتين جداً في تأريخ العلم ، إذ يرى أن العلماء عادة يشركون أقوامهم في بعض أخطائهم الشائعة . غير أنه يدافع عن العلماء ، كلهم لا عن ابن خلدون وحده ، فيقول : « ان أصول البحوث العلمية تتطلب من كل باحث يقدم على مطالعة كتاب قديم أن يتأمل في مواضيعه ... وأن يعرف حق المعرفة بأن خطورة الأخطاء التي تلفى[1] في الكتب القديمة لا يجوز أن توزن بالمقاييس

(١) في الأصل تلقى (بالقاف) وهو خطأ مطبعي .

الفكرية العصرية ، بل يجب أن تقدر بموازين تاريخية خاصة .... وهـذه الموازين الخاصة لا يمكن أن تتقرر الا بتتبع الفكر البشري بوجه عام» .
من أجل ذلك لا ينكر الأستاذ الحصري أن يكون ابن خلدون قد أخطأ في بعض ما كتب كما أخطأ أرسطو وسوى أرسطو . على أن ابن خلدون قد عري في آرائه عن السفسطات التي أتى بها أرسطو نفسه .

أما النقطة للقيمة الثانية فهي اننا نحن العرب نطلع عادة على كل ما كتب أسلافنا ، الغث منه والسمين ، فنرى دائماً المآخذ عليهم ، بينما الغربيون لا يقدمون الى جمهور قرائهم الا المقتطفات . فاذا نحن رأينا تلك المقتطفات المختارة ظننا ان المفكرين الغربيين لا سقطات لهم البتة .

بمثل هذه الروح يتقدم الأستاذ الحصري الى مقدمة ابن خلدون بالدراسة فيتناولها من ست زوايا .

١ — المدخل الاول : على هامش المقدمة :

- يقول الأستاذ الحصري إن المؤرخين الغربيين كلهم اهتموا بالخرافات ودونوا أقوال الكهان منذ أقدم الأزمان . حتى هيرودوت اليوناني «أبو التاريخ» فعل ذلك ثم سار على آثاره مؤرخو الرومان الى القرن السابع للميلاد . وكذلك القول بتأثير النجوم في الحوادث وفي أعمال البشر سيطر في أوروبة على أذهان العوام والمفكرين على السواء حتى القرن السابع عشر . ولعل أبرز الأمثلة على التصديق بالتنجيم ماجاء في مؤلفات المؤرخ المفكر المشهور جان بودن J. Bodin المتوفى في آخر القرن السادس عشر (١٥٩٤) . هذا المؤرخ يعد في آباء فلسفة التاريخ ويقال عنـه أنه أول من ألقى نظرة فلسفية الى التاريخ من بين الفرنسيين - ان بودن هذا قد قال في كتابه «الجمهورية» : لا يوجد شخص ذو عقل سليم لا يعترف بتأثير الأجرام السماوية في الحوادث الطبيعية والبشرية . ثم هو يمضي

في تعليل جميع حوادث التاريخ الكبرى على أساس التنجيم والتنبؤ بالنظر الى جميع حوادث التاريخ الكبرى على أساس التنجيم والتنبؤ بالنظر الى النجوم . «ان العرب مثلاً ، لما حدث القران[1] العظيم سنة ٦٣٠ م ، نشروا دين محمد وثاروا (كذا) ضد أباطرة القسطنطينية وغيروا الدول واللغات والأخلاق والدين (ص ٢٣ — ٣٠) .

وكذلك ظل المؤرخون والمفكرون الأوروبيون حتى منتصف القرن الثامن عشر يعتقدون بالسحر ويضعون أصول المحاكمات التي يحكمون بموجبها على السحرة . ولم يتأخر بودن نفسه عن أن يقول ان الموسيقى تطرد الشياطين (ص ٣١ — ٣٤) . ولقد ظل المؤرخون الأوروبيون الى أوائل القرن التاسع عشر يعللون التاريخ تعليلاً دينياً ويرفضون فيه مقام العقل .

أما ابن خلدون الذي عاش في القرن الثامن للهجرة (والرابع عشر للميلاد) فلم يمزج وقائع التاريخ بأخبار الكهانة كما فعل «أبو التاريخ» هيرودوت ، ولا هو حاول تفسير التاريخ بتأثيرات النجوم كما فعل جان بودن ؛ وكذلك لم يكتف ابن خلدون برد عوامل التاريخ الى مشيئة الله كما فعل بوسوئه ولا حاول اتخاذ التاريخ وسيلة لإثبات قدرة الله كما فعل فيكو ؛ مع انه كتب ما كتبه في هذا الصدد قبل أن جاء بودن بمدة تناهز القرنين ، وقبل بوسوئه بمدة تزيد على ثلاثة قرون ، وقبل فيكو بمدة تقرب من ثلاثة قرون ونصف قرن (ص ٣٨) . ان ابن خلدون قد علل التاريخ تعليلاً عقلياً علمياً وبنى آراءه على مشاهداته واستقراءاته فكانت طرائق البحث التي اختارها وسلكها في هذا المضمار أكثر قرباً وأشد شبهاً بالخطط العلمية الحالية من الطرائق التي اتبعها بعض المشاهير الأوروبيين الذين جاءوا بعده مثل بودن وبوسوئه وفيكو (ص ٣٩).

---

[1] القران وقوع كوكبين على خط نظر واحد .

وفيكو نفسه يبدو بالاضافة الى ابن خلدون ، كما قال الأستاذ الحصري في فصل آخر ، طفلاً صغيراً (راجع ص ١٨٣ وما بعدها) فقد كان في بعض الأحيان خيالياً الى أبعد درجات الخيال كما سخف أحياناً أخرى في تعليلاته ، ذلك لأنه كان يريد أن يبرر شذوذ الملوك لا أن يعالل سير التاريخ (ص ١٩٣ س).

٢ — المدخل الثاني : حول مؤلف المقدمة :

بعدئذ يتكلم الأستاذ الحصري على بيئة ابن خلدون وعلى حياته بالتفصيل (ص ٤١ — ١٠٨) وعلى ما في عصره من الاضطراب الشديد ومن تقهقر الحياة السياسية في الأندلس خاصة وفي المغرب ، ثم على ما نزل بابن خلدون من المصائب وما لقيه من المصاعب في أسفاره الكثيرة ، ويفرد الأستاذ الحصري في هذا القسم بحثاً لآثار ابن خلدون .

٣ — القسم الأول : نظرات وملاحظات عامة (في المقدمة) :

يكشف الأستاذ الحصري في هذا الفصل عن أمر مهم جداً ، هو أن ابن خلدون كتب الجزء الأول من كتابه في التاريخ (المقدمة) « قبل أن جاء الى المشرق » ثم انه نقح هذا الجزء « بعد » أن جاء الى المشرق . وينتهي الأستاذ الحصري الى القول بأن ابن خلدون قد زاد بعد رحلته الى المشرق تقولاً يرمتها على « المقدمة » أو زاد أشياء في الفصول التي كان قد كتبها . ثم ان ابن خلدون كان يعلق ، على النسخة التي كانت بين يديه ، حواشيَ مختلفة . دخلت مع الزمن ، وعلى أيدي النساخ ، في متن المقدمة . أما النسخة القديمة فتعرف بالنسخة التونسية لأنها كتبها وهو لا يزال بالبلاد التونسية . وأما النسخة الجديدة فتعرف باسم الفاسية أو الفارسية لأنه كتبها بعد أربع عشرة سنة في مصر ثم أهداها الى مكتبة السلطان ابي فارس عنان سلطان فاس بمراكش .

وفي هذا القسم يدرس الأستاذ الحصري لغة المقدمة ويشير بحق الى أن الكلمات تتبدل معانيها مع الزمن . ولذلك يجب على دارس الكتب القديمة ان يتفطن الى المعاني التي كانت للكلمات يوم كتبت تلك الكتب . وبعد أن يستعرض الأستاذ الحصري عدداً من هذه الكلمات التي تقلب معناها مع الزمن يقف وقفة طويلة على كلمة « عرب » ويقول ان ابن خلدون حينما كان يقول « العرب » كان يعني البدو . ولقد أفاض الأستاذ الحصري في مناقشة الأدلة على رأيه هذا حتى جاء رأيه مقنعاً جداً . وهنالك دليل آخر غفل عنه الأستاذ الحصري ، هو ان ابن خلدون حينما كان يقول ان العرب اذا تغلبوا على بلاد أسرع اليها الخراب وأشباه ذلك كانت تراود خياله أفاعيل بني سُليم (بضم السين) بن منصور وبني هلال بن عامر الذين هاجروا في القرن الخامس للهجرة من شبه جزيرة العرب (أو من مصر على الأصح بعد أن جاءوا اليها من شبه الجزيرة) الى المغرب وما نشأ بينهم وبين قبائل زناتة من الحروب وما جرى على أيديهم من الخراب .

٤ — القسم الثاني : مكانة ابن خلدون في تاريخ فلسفة التاريخ وفي علم الاجتماع

سبق ابن خلدون بمقدمته جميع فلاسفة التاريخ وجميع علماء الاجتماع . يريد المؤلفون الغربيون أن يجعلوا فيكو الايطالي (ت ١٧٤٤ م) مؤسس علم التاريخ مع أنه كان يؤمن بالسحر والخرافات ، ثم هو لم يتبع في (بحوثه) طريقة استقراء الحوادث ولم يتقيد في تفكيره بقيود الواقعات (ص ١٨٠ — ١٨٨ ، ١٨٩) بينما ابن خلدون الذي جاء قبل فيكو بنحو ثلاثة قرون ونصف قرن لم يؤمن بهذه الخرافات ولم يأخذ بالروايات التي لا يصدقها العقل ، ثم انه تفوق على فيكو تفوقاً كبيراً من حيث شمول النظر ونزعة التعمق وطريقة البحث والاستقراء ؛ وهو يقترب من طرائق (البحوث) العلمية الحديثة بوجه عام وطرائق (البحوث)

التاريخية والاجتماعية بوجه خاص اقتراباً واضحاً (ص ١٩٥ – ١٩٩) . من أجل ذلك كان ابن خلدون أجدر بلقب مؤسس علم التاريخ في رأي الباحثين (ص٣٠٠) .

واذا نحن جئنا الى مونتسكيو (ت ١٧٥٥ م) رأينا بعض المؤلفين ينسبون اليه ابتكار نظرية « تأثير الأحوال الاقتصادية في الوقائع التاريخية » . والصواب أن ابن خلدون ربط بين الوقائع التاريخية وبين الأحوال الاقتصادية قبل مونتسكيو بثلاثة قرون ونصف قرن أيضاً . ومع أن مونتسكيو يستحق مقاماً ممتازاً جداً في « تاريخ فلسفة التاريخ » بفضل المباحث التي كتبها عن الجباية والتجارة والنقود والنفوس ، فان التعميمات الخاطئة ، كثيرة عنده كثرة التعميمات الصائبة ، بينما معظم نظرياته الاقتصادية البحتة مليئة بالأغلاط ، وكان هو يشعر أن فيها تناقضاً (ص ٢٠٥ ــ ٢٠٧) . ويجب أن نعلم أن ابن خلدون لم يسبق مونتسكيو الى « صلة الاقتصاد بالتاريخ » سبقاً زمنياً فحسب ، بل فاقه أيضاً في عمق التفكير ودقة النظر وحسن التعليل (٢٠٦ ــ ٢٢٠) .

وفي علم الاجتماع أيضاً كان لابن خلدون فضل الابتكار والنبوغ والتفوق . ان الدعوى بأن أوغوست كونت هو مؤسس علم الاجتماع لا تثبت عند البحث والتدقيق . إن حق ابن خلدون بلقب « مؤسس علم الاجتماع » أقوى من حق كونت (ت ١٨٤٣ م) لأنه « درس الحادثات الاجتماعية » ثم تخيل علم الاجتماع علماً مستقلاً قائماً بذاته ووضع له الأسس واستنتج منها النتائج واكتشف القوانين قبل أوغوست كونت بنحو أربعمائة عام . وبحوث ابن خلدون في « الاجتماع » لا تجعله مؤسس علم الاجتماع فقط ، بل ترفعه الى مصاف علماء الاجتماع الذين نبغوا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن الحاضر (ص ٢٣٥ ــ ٢٤١) . ثم ان الأستاذ الحصري ينهي هذا الفصل برأي العالم توينبي وهو : « إن ابن خلدون ، في المقدمة التي كتبها لتاريخه العام ، قد أدرك وتصور وأنشأ فلسفة للتاريخ هي بلا شك أعظم عمل من نوعه خلقه أي عقل في زمان ومكان (ص ٢٦٠) .

٥ — القسم الثالث : آراء ابن خلدون ونظرياته :

يقع هذا القسم في مائتين وتسعين صفحة ، ويصعب تلخيصه لأنه هو في الحقيقة تلخيص لمقدمة ابن خلدون كلها . إلا أنه لا بد من إثبات بعض الآراء والنظريات البارزة والخالدة في تاريخ العلم مما سبق ابنُ خلدون به أندادَه من فلاسفة التاريخ أو علماء الاجتماع .

ابن خلدون مؤسس علم التاريخ وموجد علم الاجتماع

(أ) موضوع التاريخ ومهمة المؤرخ :

يرى ابن خلدون أن حقيقة التاريخ إنما هي الاجتماع الانساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها ، وما ينتحله البشر بأعمالهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع ... والتاريخ لا يتناول عند ابن خلدون أخبار الملوك ووصف الحروب فقط ، بل هو يتناول أيضاً كل ما حدث من التحول في الحياة الاجتماعية على اختلاف مظاهرها وفي المؤسسات الاجتماعية على اختلاف أنواعها . فالاقتصاد والصناعات والعلوم كلها تدخل في التاريخ . ثم ان مهمة المؤرخ ليست سرد أخبار الماضين ولا وصف أحوال الاجتماع فحسب ، بل في حقيقتها « تمحيص الأخبار لتمييز الحق من الباطل والصدق من الكذب فيها وللتأكد من مطابقتها للواقع ، ثم تعليل الوقائع لمعرفة كيفية حدوثها وأسباب تزاحمها وتعاقبها » . فابن خلدون في ذلك اذن « يتفوق بنظرته هذه على جميع المؤرخين الذين سبقوه في الشرق والغرب بوجه عام ، وعلى جميع الذين أتوا بعده خلال أربعة قرون على أقل تقدير » (ص ٢٦٤ — ٢٦٥) .

(ب) طبيعة الاجتماع ومنشأ الحكم :

لاحظ ابن خلدون قبل علماء الاجتماع المعاصرين ان « الحوادث الاجتماعية » تجري بتقليد بعض الأفراد لبعض والضغط أو القسر الحاصل في المجتمع على أفراده لحملهم على أن يسلكوا مسلكاً معيناً . ان الذين يستشعرون من أنفسهم الضعف أو الجهل أو التأخر يقلدون من هم أقوى منهم أو أعلم أو أوجه طوعاً أو انسياقاً ، حتى إن الجماعات الضعيفة تقلد جيرانها الأقوياء أو أعداءها المجاورين لها أو المتغلبين عليها (ص ٩٤ وما بعدها) .

(ج) التطور التدريجي في الطبيعة والمجتمعات :

يتبنى ابن خلدون رأي اخوان الصفا في « التطور الطبيعي للأحياء » ثم يوسعه قليلاً ويطبقه على المجتمعات ، فهو يرى بأن المجتمعات وان كان المتأخر منها يحرص على محاكاته المتقدمَ في أحواله ، فانها تتطور في الحقيقة تطوراً غير ملموح في أكثر الأحيان ولكنه مستمر . وهذا التبدل البطيء المستمر هو الذي يخلق المجتمعات المستجدة . على أن التبدل في المجتمعات يكون أحياناً تبدلاً كلياً مفاجئاً . ويلاحظ ابن خلدون عندئذ بأنه « اذا تبدلت الأحوال جملة فكأنما تبدل الخلق من أصله وتحول العالم بأسره كأنه خلق جديد ونشأة مستأنفة وعالم محدث (ص ٣٠١ وما بعدها) .

(د) طبائع الأمم وسجاياها (ص ٣٠٧ — ٣٣٢) :

لا ينكر ابن خلدون تأثير الوراثة العرقية في صفات الأقوام ، ولكنه يرى أنها أقل خطراً مما يظهر للوهلة الأولى وأضيق نطاقاً مما ظن الباحثون من قبل . حتى الصفاتُ التي تظهر مشتركةً بين الآباء والأولاد ليست كلها — فيما يتعلق بالانسان — عرقية ذلك لأن الأولاد يأخذون معظم صفاتهم من « احتكاكهم » بالذين ولدوهم وعايشوهم وخالطوهم . ومع ذلك فانه يجب علينا أن نفرق بين

الصفات التي تنتقل من الآباء الى الأبناء من طريق الدم وبين الصفات التي تنتقل من طريق المخالطة الاجتماعية . ثم ان الأعمال المعاشية (الزراعة ، التجارة ، التجارة ...) التي يقوم بها البشر تأثيراً كبيراً في نشوء صفاتهم . كل هذا ذكره ابن خلدون في مقدمته قبل أن يذكره العلماء الغربيون بأربعة قرون أو خمسة . والأمثلة التي يضربها ابن خلدون على ذلك كثيرة طريفة صائبة ، ولكن المجال هنا لا يتسع لذكرها .

(د) نظرية العصبية (ص ٣٣٣ — ٣٥٣) :

العصبية عند ابن خلدون هي « النُعرة » على ذوي الأرحام أن يصيبهم هلكة أو ينزل بهم أذى . وتتولد العصبية من القرابة في الدرجة الأولى . وكلما كانت القرابة أدنى كانت العصبية الناشئة منها أقوى . ولذلك كانت العصبية في البدو أعظم خطراً من العصبية في الحضر لصفاء الانسان في البدو واختلاطها في الحضر . ولكن « حقيقة العصبية » أنها « الشعور » بوحدة النسب وبوحدة المصلحة ، اذ النسب في نفسه أمر وهمي ، وما نشأة العصبية وقوتها الا ثمرة للعشرة وطول الممارسة والصحبة بالمربى والرضاع وسائر أحوال الموت والحياة » .

والعصبية ضرورية لقيام الدول والانتصار في الحروب ولبقاء الملك وللقيام بالحركات المختلفة ، حتى الدعوة الدينية فانها لا تتم بلا عصبية ، فلو لم يبعث محمد ﷺ في منعة من قومه وعصبية من آله لما انتشر الاسلام بمثل هذه السرعة . ثم ان الأوطان الكثيرة العصائب قل أن تستحكم فيها دولة أو تستقر طويلاً . والعصبية التي هي أساس نشوء الدول عند ابن خلدون هي غير العصبية التي هي الحمية الجاهلية والتفاخر بالأنساب والتشدق بالأفعال — فالأولى محمودة والأخرى مذمومة .

(يتبع) الدكتور عمر فروخ

—•—

فضل الثنائية على المعجمية

— ٣ —

ث — أنف

المعنى الاولي الحقيقي لهذه المادة الثلاثية نجده في العبرية في فعل ânaf .
ومعناه : تنفّس ، ومنه جاء « الأنف » ، وهو آلة الشم والتنفّس . بيد
للتنفس يقتضي هواء . وهذا لا مدلول له من المادة المذكورة الا في العربية
وحدها . وذلك في « تَفْنَنَف » الثنائي الخفيف المكرَّر المراد به « الهواء ،
والمهوى » وقد زيدت الهمزة تتويجاً على هذا الثنائي الخفيف « نَفْ » فأصبح « أنَف » .

ومقابل « الأنف » العربيه ، في العبرية ap . وفي الاكدية appu .
وفي السريانية appâ . وفي الارمية appîm . وفي الحبشية anef . وفي غالب
هذه الألسن تدل كلمة « أنف » على الوجه أيضاً . لأنه هو الظاهر منه لأول
وهلة . وفي العربية يصاغ من « الأنف » الفعل « أنَف » ارتجالاً . واذ كان
الأنف أول ما يرى في الوجه ، دلت اللفظة على مداليل الابتداء مجازاً .
واذ كان الأنف ينتفخ عند الغضب ، جاء الفعل بمعنى اغتاظ . واذ كان
الانسان المتكبر يشمخ بأنفه ، ورد فعل « أنف » دالاً على الكره والنفور ،
والاشمئزاز والاحتقار . وهذه فحاويه على اختلاف أحواله .

أَنَفَه أنفاً : ضرب أنفه . و — الرجلَ الماءُ : بلغ أنفه . وأَنِف أنفاً :
اشتكى أنفه . و — الإبلُ : وقع الذباب على أنوفها . وكلها ارتجالية من الاسم
« أنْف » .

أَنِفَ فلانٌ : وطأ كلأً أُنُفاً ، لم يرعَ . وأَنِفَ من الشيء : استنكف وتنزه عنه . و — من قوله أشدّ الأنف : كرهه . و — أَنَفاً وأَنَفَةً : صار في أول الليل (مجاز) . آنفه : جعله يشتكي أنفه . وأَنَفَ الشيءَ : حدَّده . و — فلاناً : حمله على الأَنَفَة . و — الراعي طلب أُنُفَ الكلأ ، أي الذي لم يرعَ . تأنَّف الطعامُ : لم يؤكل منه شيء . وتأنّف الإخوانَ : طلبهم آنفين ، لم يعاشروا أحداً . إئتنف الشيء واستأنفه ، أخذ فيه وابتداه . الآنِف : المأنوف الذي يشتكي أنفه . آنِفَةُ الصبا : ميعته وأوّليته . الأُناني : العظيم الأنف . — الأنف في الانسان وغيره من الحيوان : يطلق على مجموع المنخرين والحاجز والقصبة . وهو آلة الشم والتنفس . ويقال مجازاً . الأنف : سيدُ القوم . و — ثنية الجبل . و — من كل شيء أوله أو أشده . يقال : أنفُ الشد : أول العدو . وأنف البرد : أوله وأشده . و — من المطر : أول ما انبت . و — من الأرض : ما استقبل الشمس من الجلد . و — من الرغيف : الكسرة . و — من الجبل : النادر والشاخص منه . و — من النبات : طرفه . و — من اللحية : جانبها . ورجل حميّ الأنف : يكره أن يُضام . — الأُنُف : كلأ بحاله لم يرعه أحد . و — المشية الحسنة . و — الخمر لم يستخرج شيء مثلها من الدن . يقال للمتغيّظ : ورم أنفه : لأن الغضبان ينتفخ أنفه ويحمرّ . — الأنوف : الكاره اتيان الدنايا . — والأنيف : اللين من الحديد . مثل الأنيث . المِئناف السائر في أول النهار . — المتأنِّف والمؤتنف من الأماكن : الذي لم يؤكل منه شيء . المؤتنف : الذي هو في مقتبل الشباب . المستأنَف من الأمر : هو الذي لم يسبق اليه .

* * *

ج — أهل

الرس الثنائي الخفيف لهذا الثلاثي هو « هَلْ » ومثقله « هَلّ » الدال على رفع الصوت . وانصباب المطر من علو السماء الى الأرض ، وظهور القمر مرتفعاً ومتلألئاً في العلاء .

والفكرة الشاملة في كل هذه الدلالات هي فكرة الحركة والهز الظاهرة أيضاً في مكرّر الثنائي الخفيف « هَلْهَلْ » المراد به : الرجوع عن الشيء ، وترجيع الصوت ، وفي الصوت وترجيعه حركة وارتفاع . والألفاظ الناظرة الى « هَلْ » العربية هي ، في العبرية : hâlal : برق ، لمع ، تلألأ ، أشرق . وفي الأكدية éllu (هلّو) : لمع ، أضاء ، أشرق . و alâlu (هَلالو) : صوّت ، هتف . وفي السريانية hal : هلّل ، رتل . و hallèl هلّل ، مدح ، عظم . وقد زيدت الهمزة على « هَلْ » الثنائي ، فأصبح « أهَلَ » الثلاثي . وتوسعت متطوّرة معاني « أهَل » تطوراً متناسقاً ، في العبرية ، والأكدية ، والعربية ، دون أن ترد المادة في الارمية والحبشية . فجاءت في العبرية أولاً : الصيغة الفعلية ، في كلمة âhal مطلقةً على الاقامة تحت الخيمة . والعيشة عيشة أهل الوبر ، أي بالتخييم عند حل الرحال ، وقلع الخيم عند الترحال ، طلباً للمراعي والموارد . ووردت كذلك في العبرية : الصيغة الاسمية ، في لفظة ôhèl المراد بها : الخيمة ، ولا سيا قسمها الأعلى المركّب من شعائر من وبر الإبل ، أو من شعر المعزى ، مما تولد من فكرة الارتفاع المتضمنة في الثنائي « هَل » وقد تفرعت خافيه ، فدلت المفردة على المسكن ، من باب الاطلاق ، وعلى سكان الخيمة ؛ ثم على الخيمة المقدسة ، عند اليهود . أي قبة الشهادة ، أو الهيكل المتنقّل معهم في البرية . ثم على الهيكل الثابت ، هيكل أورشليم .

وأخيراً على قصر الملك داود ، والملك سليمان . — وفي الاكدية ، لم يبدأ التطور أو التوسع من أول مرحلة ، وهي الدلالة على الخيمة والتخييم ، بل أرتجل من فحوى السكن مطلقاً . فشمل المحلة ، والمثوى ، والقرية ، والمدينة ؛ ولا سيا مقر أو مدينة الآله أو الملك . أما في العربية فشرع التفرع من مرحلة متوسطة . إذ لم تعنِ «أهَل» لا الخيمة والتخييم ، ولا المسكن والسكنى ، بل أرتجلت من مفهوم المقيمين في المكان ، وأُطلقت على قطّان البيت ، والمدينة ؛ وعلى الأقارب وغيرهم من ذوي العلاقات ؛ ثم على كل شيء له صلة من الصلات بغيره . وهذا تفصيل الفحاوي للمادة العربية .

أهِل المكانُ : صار مأهولاً ، أي عمر بسكانه . وأهَل الرجلُ : اتخذ أهلاً ، أي تزوج . أهِل الرجلُ : أنس . أهّل فلاناً للأمر : رآه مستحقاً ، أو جعله لائقاً به ، أي رأى العلاقة مناسبة بين الرجل والأمر . و — به : قال له : أهلاً وسهلاً .

آهله للأمر : جعله لائقاً به . و — زوّجه . — تأهّل واتّهل : اتخذ أهلاً أو امرأة . تأهّل للأمر : جعل ذاته مستحقاً له . — استأهل الشيء : استوجبه . و — فلاناً : وجده مستحقاً . — أخذ الإهالة أو أكلها .

الآهل : المكان العامر بالسكان . الأهلي والأهِل : ما ألف المنازل من الحيوانات وغيرها . الأهِلة : الأنعام والمواشي .

الأهْل : من باب الاطلاق : كل من أو ما له علاقة من العلاقات بغيره . أهلُ الرجل : زوجته . و — عشيرته وأقاربه . و — البيت أو البلد : سكانه . و — المذهب : من يعتقده ويدين به . و — الأمر : ولاته . و — كل نبي : أمّته . و — الوَبر : سكان الخيام . و — المدر والحضر : قطّان المنازل المبنية . و — الكتاب : المسيحيون واليهود .

أهلاً وسهلاً : ترحُّب . تقديره : صادفت أقرباء لا غرباء . ووطئت سهلاً ، لا خشناً .

الإِهالة : اسم للشحم ، وكل ذائب من زيت وغيره . و — كل ما أُوتدم به من الأدهان . المأهولة من الثريد : ما كانت كثيرة الإِهالة .

هذه الكلمة أيضاً ، مع ما هنالك من ظاهر التناقض بينها وبين بقية فحاوي «أهَلَ» هي من عين الرس الثاني «هَلَ» . واشتقاقها منه مفعول متساوق . اذ من معاني «هَلَّ» انصباب المطر من السماء على الأرض . وهذا ما يتبين بجلاء في فحوى «الإِهالة» لأنها دالة على ما يذوب أي يسيل وينصب من شحم وسمن وزيت وغيره .

ح : سلم

هذه المادة سامية كل السامية ، لورودها في عامة الساميات ولهجاتها ، دون استثناء ، مع هذا الفرق وهو أن حرفها الأول سينٌ في الساميات الجنوبية ، أي العربية ، والحبشية ، والسبئية ، وتوابعها ؛ وشينٌ في الساميات الشرقية والشمالية ، أي الأكدية ، والارمية ، والسريانية ، والعبرية ولواحقها .

ان المعنى الأولي لهذه المادة سلبي . أي معنى السلامة والتنزه عن النقص والضعف والآفات البدنية ، وايجابي ، أي الوجود في حال الصحة والعافية والرفاه والأمان والسلام . ومن فكرة الصحة ، أي امتلاك كل ما تتطلبه الحياة . نشأت فكرة الكمال ، والاتمام ، والانهاء ، ثم الزوال .

هذه أنواع معانيها في مختلف هذه اللغات :

في الاكدية : Shâlamu : تنزّه عن العلة والأذى . كمل . و Shulmu : الرفاه والرغد .

في العبرية : Shâlam : صح ، كان في سلام ، سلم . كمل . وفى .
Shallêm : أتم . وفى . أدّى . كافى . أراح . أسعد .
في السريانية : Shlêm : سلِم . برئ . انتهى . انقرض . مات .
Shallêm : سلّم . أودع . أتمّ . كافى .
في الحبشية : Salâm : سلام . نجاة . خلاص . تحيه .
(لا وزن مجرد . من الاسم أرتجل Tâsalama : تسالموا ـ سلّم بعضهم على بعض asalasâlama ـ صالح . سالم) .
في العربية : سلِم : نجا وبرئ من العيوب والآفات . تمتع بالصحة . وسلمته الحية : لدغته .

قلت : ان الفحوى الاولي سلبي ، وهو النجاة والخلاص من كل آفة وأذى . وهذا ما يبين في الرس الثنائي الصادر عنه هذا الثلاثي ، وهو « سَلْ » ، ومثقله « سَلَّ » الشيء من الشيء : انتزعه وأخرجه برفق . مثلاً : سَلَّ السيف من غمده ، والشعرة من العجين . وسلّ : سرق . لأنه ينزع الشيء من صاحبه بخفية ومهارة . وينظر الى هذا الثنائي في السريانية « شَلْ » : سلّ ، نزع ، سلخ ، أسال ، نهب . وفي العبرية : « شالَل » : نزع ، استل السيف . سلب ، شلّ . وفي الاكدية « شَلالُو » : سلب .

على أن في العربية لهذا الفعل معناة أخرى لا وجود لما يشبهها في بقية الساميات : وهي « لدغة الحية » فكيف التوفيق بين هذه المتضادات ؟ التوفيق سهل اذا عرفت أن من عادة العرب ، قديماً وحديثاً ، لا بل عند كل الأمم ، وفي سائر اللغات ، استعمال « التعريض » ، لكراهية تسمية الشيء السمج ، أو المزعج ، أو المرهب ، باسمه ؛ لما ينشيء من النفور في آذان السامعين ، لسوء تأثيره في شعورهم ومخيلتهم وذهنهم . ان « سليم » من حيث الاشتقاق

وتطور الدلالات ، لا يدل البتة على «لدغ الحية» . بيد ان هذا النحوى يستعمل من باب التفاؤل . لأن لفظة «لديغ أو ملسوع» ينفر منها السمع والشعور . ولذا يتخذ عوضها كلمة تعاكس ذلك . وهي «سليم» وفي العربية من هذا القبيل شيء كثير . من ذلك مفردة «البصير» أي الحادّ النظر ، تطلق على «الأعمى» تفاؤلاً . وقس على ذلك : «كريم العين» تقال عن الأعور . و «المكوكب» عن الذي في عينه نكتة . و «أبا البيضاء» عن الحبشي . و «المفازة» عن الفلاة والمهلكة ، تفاؤلاً بالفوز بالنجاة . و «الخفيف على القلب» عن الثقيل الدم . و «ترحّم» بمعنى لعن[1] .

---

(١) لا بأس أن نورد هنا ما وقع تحت نظرنا يوماً ، ونحن نتصفح ، من باب المصادفة ، العدد ٢٣ من المجلة الفرنسية « Dieu Vivant » « الله الحي » . وهو مقال بقلم السيد « بواكيم مبارك » ، موضوعه Islam et paix « الاسلام والسلام » . وقد بحث واضعه (ص ٨٠ ي ي) عن الفعل المجرد « سلم » . الذي نحن في صدده . ولكنه بالحقيقة لم يوفق في ادراك معانيه وتطوّرها وتسلسلها . وقد اضاف في الحاشية (ص ٨١) ما هذا نصه الفرنسي :

« Autre sens curieux qui nous a été signalé par le professeur Massignon : « Etre piqué par un serpent ».

وهذه ترجمته : « هناك معنى آخر (لهذه المفردة) غريب في بابه ، دلنا عليه الأستاذ ماسليون . وهو « لدغته الحية » . أما نحن فنقول : الغريب كل الغرابة عندنا هو كيف ان صاحب هذه المقالة وهو لبناني ، أو سوري ، لغته العربية ، قد جهل وجود هذا المدلول ، فدله عليه رجل اجنبي . مع ان هذا النحوى وارد في أصغر المعاجم المدرسية ، مثل معجم Belot العربي – الفرنسي . واما الأستاذ الأجنبي الذي نبهه عليه ، فقد سها عن الفرق الواقع بين مدلول « سلم » . وقد فاته السر الذي كشفناه في كلامنا الوارد في المتن وهو ان « سليم » لا يدل على «لدغ الحية» من باب الاشتقاق ، او تطور المعاني ، بل من باب التعريض ، والتفاؤل (اللسان ١٥/١٨٤ . والتاج ٨/٣٣٩ و ٣٤٣) . وهذا دليل على ما ابديناه من ان هذه البحوث المعجمية غير مألوفة عند كل احد ، سواء كان عربياً ، ام اعجمياً ، ام صوفياً . لأن هؤلاء المستعربين ، او المتسيسين ، او المستشرقين ، لكونهم أغراباً ذوي عقليات مغايرة لعقليتنا الشرقية السامية ، والعلوم من الالهام اللغوي ، السامي ، العربي ، الغريزي فينا ، فيما يتوط باسرار وخصائص لغاتنا السامية ، ولا سيما —

بعد هذا البسط والتمييز بين مختلف معاني ، «سلم» في اللغات السامية ، ينبغي لنا عرض مناشيها في العربية ، والملاءمة بينها .

«سلم» (سلبياً) : بريء من الآفات والعيوب . و (ايجابياً) : كان صحيحاً ، معافاً . و — له الضيعة : خلصت ، أي نُزع كل مانع عن ملكيتها .

«سلَّم» : خلَّص وأنجى . و — الشيء : أسلفه ، أي قدَّم سابقاً من السلعة وغيرها الى أجل مسمى . وفي كل تسليم يفترض ، من الجهة الواحدة ، النزع ؛ ومن الجهة الأخرى ، التقديم . لأنه اذا قدَّم الشيء الى واحد ، فقد سبق نزعه عن الآخر . وسلَّم فلاناً وعليه : قال له : سلام عليك ، أي تمنى له التنزه عن كل آفة ، ومن ثم الوجود في حالة الصحة والرفاه الناجم عنهما الاطمئنان والأمان . وسلَّمه اللهُ : وقاه من الآفات . وسلَّم اليه : انقاد . والانقياد قائم على تجرد المرء من ارادته أو حريته ، ووضعها تحت تصرف الغير . وسلَّم فلاناً : اذا أخلى بينه وبين من يريد النكاية به ، أي خانه . وذلك متوقف على نزع الشخص من مكان أو حال الأمان ، والقائه في موطن الخطر والتهلكة . أسلَم : أسلف . وأسلَم : دان بالدين الاسلامي . ومعنى الاسلام : الكفران بالذات ، وتقديمها لله تعالى بالطاعة والخضوع لإرادته الإلهية . وتسلَّم منه : تبرأ ، أعني نزع ذاته عنه . وتسالم الرجلان : تصالحا ، أي وضعا بينهما

ـب العربية ، نُرام أحياناً ، مع غزارة معارفهم ، ومتقن أساليبهم العلمية ، التي نستحسنها وننقدها حق قدرها . نُرام احياناً ، أقول ، « يغرقون في طاسة ، أو قدح من الماء » ، حسب قول علامتنا المرحوم الأب انستاس الكرملي العراقي . وعلى هذه الشاكلة حالة ناشري « القصائد الوأوائية » ذوي الأراية الدهّانية ، في القصور العظمية ، الدمشقية ، فان للمعجميات ، والثنائيات ، والأسديات ، والساميات ، لمن الأمور التي لا يعلمون ، في شأنها « من أين تؤكل الكتف » .. ولا عجب في ذلك فان لكل امرىء مهنته واختصاصه . فعلى كل واحد اذاً أن يهتم بما يعنيه ، لئلا يضطر غيره ، عن كره منه ، الى ان يسمعه ما لا يرضيه . كالمثل القائل : « هذا ليس بعشك فادرجي ... » .

السلام وهو التنزه عن القلق والاضطراب . وتسالمت الخيلُ : تسايرت ، لا يهيج بعضها بعضاً .

سلَّمته الحيةُ : لدغته . من باب المعاكسة ، أو التعريض ، أو التفاؤل .

و — الدلوَ : فرغ من عملها وأحكمها . من Shallèm السريانية : أكمل ، أنجز .

وسلم الجلد : دبغه بالسَّلَم . والسَّلَم شجر من العضاه يدبغ به . وغاية الدبغ حفظ الجلد من الفساد .

استلم الحجر الأسود الذي في حائط الكعبة : لمسه بالقبلة ، أو اليد ، أو الصولجان . واللفظة من مقلوب «سلم» وهو «لَمس» وهذا الثلاثي مشتق من الثنائي «مَسّ» ومثقله «مسّ» بزيادة اللام تنويعًا . والمسّ هو المسح أي الافضاء باليد دون حائل .

السَّلام : اسم من التسليم . و — الانقياد . و — اللديغ ، من باب التفاؤل . و — التحية ، أي تمني الراحة والاطمئنان . والسلام : من أسماء الله تعالى ، لسلامته من النقص والعيب والفناء . وهو مصدر . هذا هو التأويل الجاري . لكنه غير صائب . والأصوب أن يقال : لأنه عزّ وجلّ يسلِّم أي ينزِّه الغيرَ ، أعني خلائقَه من الآفات . اذ ان السلامة تُطلق على من يتوقَّع له الآفات . والقابل لذلك بطبعه الضعيف . وأما الله فلا يتوقَّع له مثل ذلك . لكونه من طبعه منزَّهًا عن الآفات . فلا يتمنى له السلامة أو النجاة منها .

السُّلَّم : المرقاة ، من خشب ، أو حجر ، أو مدَر . لأنه يسلِّمك الى حيث تريد من الأمكنة العالية ، فترجى به السلامة والأمان . و — السبب الى الشيء .

السليم : اللديغ والجريح المشرف على الهلاك . من باب التفاؤل .

* * *

خ — سبح

في مداليل هذه المادة يظهر شيء من التناقض . اذ أنه من الناحية الواحدة يدل «سبَح» على العَوم ، أي الحركة والسير في الماء . وفي خارج الماء ، على الانتشار في الأرض . ومن الناحية الأخرى يطلق على السكون والنوم . ثم ان مزيده «سبَّح» يعني تمجيد الله ، والتهليل ، والتعظيم . أما في اللغات السامية الأخر ، فلا دلالة للمادة المذكورة . على السباحة ، والسير ، والسرعة ؛ بل في كلها محصورة الكلمة في مجاري التمجيد والتعظيم والدعاء . ففي العبرية Shâbaḥ : مجد ، بجّل ، قدر ، أصلح . وفي السريانية Shabbah : سبّح ، عظّم ، ارتأى ، اعتقد . وفي الاكدية Suppu : عظمة ، تمجيد . وفي الحبشية Sabha : سبّح ، مجد .

هذه المادة أو هذا الأصل الثلاثي ناشئ عن الرس الثنائي «سَح» ومثقله «سحّ» وممدود أوله «ساحَ» وممدود ثانيه «سحا» ومكرره «سَحْسَحَ» ، ففي «سَحّ» معنى الجريان ، وانصباب الماء والدمع . وفيه أيضاً مدلول الضرب والجلد ، والسمن والامتداد والانتشار . وفي «سحا» دلالة القشر ، والحلق ، والجرف . والساحية : السيل الجارف . وفي «ساح» معنى جرى الماء على وجه الأرض ، ثم معنى ذهب في الأرض للعبادة . وساح النهرَ : أجراه . وتسَحْسَحَ الماء : سال من فوق . والسَحْساح : الشديد من المطر .

في كل هذه الثنائيات ومتفرعاتها يُرى ان المفهوم الشامل هو «السيلان» سيلان الماء أو الجري فيه . ومن الهين ادراك المدلول في الثلاثي «سبح» أي جرى مع الماء ، وعلى الماء منبسطاً . وكل من انبسط في شيء فقد سبح فيه . والسَبْح : المرّ السريع في الماء والهواء . ويستعار لمرّ النجوم ، وجري الفرس ، وسرعة الذهاب في العمل . واذا كان السابح ينبسط أحياناً على وجه

الماء ، جاء «سبح» بمعنى : سكن وهدأ .. ودل أيضاً على النوم : لأنه في النوم هدوء وسكينة . ولما كان من جملة أعمال السابح أن يحرّك أحياناً أخرى يديه ورجليه ، ويضرب على الماء ، تولد من ذلك دلالة «سبح» على الضرب والجلد . وعلى التقلب ، والتصرف في الحياة والمعاش ، وعلى الاكثار من الكلام ؛ لأن الثرثار يظهر كأنه يسبح في الخطل ، كالسابح في الماء . ولكون السابح يسير في الماء الى مسافات شاسعة ، أطلقت «سبح» على السير ، والابتعاد ، ومن ثم على الإبعاد . والسبْحة : ثياب من جلود . لأن الجلود تُسحى وتقشط . وكساء مسبّح : قوي شديد . لأنه من جلود . وفي الجلود قوة وصلابة .

سبّح فلانٌ : صلّى . و — اللهَ : نزّهه . والسابح : العائم في الماء . وفرسٌ سابح : سريع . والسوابح : الخيل لمضاهاتها السبّاح . السُّبّوحُ : من صفاته تعالى . لأنه ينزّه من كل سوء . سبحانَ الله : أي أبرئ الله براءةً من كل سوء .

السُّبْحة : الدعاء . و — صلاة التطوع ، أي النافلة . لأنه يُسبَّح فيها .

السَّبوح : فرس غير مضطرب في جريه .

قلنا : انه ليس في اللغات السامية الأخر ثلاثي مجرد يقابل «سبح» بمعانيه التي تدل على العوم والسير والسرعة وأمثالها . لكن قد وردَ فيهـا ما يضاهي المزيد «سبّح» ويقارب لحاويه : أي سبّح ، رتل ، مجّد ، حمد . وفي السريانية ، يضاف مدلول اعتقد . ولربما دخل هذا الوزن وتوابعه من العربية في السريانية والعبرية . أما العربية ففيها الثلاثي المجرد ، ومزيدان هما : أسبَح وسبّح .

على أن المشكل متوقف على التقارب بين مدلولات «سبّح» و «ضبّح» هذه الصعوبة تزول اذا تتبعنا سير الاشتقاق من الثنائي «سَحْ» الى الثلاثي

« سبَح » والى مزيده « أسبَح » ومزيده الآخر « سبَّح » فقد رأينا ان « سَح » ، وسَحا ، وساح ، وسَحْسَح » تحوي معنى عاماً هو معنى الجريان - فهذه الفكرة انتقلت متطورة الى الثلاثي الذي زيد فيه الباء اقحاماً ، فأطلق على جريان الانسان وسيره وانبساطه في الماء . وفي الجريان أو السَّبح تلقى فكرة الابتعاد : ومن ثم الإبعاد . وهذا بدء مفاديم « سبّح » . ونقول : « سبَّح الله ونريد بذلك تنزيهه أو ابراءه ، أي ابعاده عن النقص والسوء . وهذه أيضاً دلالة سَبْحن ، وسُبحان ، وسبحل . ومن هذه المنفاة نشأت المداليل الأخر مثل : عظَّم ، مدح ، مجَّد ، ويشمل جميعها الدعاء والصلاة . ثم ان تمجيد الله وتسبيحه فعل ديني ناشئ عن الايمان به تعالى . لأن من لا يؤمن بالله ، لا يمجده . ولذا دلّت « شَبَّح » في السريانية على الاعتقاد ، أو الايمان .

وأنت ترى أيها المطالع والباحث اللبيب ، كيف سهل التوفيق بين هذه المفاهيم المتضاربة ظاهرياً ، وذلك ببدء الاشتقاق من الثنائي « سَح » ومتفرعاته ؛ وبالتطرق الى الثلاثي « سبَح » بمعنى جرى ، وسار ، وابتعد في الماء ، ثم في البر والجو . وأخيراً بالبلوغ الى المزيد « سبَّح » المراد به تنزيه الله ، أي ابعاده عن كل العيوب ؛ ومن ثم تمجيده وتعظيمه بالايمان والصلاة .

وكل هذه النماذج ، وغيرها كثيرة جداً ، من مواد معجمنا « الثنائي » تبين فضل الثنائية على المعجمية ، وتفوقها على نظرية « الثلاثية » .

الأب مرمرجي الدومنكي

تاريخ علم الفلك في العراق

وعلاقاته بالأقطار الاسلامية والعربية

(في العهد العثماني)

من سنة ٩٤١ هـ -- ١٥٣٤ م الى سنة ١٣٣٥ هـ — ١٩١٧ م

١ — نظرة عامة

مضى[1] الكلام على تاريخ علم الفلك في عهد المغول والتركمان . والآن أتناول علم الفلك في العهد العثماني . وتاريخ هذا العلم متواصل ، وصلاته بالعهود السياسية قليلة . وانما جرى على اطراده بحكم قانون الاستمرار الا أن حالته تكن أحياناً وتظهر أخرى . وجلّ ماهنالك أن هذا العهد عدمت العلوم فيه من المناصرة عندنا ، ولم تبق الا المدارس وسيرتها المعتادة في التدريس .

ولم يخل العراق من زعازع وحروب طاحنة جداً بينه وبين ايران . فانتهبت الأيدي العابثة ما تمكنت عليه من كتب ، الا أنها في عهد المماليك من سنة ١١٦٣ هـ أو من تاريخ وفاة نادر شاه سنة ١١٦٠ هـ هدأت نوعا وان لم تخل مما يتخللها من أيام اضطراب دام الى سنة ١٢٤٧ هـ . ثم حصل تشوش في الحالة تارة وطمأنينة أخرى حتى حدث احتلال بغداد سنة ١٣٣٥ هـ — ١٩١٧ م ، فانتهى العهد العثماني .

أحاول في هذه العجالة أن أبين ماجرى على علم الفلك خاصة ، فأوضح تاريخه في العراق مع ملاحظة صلاته بأصل الدولة ، وما جاوره من أقطار

(١) راجع المجلد (الثامن والعشرين) ص ٧٩ و ص ٢٥٧ و ص ٤٢٠ .

وما شوهد من أثر أو تأثير لنكون على بصيرة من تطوره ومعرفة مجراه في سيرته العلمية . وكفى أن نقف على المعرفة الضرورية المطردة دون توغل، والاحتفاظ بالموجود من الآثار .

رأينا بعض المؤلفات التي خدمت التدريس، فلم يتجاوزها المتعلمون ولا العلماء الا قليلاً . نجدهم رعوها بالشرح والتعليق . وليس في هذه تمكن عظيم في التأليف والنبوغ فيه كما هو الشأن في سالف العصور . وفي أوائل هذا العهد خذلت المعرفة البحرية وأصابتها نكسة على يد البرتغال فأثرت في التجارة وأخلت بالحالة الاقتصادية فتحولت الصلة الى الغرب، وفقدت الرغبة في الفلك وما يتعلق به من علم البحار . وصارت المخلفات السابقة صعبة الأخذ . وانما مال القوم الى مختصرات لا تفي بالغرض .

وفي القرن الثاني عشر حصل تجدد في الفلك والرياضيات، وصار يقتبس من الغرب بأكمل وجه، ونقلت أزياج الى التركية وعلوم رياضية وفلكية أخرى . وهذه أثرت في ثقافة القرن الثالث عشر . وتوالت في الدولة بل تجاوزتها فتمكنت في مصر والشام ...

جرى الاصلاح وسار على وتيرة الا انه لم يستفد من هذا العلم كثيراً . وأن الأرصاد في استنبول ومصر وفي بيروت لم تكن مقرونة بعمل، فلا تجربة ولا قوة ولا نشاط ...

ولم تفد الرياضيات في العمارات ولا بناء الجسور والقناطر ولا الخزانات ولا تسوية الطرق ولا غير ذلك . وربما استخدمت لمصلحة الجيش بصورة ضئيلة ...

وهذه الفترة قضاها العالم الاسلامي والعربي في تطاحن قضى به على ما عنده، وصار أقرب الى الجهل . واستعراض حالة مثل هذه أجدها ضرورية في معرفة حالة الثقافة الفلكية مهما كان وضعها فنعلم مجاريها ....

والعراق لايزال يحوي جملة كبيرة من آثار أسلافه لهذه العهود وما قبلها

وان كان ذهب أكثرها ولم يبق الا القليل . وصرنا نلتمسها من خزائن الشرق والغرب . وهذا يقال في الشام ومؤلفاته ؛ فلا تزال بقية باقية يجب أن نتدارك أمرها . ولا شك أن غذاءنا العلمي مستمد من هذه الآثار ومن بصيص في المعرفة . ففي أيامنا الأخيرة اشتهر أفاضل وان كان الأمر لا يخلو من نقص في تقليل شأن المعرفة ، وفي العناية بالآلات المطلوبة . وفي هذه كلها حرمنا مما حدث من تجدد . ومع هذا نذكر رجالنا بأطيب الذكر من جراء أنهم حفظوا تراثنا .

ولا يكفي هذا الاجمال . ومن الضروري الدخول في التفصيل بقدر مع العلم لأن التتبع يحتاج الى تعاون ولأن الوثائق لا يزال بعضها في طي الخفاء . وجل أملنا أن تظهر ليكشف عن مبهم فينجلي حال العلم بوضوح . وبهذا تتكون صلة الماضي بالحاضر .

٢ — المصادر التاريخية (للفلك)

يصعب كثيراً أن نعين مصادر البحث للعهد العثماني بحيث تصلح أن تكون عامة وان كنا طرقنا أكثر ما ينبغي طرقه لمحاولة المعرفة من جميع وجوهها . ويؤسفنا أننا لم نعد الا القليل ، ولم ندرك الا النزر . فهل كان ذلك لنقص في المخلفات أم لأنها مختفية عن الأنظار ، أم أصابها التلف .

كل هذه الاحتمالات واردة . ومن المهم أن نقول اننا لم نجد ما نعتمده أو نعوّل عليه من المصادر العامة . وانما كتبنا الموضوع بالاستفناء من مختلف الآثار الخاصة في تواريخ الأشخاص وما قيل في مؤلفاتهم . وهذا غير مسبوق بغيره فليعذر المرء اذا وجد نقصاً ، ولعله يسعى جهده لإكماله ... والغرض تثبيت (التاريخ العلمي في العراق) ومنه (تاريخ علم الفلك) . وقد قيل قديماً

«العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك» . بذلنا جهوداً كثيرة . والأمل أن تقطع مرحلة في طريقنا نوضحها للسالك .

ومن أهم ما يعد مرجعاً خزائن الكتب بوجه عام ، ومن أجل ما هنالك (كتاب عثمانلي مؤلفلري) تعرض للتاريخ العلمي وبصر بالأشخاص . ومثله لعهد قصير كتاب الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية . وما جاء بعده من كتب الطبقات العثمانية ، وكتب التاريخ للتعرف بالمؤلفين ومن بينها كتاب سجل عثماني . وكل هذه لم تفرد موضوعاً الا أننا وجدنا بعض التراجم مفرقة فيها ورأينا كل الصعوبة في معرفتها .

ويصعب تعداد جميع المؤلفات . والغرض تاريخي لاعلاقة له بتفصيل (مادة الفلك) والرياضيات فقد توسعت كثيراً ، وزادت المؤلفات فيها . وكلها تكشف صفحات نافعة . ومطلبنا محدد في التاريخ وعلاقتنا به قليلة جداً فيما يخص الموضوع . وان ذكر الأمثلة والتوسع فيها خروج عن المطلب التاريخي وذلك يحتاج الى تبسط يخص أهل الفن كما فعل الأستاذ طوقان في كتابه (تراث العرب العلمي) أو كما فعل الأستاذ صالح زكي في كتابه (قاموس الرياضيات) وكتابه الآخر (آثار باقية) .

ومن المصادر الصالحة للأخذ (تحفة الكبار في أسفار البحار) لكاتب چلبي ، و (قاموس الأعلام) لشمس الدين سامي ، وأوليا چلبي في رحلته ... ومؤلفات (سيدي علي رئيس) .

٣ — علم الفلك في العراق

ان هذا العلم له صلة أكيدة بالعلوم الأخرى . فقد مضى في سبيله باستمرار . وكان غذاءه في الدرجة الأولى (كتب الهيأة) في عهد المغول والتركمان ،

وكذا المؤلفات السابقة . وكانت المدارس العلمية تمد بالمعرفة المنظمة . وكان سائراً في نهجه العلمي الا أنه حرم من المناصرة الكبيرة ، ولم يجد بذلاً زائداً في بناء رصد أو مساعدة العلماء .

وجلّ ما هنالك أن الاتصال العلمي لم ينقطع كما في عهد المغول .والتركمان ومن ثم كانت معرفته تحكي ما جرى وتمثل ما كان من تطور . وقد غلب عليها (الطريقة التعليمية) لا الابداعية (العلمية) ، فالمواهب لم تبرز وتظهر ظهورها في تلك الأقطار المناصرة لتقدم هذا العلم . صارت بغداد تابعة للأقطار منقادة لعلومها وتحقيقاتها وان كانت المادة منها . صارت تأخذ عن العثمانيين والايرانيين وتقوي ما عندها ، وتجدد النشاط . لم يصبها الخمول الا أنها لم تكن مرجعاً للأقطار بل صارت تلك الأقطار مرجع المعرفة لها .

نشاهد ذلك من أيام انتشار مؤلفات الطوسي وأضرابه ، ومن نقل بعض كتب الفلك الفارسية مثل تاج المداخل . والصلات بالأقوام أدت الى الاحتفاظ بهذا العلم المتجدد . ولم يغفل العراق هذه الخطة فكان في صلة تطميناً للرغبة العلمية بواسطة المدارس التي لم تنفك عن تدريس هذا العلم .

وفي هذا العهد نذكر علاقاتنا العلمية بالفلك في المدارس والاشتغال العلمي ، والاتصال بمتجددات الفن . وأكثر ما تظهر العلاقة بالعثمانيين ، وكانت سلطتهم واسعة تتناول جميع الأقطار العربية وتتصل بالغرب من جهة ، وبالايرانيين من أخرى . وكانوا يناصرون العلم كدولة مستقلة لها تشكيلاتها العلمية الخاصة وكيانها المعروف .

والسياسة والحروب لم تدع مجالاً للعثمانيين ولا للايرانيين أن تتقدم العلوم في أيامهم . وانما ابتلعت الحروب خزائنهم ، فباؤوا بالفشل وتسلط عليهم الغرب . وصاروا تلامذة الأمم الأخرى . وهذا الأمر غير مشرف للعراق في الأخذ والاقتباس العلمي . وانما كان ذلك تابعاً للأصل وهو كذلك .

وهذا لم يمنع من الاتصال والمعرفة ولو قليلاً . والغرض الاطلاع على ما جرى . وليس من شأننا العويل أو البكاء على الوضع العلمي والأيام دول . والضرورة التاريخية تدعو أن ندوّن هذه الصفحة بآلامها للاطراد في المباحث ، ومعرفة المكانة العلمية لهذا العلم خاصة في العراق وما أمكن معرفته من اتصاله بالفلك وعلومه .

وأكثر ما نحاول تدوين العلاقة بنا ، المتصلة اتصالها الأكيد . فاذا بحثنا عما عندنا توضح أكثر . والملحوظ ان المعرفة العلمية متمكنة لا تشوبها شائبة تعصب . ولم يمنع العلماء أن يأخذوا عن علماء الدولتين وان كان العثمانيون أكثر صلة بنا ، وهم أهل الدولة الحاكمة المتسلطة . والايرانيون مجاورون ومتداخلون من جراء الاتصال بالعتبات المباركة وبطريق الحج .

وفي هذا العهد نراعي الأدوار التاريخية على ترتيبها السياسي في تاريخ العراق لنكون على صلة بالأوضاع .

١ — العهد الاول : (الفلك في العراق)

من سنة ٩٤١ هـ — ١٥٣٤ م الى سنة ١١٦٣ هـ — ١٧٥٠ م .

يهمنا اتصالنا العلمي بالفلك . وان التأثير الخارجي لا يؤثر التأثير التام كتأثير المدارس وخزائن الكتب والاتصالات المباشرة في (المجالس العلمية) والبحوث رأساً في الموضوع . وان المؤلفات المنتشرة بين ظهرانينا من اعظم الدلائل على الاتصال العلمي . ولم نقف مكتوفي الأيدي من مؤلفات المعاصرين التي أصبح لها شأن .

ولعل أحد الأسباب المهمة في ضياع الاشتغال أو عدم الامكان من المعرفة هو كون بعض الآثار واختفائها ، ولم نجد من آثار زعزع هذا العلم ، أو تصدى

للتدوين لنكون على بيّنة من ماضينا . ولا شك أن العلوم المتداولة مثل ملخص الهيأة للجغميني وشروحه معروفة كثيراً وكذا الحواشي على تلك الشروح .

ومن مراجعة خزائن الكتب الموقوفة نشاهد مؤلفات كثيرة منها مدرسية ومنها علمية ، فلا يقال ان العراق جمد جموداً كبيراً ، فصار لا حراك به ، بل ان انتشار مؤلفات الفلك بين ظهرانينا تعين قيمة الاشتغال والرغبة فيه .

سيدي علي رئيس الفلكي البحري في بغداد

يعدّ من الأحداث المهمة في بغداد ورود سيدي علي رئيس في سنة ٩٦١ هـ — ١٥٥٣ م . وورد بغداد ليتولى ادارة الأسطول العثماني الرامي في البصرة ، ويقوم بمنصب قائد الأسطول المصري ، فذهب بعد وصوله الى البصرة فحدثت بعض الوقائع في شط العرب وما جاوره من تلك الأنحاء . ثم انه أصلح السفن الموجودة وسار الى مصر وفي طريقه اصطدم باسطول البرتغال في معارك طوحت به الى ساحل الهند فساعدت العدوّ زوابع قوية كانت أشد صولة فأغرقت سفنه أو ضعضعتها ، فالتجأ الى من هناك من المسلمين ...

عثر على رسائل في علم البحار وما يتعلق بالفلك شاهدها في تلك الأصقاع . فوجد ضالته فيها ، فنقلها الى التركية في مجموعة سماها بكتاب (محيط) حوى رسائل العرب وكان يأمل أن تعود دولته الى تلك الأنحاء فتكون على بصيرة من السير في تلك البحار لمقارعة البرتغال ، ولكن سفرته هذه كانت الأخيرة . وبقي أثره خالداً . ولم يطبع لأن دولته لم تجد حاجة اليه للدوام في حروب تلك الأنحاء مع أن ترجمته الى الألمانية من الأستاذ همّر الألماني قد طبعت ، فبينت (ثقافة العرب البحرية) في تلك الأنحاء واتصال الترك العثمانيين بها .

وكان مسبوقاً ببحارة عثمانيين الا أنه فاق بما خلّد من هذا الأثر العظيم . وله مؤلفات عديدة في علم الفلك منها :

١ — اسطرلاب .

٢ — ربع المجيب .

٣ — عمل الضرب بالجيب .

٤ — المقنطرات .

٥ — دائرة المعدل .

٦ — ذات الكرسي .

٧ — كل هذه جمعها في كتاب (مرآة الكائنات) في خمس مقالات و ١٢٠ باباً وكتبه باللغة التركية ، ومنه نسخة في خزانة أياصوفيا .

٨ — ترجمة فتحية في الهيأة نقلها من الفارسية الى التركية . منها نسخة في خزانة بشير أفندي .

٩ — محيط في علم البحار . مرت الاشارة اليه . ومنه نسخة في خزانة روان وأخرى في عثمانية .

١٠ — خلاصة الهيأة . ترجمة ملخص الهيأة الى التركية . منها نسخة في دار الكتب المصرية .

هذا ولابن سيدي علي رئيس (مرآة الكائنات في العمل بالآلات الفلكية) شرحه محمد أمين ابن الحاج عبد الرحيم في ٢٧ مقصداً ، سماه (المقاصد الجلية في حل الآلات الارتفاعية) . وبيان الوضع البحري وعلاقته بعلم البحار [1] .

والملحوظ أنه بعد أن اتصل سيدي علي رئيس بملوك الهند ، ونقل الى التركية (وسائل العرب) [2] في علم البحار في (محيطه) استعد لاحضار ما يلزم من معرفة عملية لعل دولته تعيد الكرة ، وكتب رحلته (مرآة الممالك) وفيها قص حياته ، وهي مهمة جداً [3] .

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين المجلد الرابع في صفحات عديدة منه . وفيه تفصيل .

(٢) هذه طبعت في مجلدين في باريس عدا الترجمة الى الفرنسية .

(٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤ ص ٨ وفيه تفصيل .

أثرت هذه الغلبة في التجارة ، فوقفت مدة . فتأثرت الحالة الاقتصادية وأصابها ركود عظيم بل اختلت . ولم يستعد العرب العلاقة بالهند الا من طريق الفريقين ، فكان ذلك ضربة قوية على التجارة في الشرق . وبهذا الكلام على البحرية وهذه ماتت عند العثمانيين في بحر الهند ، ونشطت للبرتغال ، ثم خلفتها بحرية الهولانديين والانكليز وغيرهما .

والفلك لم يتقدم في هذا العهد الا تقدماً قليلاً عند العثمانيين . وفقد عندنا مزايا كثيرة منها أننا لم نر حاجة اليه . وليس لدينا رصد . وفي الجوامع بعض موقتين جروا على تقليد من سبقهم وغالبهم يراعي موضوعه الا أن هذا تابع للقدرة الشخصية ولم يظهر عندنا من تلتفت الأنظار اليه ، فيؤلف تآليف نافعة تعدل في الوضع أو تبدل فيه تبديلاً مهماً . وقد قيل الحاجة أم الاختراع .

دام ذلك بالانحطاط لما أعقب الوضع من اضطرابات عديدة داخلية وخارجية ، والخلال في الادارة ، فشغل الناس بأنفسهم ، ولم نجد مدونات الى أن دخل السلطان مراد الرابع بغداد ، واستعادها من ايران بعد حروب قاسية وتدمير ماحق حتى سنة ١٠٤٨ هـ — ١٣٦٨ م . واذا كانت هناك مؤلفات فهذه انتهبتها الايدي العادية ، فلم تظهر أو لا تزال في زوايا الخفاء .

وجل ما علمنا أن العلم انحط . ونرى في البصرة من كتب لحسين باشا آل افراسياب كتاباً في الطالع عندي مخطوطة منه ناقصة الورقة الأولى وليس فيه من القدرة العلمية ما يستحق بها الذكر الا أنه صفحة من عقلية ذلك العصر .

وعندي مخطوط يسمى (بلوغ الأفهام في معرفة أقسام العام) كتبه باسم حسين باشا آل افراسياب كتب في شوال سنة ١١٢٢ هـ ولم أقف على اسم مؤلفه . ولم يبق ببغداد من كان له الشأن الكبير في تدريس هذا العلم ، فنرى الأستاذ الشيخ عبد الله السويدي لم يستطع أن يبرد غلة

من علم الفلك ممن كان في بغداد من العلماء ، فاضطر أن يذهب الى الموصل ليدرس الحكمة والفلك كما تنطق بذلك رحلته . قال : « سافرت الى الموصل سنة ١١٢٢ هـ لتحصيل علم الحكمة والهيأة فبقيت في الموصل ١٣ شهراً حتى أكملت جميع الفنون . » اهـ [١] .

ومما قرأه من كتب الدرس في الفلك ما أشار اليه في رحلته . قال :

« وأخذت علم الهيأة ، ورسائل الاصطرلاب ، وربع المجيب ، وذات الكرسي عن البحر الجامع ، والغيث الهامع عن سيدي (سليم افندي الموصلي) . وأخذت الحساب عن أخينا (الشيخ حسين) قراءة عليه (شرح الزمزمية) . وعن (الشيخ سلطان) قرأت عليه وعلى غيره خلاصة الحساب للبهائي . وأخذت الهندسة عن المصريين . . . » [٢] .

ومن هذه نعلم أن علماء ذلك العصر (سليم أفندي الموصلي) ، و (الشيخ حسين أفندي) ، و (الشيخ سلطان بن ناصر الجبوري) وغيرهم ولم يستقص اسماءهم وهم مدرسون ولم يكونوا فلكيين . فلا شك ان هؤلاء علماء الفلك والرياضيات ، وان الكتب المقروءة التي سردها منها كتب البهاء العاملي ، وشرح الزمزمية ولم يعين باقي أسماء مؤلفيها . وبعضها لا يمكن بيان اسم مؤلفه لوجود نسخ عديدة لمؤلفين مختلفين في نفس الموضوع . ولا تتضمن هذه المؤلفات أكثر من تكرار المعروف الا أن بعضها أهملت جادة تدريسه في مدارسنا . وكتب البهاء العاملي كانت تدرس في هذا الحين .

ومن المؤلفين في هذه الحقبة (مرتضى آل نظمي) . وله (رسالة المقنطرات والجيب) . ومن هذا الكتاب نسخة مذهبة مجدولة في مكتبة محمد عاصم بك

---

(١) النفحة المسكية في الرحلة المكية ص ١٢ .
(٢) كذا « « « ص ٢٦ .

من خزانة كوبريلي . كتبها باللغة التركية تبعاً لرغبته الأدبية في التدوين والا فان التدريس كان باللغة العربية .

ومرتضى آل نظمي مؤرخ عراقي معروف . جاءت ترجمته في تاريخ العراق بين احتلالين وتوفي سنة ١١٣٦ هـ [1] .

ومن هذا كانت معرفتنا بعلم الفلك ورجاله قليلة جداً ، فعرفنا من مدرسيه والآخذين عنهم والمؤلفين فيه جماعة . والطريقة في التدريس جارية على ما هو متبع ومنقول من الرحلة أو ما يشبهها الا أن شيوع التدريس حدث فيه تبدل قليل . والملحوظ أن هناك كثيرين لم يشتهروا بأكثر من التدريس وبوجه عام لم نشاهد من انهمرق لهذا العلم ، وانما صار يلتمس من الموصل لبقايا عهدت في رجالها ، وهذه صفحة مهمة أماط اللثام عنها (الشيخ عبد الله السويدي) على أنه لم ينعدم منا هذا العلم بل كما قلت (ضعف) .

٣ — عهد المماليك في العراق

من سنة ١١٦٣ هـ — ١٧٥٠ م الى سنة ١٢٤٧ هـ — ١٨٣١ م

ان تقدم العلوم وتكاملها مقرون بالطمأنينة والراحة . وان ما حدث من تبدل في الحكم وانتقاله الى المماليك ، وكذا ما حدث بعد ذلك من نزاع على الولاية لم يهم الا رجال الدولة والجيش . ولم يتأثر بذلك الأهلون الا قليلاً . ولذا لم يطرأ اضطراب قوي يؤثر على حالة العلماء . والعلوم ومنها الفلك هذا شأنه .

ويهمنا الاشارة الى أن الولاة في بغداد لم يعنوا بهذا العلم . وانما سار في تقدمه من طريق المدرسة ، وان الرغبة فيه من أكبر المسهلات لتقدمه . وان الدولة العثمانية شرعت في الاصلاح لضرورة حربية فأنشأت (المهندسخانة) أي دار الهندسة أو (كلية الهندسة) فظهر علماء في الرياضيات والفلك . ولا يتكر

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥ في صفحات متعددة منه .

في هذه الحالة أن ينال العراق نصيبٌ من هذه المعرفة ولو من طريق الاتصال بما نشر من مؤلفات .

ومما لا ريب فيه أن تقدمه الكبير لم يظهر في العراق حتى ولا في أصل الدولة . وان المماليك قطعوا أكبر العلاقات بن الدولة ، فلم يلتفتوا الى تقدم الفلك والرياضيات . وان الاشتغالات في الفلك جرت على سيرتها السابقة . ومع هذا ظهر بعض الافاضل فدوّنوا بعض الرسائل أو المباحث ، فلم يكونوا بعيدين عن هذا العلم الا أن ذلك محدود .

ونذكر علماء هذه الحقبة ونبين مؤلفاتهم ، وفي ذلك صفحة واضحة للمعرفة على اننا لم نقطع أملنا في العثور على مؤلفات أخرى . ولكنها لا تزيد بأكثر من الأمثلة ولم يكن هناك ما يحقق تعديلاً كبيراً ، ولا ما يدعو لظهور نوابغ خدموا هذا العلم .

ومن البيوت المعروفة بالعلم في هذا العهد (بيت الحيدري) ورد بغداد صبغة الله الكبير بن ابراهيم . وكان يدرس علوم الهيأة ولاخوته علم وفضل ومنهم اسماعيل له شرح على الاسطرلاب للبهاء العاملي . ولابنه صالح بن اسماعيل حواش على خلاصة الحساب . ولعبد الله بن صبغة الله المذكور حواش على الجغميني في الهيأة .

وذكر في عنوان المجد ان لابراهيم بن حيدر والد صبغة الله الكبير من المؤلفات (شرح تشريح الأفلاك) في الهيأة . وذكر لوالده حيدر المذكور (حاشية على أشكال التأسيس) في الهندسة .

وفي هذه المؤلفات ما يعين الوضع بالوجه المذكور فلم يحصل تقدم يذكر في علم الهيأة وما يتعلق به . ومن الضروري التحري عن هذه المؤلفات ومحل وجودها .

وهنا لا نمضي دون الاشارة الى أن الشيخ عبد الله السويدي أخذ علم الفلك عن علماء الموصل وذكر من أخذ عنهم في رحلته . ولكنه لم يعرف لهؤلاء الا تدريس هذا العلم . وهو أيضاً أخذ الا انه لم يبد له تأليف في موضوعه .

فقد احتفظوا بدرسه وتدريسه ووقفوا عند ذلك . ولعلّ هذا مما مكّن هذا العلم فصار يقرأ ويؤخذ من العلماء ، فدبّ النشاط وتوالى التأليف ... وذلك في عهد ما قبل المماليك . ثم تمكن في أيامهم وظهر الاشتغال به والتأليف في مطالبه ...

ومن علماء هذا العهد من قد تبع رغبته ودوّن بعض المؤلفات غير من ذكروا :

١ — السيد عبد الله الفخري :

هو أبو محمد من آل الفخري الأسرة الموصلية المعروفة كان كاتب الانشاء ببغداد في أيام المماليك ومقدماً عند الوزراء بعيد الصيت في الآداب العربية والتركية . جاءت ترجمته في الروض النضر ، وفي منهل الأولياء ، فهو أديب كامل . ومثله ابنه اسعد الفخري . قال صاحب منهل الأولياء : « وقفت له على شرح رسالة البهاء العاملي في علم الهيأة ، فوجدت علماً عظيماً وفطنةً وقّادةً وأسراراً غريبة » اهـ . ذكرت ترجمته في التاريخ الأدبي .

ومن مؤلفاته :

١ — شرح تشريح الأفلاك . منه نسخة في خزانة الأوقاف من بين كتب السيد نعمان خير الدين الألوسي .

وعليها :

١) حاشية . للشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ عبد الله السويدي المتوفى سنة ١٢٠٠ هـ أولها : سبحانك ما أجل صفاتك . أثنى فيها على السيد عبد الله الفخري ولعلها مسودة المؤلف .

٢ — سوانح القريحة في شرح الصفيحة في الاسطرلاب للعاملي . أولها : تبارك الذي جعل في السماء بروجاً ... وهذه النسخة في خزانة الأوقاف العامة بين كتب السيد نعمان خير الدين الألوسي . كتبت سنة ١٢٤٠ هـ بقلم الأستاذ السيد محمود الألوسي . ومنها نسخة أخرى في الخزانة المذكورة ليس لها تاريخ .

٣ — رسالة في كيفية العمل بالصفيحة . منها نسخة في خزانة الأوقاف العامة بين كتب السيد نعمان خير الدين الآلوسي .

توفي سنة ١١٨٨ هـ — ١٧٧٤ م .

٢ — الشيخ عبد الرحمن السويدي :

هو ابن أبي البركات الشيخ عبد الله السويدي . ذكرته في التاريخ الأدبي . ولد سنة ١١٣٤ هـ — ١٧٢٢ م . وله من المؤلفات في الفلك :

١ — حاشية على شرح تشريح الأفلاك للسيد عبد الله الفخري . منها نسخة في خزانة الأوقاف العامة . كما أشير الى ذلك .

٢ — حاشية على شرح الملخص في الهيأة . ولم يتعين لنا صاحب الشرح . ولا شك أنه شرح قاضي زاده فهو المتداول . أولها : الحمد لله الذي جعل لنا الأرض مهاداً ... وهي تعليقات على بعض المباحث المغلقة . كتبها بطلب من أخيه الأصغر شهاب الدين أحمد بن أبي البركات الشيخ عبد الله السويدي . منها نسخة في خزانة الأوقاف العامة بين كتب السيد نعمان خير الدين الآلوسي .

وتوفي في ٢٠ ربيع الثاني سنة ١٢٠٠ هـ — ١٧٨٦ م . وترجمته في المسك الأذفر [١] وفي سلك الدرر [٢] وفي التاريخ الأدبي .

٣ — أحمد بن محمد بن خضر البغدادي :

لا نعلم عن حياته أكثر من معرفة اسمه ، وانه كان في أيام داود باشا . وله :

١ — نقش الصفيحة . شرح الصفيحة في الاسطرلاب للعاملي . قدمها الى داود باشا وزير بغداد وأطرافه . كتبت بقلم المؤلف سنة ١٢٣٨ هـ — ١٨٢٢ م ونسختها الأصلية في خزانة الأوقاف العامة بين كتب السيد نعمان خير الدين الالوسي .

(١) ص ٦٥ .
(٢) ج ٢ ص ٣٣٠ .

٤ — محمد أمين السويدي :

ذكرته في التاريخ الأدبي . وله من المؤلفات :

١ — الجواهر واليواقيت في معرفة القبلة والمواقيت .

٥ — صالح السعدي الموصلي :

أديب كامل ، وهو عارف بالفلك متقن لمطالبه . ذكرته في التاريخ الأدبي وفي تاريخ الخط العربي في العراق . ومواهبه جمة ، وعلمه غزير .

وله من المؤلفات في الفلك :

١ — حاشية على الجغميني في الهيأة . وهذه حاشية على شرح الملخص في الهيأة لقاضي زاده الرومي .

توفي شهيداً سنة ١٢٤٥ هـ .

٦ — محمد بن عبد الله الزيارتي :

أخذ عن أستاذه المشهور يحيى المزوري وكان قرأ عليه الملخص في الهيأة . وشاهد المسألة الشميرية من أعوص المسائل . وكتب فيها رسالة أولها : الحمد لله الذي أقام السماوات بأمره ... قدمها الى داود باشا والي بغداد . وعندي مخطوطتها برقم ١٤٩ .

وهو صاحب كتاب (توحيد الصانع ببرهان التمانع) . ذكرناه في كتب العقائد ، قدمه الى داود باشا وأطرى أيضاً أستاذه المزوري .

(يتبع) عباس العزاوي

تاريخ فكرة إعجاز القرآن

منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر؛ مع نقد وتعليق

— ٦ —

٤ — ابن عطية :

يتكلم ابن عطية المفسر (٥٤٣ هـ) في تفسيره (Ms Berlin Spr 408) عن الإعجاز وقد ذكر رأيه السيوطي (الإتقان ج ٢ ، ص ١٩٨) فقال : « وقال ابن عطية : « الصحيح والذي عليه الجمهور والحذاق في وجه إعجازه أنه بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه وذلك أن الله أحاط بكل شيء علماً وأحاط بالكلام كله فاذا أراد ترتيب اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى وتبيّن المعنى بعد المعنى ثم كذلك من أول القرآن الى آخره والبشر يعمهم الجهل والنسيان والذهول ومعلوم ضرورة أن لا أحد من البشر يحيط بذلك فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة وبهذا يبطل قول من قال إن العرب كان في قدرتهم الإتيان بمثله فصرفوا عن ذلك والصحيح أنه لم يكن في قدرة أحد قط ولهذا ترى البليغ ينقح القصيدة أو الخطبة حولاً ثم ينظر فيها فيغير فيها وهلم جرّا وكتاب الله تعالى لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب على لفظة احسن منها لم يوجد ونحن يتبين لنا البراعة في أكثره ويخفى علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق وجودة القريحة وقامت الحجة على العالم بالعرب إذ كانوا أرباب الفصاحة ومظنّة المعارضة كما قامت الحجة في معجزة موسى بالسحرة وفي معجزة عيسى بالأطباء فإن الله إنما جعل معجزات الأنبياء بالوجه الشهير أبدع ما يكون في زمن النبي الذي أراد إظهاره » .

ويتبين لنا من هذا النص الواضح أنه ينكر الصرفة لأنه ليس في استطاعة العرب أن يحيطوا بالألفاظ والمعاني إحاطة الله ثم هو يجعل النظم دليل الإعجاز ويعلل بلوغه الغاية في النظم وصحة المعاني وتلاؤم الألفاظ بأنه كلام الله فهو لا يلجأ إلى مقارنته بكلام الناس وإنما يجعل الدليل مدلولاً والمدلول دليلاً فيدور في حلقة مفرغة ثم يرجع ما لا ندرك فيه الغاية في البلاغة من القرآن الى قصورنا لا الى أن في القرآن فصيحاً وأفصح منه كما يرى ابن حزم والخفاجي ثم هو يرى أن العرب زمن النبي كانوا أفصح ممن جاء بعدهم وأبين وأقدر على القول وأعرف بجميله وهذا ما لا أقره عليه كما ذكرت في بدء البحث أثناء الحديث عما دار بين العرب والقرآن .

٥ — ابن رشد :

قال الرافعي في كتابه الإعجاز : «لفيلسوف الإسلام القاضي أبي الوليد ابن رشد المتوفى سنة ٥٩٥ هـ كلام حسن في آخر كتابه (فصل المقال) لم نر مثله لأحد من العلماء بين فيه كيف احتوى القرآن الكريم على طرق التعليم المنطقية بجملتها تصوراً وتصديقاً وقد جعل الفيلسوف ذلك من إعجازه وهو وجه لو كان بسطه واستوفاه واستبرأ معانيه لجاء منه بكل عجيب غير أنه رحمه الله أشار اليه في الكلام إشارة وجاء به عرضاً لا غرضاً» ويفصل الرافعي ذلك في ص ٢٨١ من كتابه .

وقول ابن رشد هذا هو من باب مذهب الغزالي القائل بأن القرآن قد حوى مبادئ العلوم كلها ويتصل من قرب بالنظرية العلمية في الإعجاز وليس في هذا القول مؤيد للإعجاز لأنه مجرد تمحك واصطناع للأدلة لما نعلم من أن القرآن لم يأت ليشرح العلوم أو يعدد نظريات المنطق وإذا كان قد استعمل في براهينه طرقاً شرحها المناطقة في كتبهم فذلك لا يعني أنه قصد الى ذكرها

فيه باعتبارها مبادئ علم المنطق وإنما لأن للفكر الإنساني في البرهنة في كل عصر وبيئة طرقه العقلية العامة التي هي قدر مشترك بين الناس. والتي وجدت قبل أن يوجد علم المنطق وكان من الطبيعي أن يعرفها غير المناطقة بالبديهة وبممارسة الدفاع عن الرأي والاحتجاج له .

تلخيص ونقد :

أختتم هذا العصر بملاحظة أن النظرية العلمية في الإعجاز ذكرت فيه لأول مرة على لسان الغزالي فيمن اطلعت على آرائهم حتى زمنه من الباحثين ثم تلاه في القول بها القاضي عياض ثم ابن رشد الذي وجد في هذا العصر نفسه وتكلم في ناحية منها . ونلاحظ أن الباقين كانوا مقلدين أو جامعين لآراء من قبلهم وأن الزمخشري منهم يقول بإعجاز القرآن من حيث البيان ويسرد رأيه هذا في تفسيره الكشاف ولكنه يقول بأن القرآن حادث ومن غير ذلك لا يكون معجزاً لأن التحدي يبطل حينئذ ولا يصح لاستحالة الإتيان بمثل القديم .

* * *

القرن السابع الهجري

أشهر من تكلم على فكرة الإعجاز في هذا العصر فخر الدين الرازي المفسر المتكلم والسكاكي الأديب أحد علماء البلاغة وابن العربي الصوفي المتكلم وعلي الآمدي وحازم القرطاجني المتكلمان . وفيما يلي كلمة في كل منهم .

١ — فخر الدين الرازي :

تحدث الإمام فخر الدين الرازي (٦٠٦ هـ) عن الإعجاز في عدة كتب له ويقول عبد العليم الهندي أنه لم يأت بجديد من عنده ويذكر أنه إنما اختصر كتابي الجرجاني : دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة ونظمهما من جديد في كتابه

«نهاية الايجاز في دراية الإعجاز» الذي جاء برأي الجرجاني في صورة أوضح .
ويتعرض الرازي لهذه المسألة في تفسيره وفي كتابيه في علم الكلام : «معالم أصول الدين» و «محصل أفكار المتقدمين» .

أما كتاب نهاية الايجاز فيمكن تلخيصه بما يلي :

١ — ذكر الرازي أن الدليل على إعجاز القرآن عجز العرب عن معارضته مع أنهم تحدوا اليها .

٢ — ثم يقول إن للناس أربعة مذاهب في وجه كونه معجزاً :

آ) مذهب الصرفة ، وبعد أن يشرحه كما قال به النظام ينقضه بأنه لو كان صحيحاً لما تعجب العرب من فصاحة القرآن ولكان نسيان العرب للصيغ المعلومة في مدة يسيرة دالاً على زوال العقل ومعلوم أن العرب لم تزل عقولهم بعد التحدي .

ب) مذهب مخالفة أسلوبه لأسلوب الشعر والخطب والرسائل لا سيما في مقاطع الآيات مثل يعلمون وتعلمون ويراه باطلاً لخمسة وجوه :

١) لو كان الابتداء بالأسلوب معجزاً لكان الابتداء بأسلوب الشعر معجزاً .

٢) الابتداء بالأسلوب لا يمنع من الاتيان بمثله .

٣) يكون ما ألفه مسيلمة على الأسلوب نفسه معجزاً .

٤) لا يقع تفاوت حينئذ بين «ولكم في القصاص حياة» وبين «القتل أنفى للقتل» .

٥) وصف بعض العرب له بأن له حلاوة وأن عليه لطلاوة لا يليق بالأسلوب حينئذ .

ج) مذهب أن الإعجاز في عدم التناقض ويرد عليه بأنه يلزم حينئذ عد كثير من الكلام غيره معجزاً لخلو كثير من الكلام منه .

د) مذهب جعل الإعجاز في الإخبار عن الغيوب وهو عنده باطل لأن الغيوب لا توجد في كل سورة وآية . ولم يبق في رأيه من كون القرآن معجزاً إلا الفصاحة .

هذا هو رأيه موجزاً ونلاحظ عليه أنه نقض كل المذاهب التي ذكرها وقصر الإعجاز على الفصاحة وسنرى أنه يناقض رأيه هذا في تفسيره كما نلاحظ أنه لا ينظر الى الإعجاز الا من جهة واحدة .ويقع فيما وقع فيه غيره من أنه يقدم وجهاً وينكر ما عداه ولا ينظر الى القرآن نظرةً عامةً جامعة ليرى أنه معجز لعدة أمور اجتمعت بعضها الى بعض فكونت جماله؛ فلا شك في أن للأسلوب وعدم التناقض وجمال المعنى أثراً كبيراً في جمال الكلام . ثم لا بد هنا من ملاحظة أن السيوطي ذكر رأي الرازي في الإعجاز .فقال إنه الفصاحة وغرابة الأسلوب والسلامة من جميع العيوب. وقد رأينا هنا أنه يرفض أن تكون غرابة الأسلوب وجهاً في الإعجاز فيتبين في ذلك خطأ السيوطي في نقله رأي الرازي .

وأما ما ذكره الرازي في تفسيره الكبير مفاتيح الغيب عند تفسير آية التحدي في سورة البقرة « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الخ » فيمكن تلخيصه فيما يلي :

١ — إن ذكر هذه الآية في القرآن هو للبرهان على صحة النبوة .

٢ — يمكن بيان كونه معجزاً من طريقين : آ) القرآن معجز لأنه زائد على سائر كلام الفصحاء بقدر ينقض العادة ودليل ذلك عجز العرب عن معارضته بعد أن تحداهم برغم دواعيهم وعداوتهم وحميتهم ثم يقول إنه اجتمع في القرآن وجوه كثيرة تقتضي نقصان فصاحته وهو مع ذلك في النهاية من الفصاحة؛ منها : ١) ان فصاحة العرب فيما تقع عليه مشاهدهم وأحاسيسهم من بعير وجمل ... ولم يتكلم القرآن في شيء منها فكان يجب ألا تحصل فيه الألفاظ الفصيحة التي اتفق العرب عليها في كلامهم . ٢) إن القرآن تجنب الكذب ومع ذلك فهو فصيح والشعر أعذبه أكذبه ولهذا نزلت قيمة شعر حسان ولبيد بعد الإسلام لتحريهما الصدق . ٣) لا تقع الفصاحة في كل كلام الشاعر أو الخطيب والقرآن كله فصيح . ٤) كل فصيح إذا كرر الكلام في موضوع واحد لم يحافظ على فصاحته الأولى والقرآن فصيح في تكراراته الكثيرة . ٥) إنه يتكلم

في العبادات وأحكام الدين والآخرة والكلام فيها يوجب نقص الفصاحة وهو مع ذلك فصيح ٠ ٦ً) كل شاعر ينبغ ويحسن شعره في فن والقرآن كان فصيحاً في كل فن يتكلم فيه ٠ ٧ً) القرآن أصل العلوم كلها ، ولكنه حين عددها عدّ منها علم الكلام والفقه وأصول الفقه واللغة والزهد وأخبار الآخرة ومكارم الأخلاق ٠

ونلاحظ أنه في الوجوه الستة الأولى يكرر ما قاله الباقلاّني قبله أما في الوجه السابع فيذهب مذهب الغزالي وقد ذكر الأستاذ أمين الخولي أن الرازي هذا قد عرض لقضية الإعجاز العلمي أثناء تفسيره (التفسير : معالم حياته ومنهجه اليوم ، الخولي ص ٢٠) ٠

ب) الطريق الثاني للبرهان على الإعجاز أن القرآن إذا لم يكن معجزاً ولكن العرب مع توفر دواعيهم لم يستطيعوا معارضته فعجزهم أمر خارق للعادة فكان ذلك معجزاً وهذا الطريق في نظر المؤلف أقرب للصواب وهنا نراه يناقض ما جاء به في كتابه «نهاية الايجاز» فقد نقض الصرفة هناك وأخذ بها هنا ٠

٣ً — يذكر اعتراض العرب زمن النبي على أن القرآن من جنس كلامهم فهو ينزل بحسب المناسبات وردّه عليهم بتحديهم بمثله إن استطاعوا ذلك ٠

٤ً — يذكر أن التحدي في القرآن وقع على وجوه ثم يذكر التدرج في هذا التحدي وهو يرى أن القرآن تحداهم بالأكثر فالأقل حتى انتهى الى التحدي بسورة ثم يقول إنه ربما ادّعى مدّع أن الاتيان بمثل سورة الكوثر غير معجز فاذا ادعيتم انه معجز كابرتم فهو في مقدور البشر فيردّ المؤلف أنه لهذا يفضل الصرفة وجمع القول بالصرفة الى القول بالإعجاز من حيث الفصاحة ٠ وهنا نلاحظ كيف أصبح المتأخرون من المؤلفين يجمعون بين النقيضين في البرهنة على قضية الإعجاز وقد سبقه الى ذلك الرماني من المؤلفين الذين درسناهم ٠

٥ً — يتعرض لقضية الجبر في مناقشة مسألة الاعجاز فيقول : قال القاضي

— ولا ندري من يقصد به — ويذكر ما معناه أن القول بالتحدي يبطل الجبر لأن الانسان لا يتحدى الا بشيء قادر عليه فاذا كانت أفعال الإنسان ليست له وإنما هي من صنع الله فيبطل التحدي لأن الله حينئذ يتحدى نفسه والنبي إنما يحتج بكونه معجزاً لأنه من عند الله والجبر يجعل الأفعال كلها من عند الله ولا يكون فرق بينهما ويتساوى المعجز وغير المعجز ويرد على قول هذا القاضي بأن إتيان الخصم بالتحدي موقوف على أن يحصل في قلبه قصداً إليه لا اتفاقاً فإذا كان منه لزم التسلسل وهو محال وإن كان من الله تعالى فحينئذ يعود الجبر ويبطل ما قال القاضي .

ونحن نرى أن مثل هذه المناقضة الكلامية لا تحل هذه المسألة الفلسفية وليس أحدهما بأقوى حجة من الآخر وكل منهما يجعل بنيانه على أساس جدلي وهو أساس هار ينهار به الى سفسطة من الكلام ليس لها نتيجة .

٦ — يذكر أن شدة التحدي في قوله : « ولن تفعلوا » دليل على صدق النبي وثقته بنفسه وعلمه بعجز الناس عن معارضة القرآن ثم يقول إنه لم يستطع إنسان معارضته من أيام النبي الى الآن وهذا مؤيد لقوله .

٢ — السكاكي :

جرى السكاكي (٦٢٦هـ) في كتابه مفتاح العلوم على سنن عبد القاهر الجرجاني وزاد عليه فيه بعض أبحاث في علم البديع لم يطرقها هذا كما استرسل فيه أكثر منه في صبغ البلاغة بالصبغة الفلسفية . وقد بوب فيه بحوث البلاغة ونظمها وأعطاها شكل القواعد التي بين أيدينا الآن . وكل من جاء بعد السكاكي فإنما أخذ عنه أو شرحه .

والسكاكي في كتابه مفتاح العلوم يقول بأن القرآن معجز بالنظم على طريقة عبد القاهر ثم يرى ما يراه هذا من أن الإعجاز يدرك بالذوق وطول خدمة علم البلاغة وممارسة الكلام البليغ . وقد قال السكاكي

أولاً بإمكان تعليل الاعجاز وبيان وجهه واندفع مع القائلين بذلك ثم نكب عن هذه الطريقة ورفض القول بها وفي ذلك يقول : « واعلم أن شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة ، ومدرك الإعجاز عندي هو الذوق ليس إلا وطريقة الذوق خدمة هذين العلمين (مفتاح العلوم للسكاكي ص ١٧٦) .

ثم يتصدى السكاكي لبيان بطلان ما يذكره معللو الإعجاز من الأوجه وجهاً وجهاً ويقول بعد ردها كلها : « فهذه أقوال أربعة يخمسها ما يجده أصحاب الذوق من أن وجه الإعجاز هو أمر من جنس البلاغة والفصاحة ولا طريق لك الى هذا الخامس إلا طول خدمة هذين العلمين بعد فضل إلهي من هبة يهبها بحكمه من يشاء وهي النفس المستعدة لذلك فكل ميسر لما خلق له ولا استبعاد في إنكار هذا الوجه ممن ليس معه ما يطلع عليه فلكم سحبنا الذيل في إنكاره ثم ضممنا الذيل ما إن نذكره فله الشكر على جزيل ما أولى وله الحمد في الآخرة والأولى ». (ص ٢١٦ من المرجع نفسه) .

وبهذا يكون السكاكي قد اهتدى الى الطريقة الصحيحة المعقولة في القدرة على فهم الإعجاز دون تعليله بقواعد جافة يناقض بعضها بعضاً ولا سيما وأن مقومات القول الجميل لم تكن قد فصل القول فيها بعد كما هو الأمر في عصرنا حين تم امتزاجنا بالثقافات الغربية الحديثة واطلاعنا على آداب أوسع آفاقاً من أفق أدبنا المقصور على أنواع من الكلام دون أخرى .

٣ — ابن العربي :

ترى لابن العربي (المتوفى سنة ٦٣٨ هـ) رأياً في الإعجاز ذكره السيوطي نقلاً عن كتابه الذي وصفه السيوطي بأنه لم يصنف مثله (الاتقان ج ٢ للسيوطي ص ١٩٨ وما بعدها) ويتلخص فيما يلي :

١ — عرّف المعجزة بأنها أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة ثم قسمها الى حسية وعقلية وقال إن معجزات بني اسرائيل كانت حسية لبلادتهم وقلة بصيرتهم ومعجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكاء أبنائها .

٢ — معجزة القرآن خالدة أبد الدهر لأن الشريعة الإسلامية خالدة ويذكر بهذه المناسبة حديث النبي : «ما من الأنبياء نبي أعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله اليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً ، أخرجه البخاري» .

٣ — خرق القرآن للعادة هو في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به وقال إن معجزات القرآن تشاهد بالبصيرة — وذلك أثناء شرح الحديث النبوي السابق — فيكون من يتبعه لأجلها أكثر لأن المحسوس ينقرض بانقراض مشاهده بعكس المعقول الذي يبقى فيشاهده كل من جاء بعد الأول .

وابن العربي هنا لا يأتي بجديد وهو من المؤلفين الذين يأخذون آراء من سبقوهم كما هي بدون ابتكار أو تجديد فيضمون رأياً الى آخر أو يفردون رأياً عن آخر من دون أن يبرهنوا برهاناً مقنعاً أو كافياً على العلة التي فضلوا بها الرأي الذي نصروه .

٤ — الآمدي :

تكلم علي بن أبي علي الآمدي (٦٣١ هـ) في كتابه «أبكار الأفكار» (M S Berlin Pet. 233) على الإعجاز وهو يقصر عمله فيه على شرح وتفصيل أدلة السابقين وشأنه في ذلك شأن غيره من المتكلمين المتأخرين الذين يفيضون في الكتابة ليوضحوا دليلاً من هذه الأدلة وهو يضع أسئلة يتوقع أن تثار في ذهن القارئ ثم يرد عليها .

أما خلاصة رأيه في الإعجاز فقد ذكرها الألوسي في مقدمة تفسيره وهي أن الإعجاز بجملة القرآن وبالنظر الى نظمه وبلاغته وإخباره عن الغيب ويقول الألوسي إن رأي الآمدي هذا قد ارتضاه الكثيرون (الألوسي ج ١ من تفسيره ص ٢٩) .

والآمدي في قوله بأن القرآن معجز بجملته إنما يجمع جملة آراء المتقدمين وينظر الى القرآن نظرة عامة شاملة لا نظرة ضيقة من ناحية واحدة كما فعل كثيرون غيره .

٥ — حازم القرطاجني :

ونرى في هذا العصر حازم بن محمد القرطاجني (٦٨٤هـ) يؤلف كتابه «منهاج البلغاء» ويقول عبد العليم الهندي (في مقالته السابقة) بأنه يوجد كتاب للكاتب نفسه في مكتبة بالمدينة باسم «البرهان القاصف عن إعجاز القرآن» ولعله كتاب منهاج البلغاء نفسه .

أما خلاصة رأيه في الإعجاز فقد أوردها السيوطي (الإتقان ج ٢ بحث الإعجاز) وهي : «وجه الإعجاز في القرآن من حيث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحائها في جميعه استمراراً لا يوجد له فترة ولا يقدر عليه أحد من البشر وكلام العرب ومن تكلم بلغتهم لا تستمر الفصاحة والبلاغة في جميع أنحائه في العالي منه إلا في الشيء اليسير المعدود ثم تعرض الفترات الإنسانية فينقطع طيب الكلام ورونقه فلا تستمر لذلك الفصاحة في جميعه بل توجد في تفاريق وأجزاء منه» .

ويتجلى بذلك أن حازماً هذا لم يعمل أكثر من أن أخذ أحد براهين الباقلاني في الإعجاز وهو «استمرار الفصاحة في كل أقسام القرآن» ووسعه بدون أن يضيف اليه جديداً غير تعليله بأن تقصير البشر ناتج عن اعتراض الضعف الانساني لهم في فترات الكلام .

نقد وتلخيص :

الفكرة العامة التي نأخذها عن مؤلفي هذا العصر الذين تكلمنا عنهم هي أنهم كانوا مجرد ناقلين أو شارحين أو جامعين لآراء من سبقوهم وأن أحدهم وهو الآمدي يصلح أن يكون مثالاً من المتكلمين المتأخرين فهو يأخذ حجج من قبله فيوسعها وقد رأينا انه ينظر الى القرآن نظرة عامة فالقرآن معجز عنده بجملته ولكنه في هذا أيضاً متبع وليس مبتدعاً ورأينا أن فخر الدين الرازي ينكر الصرفة في كتاب وينصرها في آخر وأنه يجمع في هذا الأخير بين النقيضين : الصرفة والبلاغة ، دون أن يرى مانعاً عقلياً من ذلك .

(يتبع) نعيم الحمصي



التعريف والنقد

الأمثال العامية اللبنانية من رأس المتن

ألفه أنيس فريحة في جزئين

٧٤٨ صفحة من قطع الوسط

طبع على مطابع المرسلين اللبنانيين في جونية سنة ١٩٥٣

الأستاذ المؤلف من أساتذة الجامعة الأميركية في بيروت وقد ولد في مقاطعة رأس المتن ولذا كان ثقةً في ما قاله وحققه من أمثال بلده . وقد أشار الى ذلك في عنوان كتابه مذ سماه بهذا الاسم ، مصرحاً بأن أمثاله في كتابه إنما راعى في جمعها بلده الذي نشأ فيه . على أن هذه الأمثال - كما قال في المقدمة - يشارك المتن أو لبنان فيها غيره من الأصقاع العربية كبيروت وحوران وبغداد وغيرها لكنه هو لا يذكر في الكتاب الا ما كان معروفاً من الأمثال في بلده وقد قاسى أتعاباً جمةً في جمع تلك الأمثال وتهذيب ألفاظها وغربلتها ومقارنتها بغيرها .

وما كان يقع في كنه كل هذه الأمثال لولا أنه أعلن بين أبناء قومه أن من جاءه بمثل لا يعرفه فله ثمنه فرنك ، فتساقطت عليه قوائم الأمثال من كل جانب . وقد خدم الأستاذ وطنه بهذا التأليف - وان كان المقصود الأعظم في هذه الخدمة الشعب الانكليزي - فقد قدم لكتابه مقدمة بالانكليزية وترجم الأمثال الى الانكليزية ، وليس للعربي من كتابه الا قراءة نصوص الأمثال فلا يجد القارئ العربي في الكتاب مقدمةً عربية ولا تعليقاً على مضرب المثل

ولا موضع التمثل به ، ولا سيما الأمثال التي يخفى مغزاها على العربي من غير أبناء المتن .

ولا يخفى أن أمثال كل شعب إنما هي مرآة تريك من أمر حياته ما يخفى على غيره وخاصة أخلاقه ولهجته التي يتميز بها عن أصحاب اللهجات الأخرى . فاذا سمعت من يتمثل بقوله (إذا شفت أعمى طبُّوا إنت منك أرحم من ربُّو) حكمت أن هذا الشعب قاسي القلب مثلاً .

وفي بعض أمثال الكتاب اختلاف عما هو في لهجة البلاد الأخرى مثل : (أكل فول ورجع للأصول) . ولما كان الشعب اللبناني مسلماً مسيحياً كانت أمثال الكتاب مشيجاً من لهجة الفريقين ومعبّرة عن أخلاقهما وطباعهما : فبينا تسمع المسيحي يقول : (الخوري بيغلط بالانجيل) إذ أنت تسمع المسلم بجانبه يقول : (أمك داعية لك في ليلة القدر) غير أن هذا المثل المسلم أغار عليه المسيحي فاستبدل تعبير (مصلاّية لك) المسيحي بتعبير (داعية لك) المسلم . وهذا كالبيتين من الشعر كنا نسمع شباب المسلمين في طرابلس يغنون بهما هكذا :

(كسرَ الجرَّة عمداً وسقى الأرض شرابا)

(صحتُ والاسلامُ ديني ليتني كنتُ ترابا)

فقوله (والاسلام ديني) هو الذي يأتلف مع قوله (ليتني كنت ترابا) الآية القرآنية . غير أن الشبان المسيحيين غيروهما الى ما يوافق لهجتهم الدينية فكانوا ينشدونها هكذا : (صحتُ والصهباء ديني) .

وفي الكتاب أغلاط مطبعية طفيفة مثل (يخبز) بكسر الخاء . و (ليلة القدر) بكسر التاء .

وربما كان هذا الكتاب أجمع كتاب للأمثال العامية العربية وأقربها تناولاً وفائدة .

محمود سامي البارودي

قد يقال ان الشعر العربي في حديث نهضته وتشبب حلته مدين لمحمود سامي البارودي ، كما ان النثر العربي في مثل ذلك مدين للشيخ محمد عبده وآثار قلمه في (العروة الوثقى) ، وشعر البارودي جمع بين جزالة الشعر العربي القديم وسلامة الشعر الذي يتطلبه أبناء هذا العصر .

يدرك هذا من قرأ (ترجمة البارودي) في كراسة لطيفة الحجم حسنة الترتيب والوضع كتبها الأستاذ عمر الدسوقي وأصدرتها دار المعارف بمصر في التعريف بالشاعر المذكور . وهي الرقم الرابع من سلسلة الرسائل التي يكتبها الأستاذ الدسوقي بعنوان (نوابغ الفكر العربي) . والرسالة في أكثر من مئة صفحة ضمنها مؤلفها أحسن ما يقال في وصف عصر الشاعر وحياته وثقافته ومذهبه الشعري في جوانب المعاني المختلفة وآثاره الشعرية ومميزاتها وغير ذلك مما يحتاج اليه كل طالب فالشكر للمؤلف على هديته هذه الى أبناء أمته .

المغربي

مرآة الزمان (الجزء الثامن)

لسبط بن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤ ه

وهو في مجلدين عدد صفحاتهما ٧٩٥ صفحة من قطع المتوسط طبع بحيدر اباد الدكن
في الهند في سلسلة مطبوعات دائرة المعارف العثمانية

المجلد الأول — تبدأ حوادثه في سنة ٤٩٥ ه ٠ وتنتهي بحوادث سنة ٥٨٩ ه ٠

المجلد الثاني — تبدأ حوادثه في سنة ٥٩٠ ه وتنتهي بحوادث سنة ٦٥٤ ه ٠
أي في السنة التي توفي فيها المؤلف ٠

وقد عثرت في المجلدين على بعض أخطاء غفل عنها المحقق وغيرها من الأخطاء المطبعية أهمها :

ص	الخطأ	الصواب
٢	الى الاسكندرية عهد اليه (كذا)	الى الاسكندرية و [كان أبوه قد عهد بالخلافة اليه]
٤	ابو ابن يعلى القلانسي	ابو يعلى بن القلانسي
٥ و ٦	توثاً شامياً	توتاً شامياً
١١	صفوة الملوك	صفوة الملك
٢٦	فخر رأسه	فحز رأسه
٢٧	وكذى السواقي	وكري السواقي
٢٨	الصلبة	لصلبه
٣١	حصن الطوفان	حصن الطوبان
٣٢	كوكب الذنب	كوكب المذنب
٤٣	جسر الصبرة	جسر الصنبرة
٤٤	دار الجبل	دار الخيل
٧٧	انباتا (؟)	انبأنا

ص	الخطأ	الصواب
٧٩	في الطبقة	في القبة
٨٠	بالثنية	بالبثينة
•	بنسر (؟)	يسر
٨٦	كيف حيثيها	كيف جئتها
٩٢	ابو الأسود الديلي	ابو الأسود الدؤلي
٩٧	وخدم	وضم
١١١	قلعة المسطرة	قلعة المنظرة
١١٦	عقبة محورا	عقبة شحورا
١٢٥	عبد القادر الحنبلي	عبد القادر الجيلي
١٣٠	ورضاً بالأحجار	ورمياً بالأحجار
١٣١	بيت الشام	ست الشام
١٤٠	حماس (؟)	خماس
١٤٩	فطلمت (؟) الشمس	فأظلت الشمس
١٥٢	آمل	آمد
١٧١	باب المرادة	باب الزيادة
٢١٠	بعين الجسر	بعين الجر
•	ارفهم	أوفرهم
٢١٢	صيتاً	صيناً
٢٢٢	بعيون الفار شيئاً	بعيون فامريا
٢٢٢	النقب	القصب
٢٢٣	وبارز	وبادر
٢٣٠	أهل الاقليم	الى الاقليم
٢٤٢	من القبلة (؟)	من الشرق

ص	الخطأ	الصواب
٢٩٥	ابن سمدان	ابن مروان
٣٠٥	تحت	تحث
٣١٣	اللوافر	الكوافي
»	الكساكير	السكاكر
٣١٤	جدي	والدي
٣١٨	قطيا	قطنا
٣٩٢	جدوه (؟)	غدره
»	صفرية	صفورية
٣٩٢	تسبيل	تسيل
»	موى	نوى
٣٩٥	مجدل بابا	مجدل يابا
٤١٤	بالعقيقه	بالعقيبة
٤٣٢	ولا سنقنا	ولا سقفا
٤٦٢	جبل صبن	جبل سنير
٤٦٩	عقبة شبزورا	عقبة شحورا
٤٧٤	خشعن	خسفين
٤٧٨	تبرين	تبنين
٤٨٣	مجلدات	مجلدان
٤٨٦	كتاب وصولة (؟) العقل	وكتاب صولة العقل على الهوى
٤٨٧	الثبات عند الممات	الثبات عند الملمات
٤٩٠	فبغض	فنغص
»	تبغضنا	تنغصنا

ص	الخطأ	الصواب
٤٩١	مقفول لكم	مغفور لكم
٤٩٩	حلبس	جلس
٥١٠	الى القصر	الى القصير
«	شيخ الفارسية	شيخ المقادسة
٥٦٤	مغارة الجوخ	مغارة الجوع
٥٨٤	عالين	عالقين
٥٨٥	جزير	جزين
٦٠٢	بار جبس بلد حطيط	بارجيش بلد خلاط
٦١٣	الحصن الأبيض	الجسر الأبيض
٦١٤	عيون الفاسرب	عيون فاسريا
٦١٥	ثوبين	تبنين
٦٢٥	صهير	ضمير
٦٢٦	وكده	ولده
٦٣٤	الف دينار (؟)	الف الف دينار
٦٣٧	البيت المقدس	بيت المقدس
٦٤٢	عين الكرنبس	عين الكرش
٦٥٠	وزرع	وذرع
«	ودفن	وبنى
٦٥١	الحقوا (؟)	الحقول
٦٥٨	٦٢٨	٦٥٨
«	من بلدان شيء	من بلدان شتى
٦٧٦	البعلاء	العلاء
٦٧٨	وسمي	وتبين

ص	الخطأ	الصواب
٦٨٠	منحياً	منتحياً
٦٨١	الخليل	الخيل
٦٩٢	يجرود	جرود
٧٠٦	على الجبال	على أكيال
٧٠٨	حسبين	جنين
٧٠٩	وصار	وسار
»	مليط	عيل
٧١٠	وبقلب	ويلقب
»	على خطة	على خطر
٧١٨	عطن	عقل
٧٢٦	بريد	يريد
»	حسين	حنين
٧٢٧	الرمه	الرمثة
٧٥٠	افته	افقه
٧٥٢	ومنه الى زقاق الرمان العتيقة بأسرها	وامتد الى زقاق الرمان والعقيبة فاحترقت بأسرها .
٧٦٤	وأمر بعمارة القدس وذرع	وأمر بعمارة سور القدس وذرعه
٧٧٢	بشش عمله	بشاش عمته
٧٨٥	بدر الدين	عز الدين
٧٩٥	ذبك	ذيل

جزى الله دائرة المعارف العثمانية عن العلم خير الجزاء .

H. Laoust - Les gouverneurs de Damas sous les mamlouks et les premiers ottomans
(658 — 1156 / 1260 — 1744) Damas 1952.

ولاة دمشق في عهد المماليك وأوائل العهد العثماني

(٦٥٨ — ١١٥٦ هـ و ١٢٦٠ — ١٧٤٤ م) لمحمد بن طولون ومحمد بن جمعة
ترجمه الى الافرنسية الأستاذ هنري لاوست
يقع الكتاب في (٢٨٨) صفحة من قطع الوسط .
وهو من مطبوعات المعهد الافرنسي في دمشق . طبع سنة ١٩٥٢

ضمت هذه الترجمة كتابين الأول كتاب « إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الكبرى) لمحمد بن طولون المتوفى سنة ٩٥٣ هـ نقلاً عن مخطوطة الخزانة التيمورية في القاهرة . تبدأ حوادثه سنة ٦٥٨ هـ . وتنتهي سنة ٩٤٣ هـ . والثاني كتاب (الباشات والقضاة) لمحمد بن جمعة أوله سنة ٩٢٢ ونهايته سنة ١١٥٦ هـ . نقلاً عن نسخة مكتبة برلين .

ان شهرة الكتابين تغني عن البيان فقد أشار الى أهميتها علماء أعلام منهم الأستاذ محمد بك كردعلي (مجلة المجمع العلمي العربي ٣ : ٧٢ — ٧٤) وبروكلمان في تاريخه ٢ : ٣٠٢) وغيرهما وقد جمع فيها مؤلفاهما سيرة ولاة دمشق لمدة ستة قرون من حكم المماليك الأتراك والعثمانيين وقد انفردا في موضوع لم يسبق لغيرهما تدوينه . ويقف القارئ خلال هذه التراجم على كثير من أمور تلك العصور الادارية وشؤونها الاجتماعية ، وتصور له ما كانت تعانيه البلاد من الفوضى السائدة بسبب عدم استقرار الولاة وتعرضهم للعزل والنقل دوماً سبب وقلما أكمل أحد منهم سنته ، وما كانت تشفع للمحسن منهم كفاءته كما أنه لم تكن تضر المسيء منهم اساءته أو عجزه .

ومن محاسن هذه الترجمة ضبطها الأعلام وأكثرها أعجمي لا يخضع لقاعدة .
نشكر الأستاذ المترجم على حسن عمله ونحمد للمعهد الافرنسي نبل مقاصده .

Damas de 1075 - 1154

par Roger le Tourneau

Traduction annoté d'un fragment de l'Histoire de Damas D'Ibn al Qalanisi. Damas 1952

دمشق من سنة ١٠٧٥ الى ١١٥٤ م

لروجه لتورنو ، يقع في (٣٧٥) صفحة من قطع المتوسط
وهو من مطبوعات للمعهد الافرنسي في دمشق ، طبع سنة ١٩٥٢

ان هذا الكتاب هو ترجمة افرنسية لقسم من ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي المتعلق بحوادث مدينة دمشق في سني ٤٦٨ — ٥٤٩ هـ ، ويعطينا المعهد الافرنسي بدمشق دليلاً جديداً على مبلغ عنايته بتاريخ بلاد الشام عامة ومدينة دمشق خاصة وحرصه على نقل أخبارها الى مواطنيه عن مصادر أبنائها ، وهذه مأثرة نضيفها الى مآثره العديدة ونسجلها له بالشكر والحمد .

وقد سبق للأستاذ جيب (H. A. R. Gibb) أن ترجم هذا القسم الى اللغة الانكليزية في عام ١٩٣٢ ، وقد اعتمد المترجم الافرنسي على النص العربي المطبوع في ليدن عام ١٩٠٨ ، واستهل كتابه بمقدمة قيمة وعلق عليه بملاحظات مفيدة .

قد لا يسلم كتاب من هفوات بسيطة مهما حاول صاحبه تجنبها وهذا لا ينتقص من قيمة الكتاب وفوائده . وقد رأيت في بعض التعليقات ما يستوجب الاشارة الى تصحيحها . ومن أهمها ما جاء في (ص : ٥ ح ١) في تعريفه المنبر بقوله : (إنه مرقاة متنقلة لها درجات) ، مع أن المنبر هو بناء ثابت من خشب أو حجر . وفي (ص : ٦٣ ح ١) قوله : (سواد طبرية هو سهل حول مدينة طبرية) وصوابه ناحية قرب البلقاء إذ لا يوجد حول طبرية سهل بل يحيط بها الماء والجبل . وفي (ص : ١٠٦) (سواد الجباينة) وصوابه سواد الجيانية وهي كورة جبل جرش قرب الغور . وفي (ص : ١٦٥ و ١٦٧) (Charkhoub) شرخوب

وأرجح انه تحريف اسم شقحب وهي قرية في مرج الصفر . وفي (ص : ١٦٥) (al-ʿAqaba) العقبة وصوابه العقيبة كانت قرية بضاحية دمشق وأصبحت اليوم من أحيائها . ويتساءل المترجم في (ص : ٢٣٨ ح ٢) عن موقع (حصن الخربية ، وحصن وادى ابن الأحمر) ؟ وقد جاء في معجم البلدان (٢ : ٤٣١) : خربية الفار حصن بساحل بحر الشام ، وجاء فيه أيضاً (١ : ١٥٦ و ٣ : ٦١٦) الأحمر حصن بظواهر بحر الشام وكان يعرف بعثليث . وقد عرف معجم البلدان (١ : ٧٠٩) مدينة (البلاط) التي التبس على المترجم موقعها (ص : ٢٤٦ ح ١) بأنها مدينة عتيقة بين مرعش وانطاكية يسقيها النهر الأسود (قراسو) الخارج من الثغور وهي مدينة كورة الحوار خربت وهي من أعمال حلب . وقال في (ص : ٢٨٢ ح ٣) (عين شواقة مكان في ضاحية دمشق غير معروف) مع انها عين ماء تنبع جنوب غربي قرية داريا وتروي أراضي قرية أشرفية صحنابة . وقال في (ص ٣٤٠ ح ٣) (ان قصب المرج هي محلة من القصب في مدينة دمشق) وصوابه هو مرج بحيرة العتيبة .

- نشكر المترجم على جهده كما نشكر المعهد الافرنسي على نشاطه العلمي .

جعفر الحسني

علمتني الحياة

من سلسلة (كتاب الهلال) الشهرية

عهدت مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر ، وهي مؤسسة ثقافية تضم كبار الناشرين الأمريكيين ، الى الدكتور أحمد امين أن يشرف على ترجمة كتاب « This Ibelieve » أي « هذا ما أعتقد » ، فاختار له الأستاذ أحمد امين عنوان « علمتني الحياة » لأنه رأى أن الاسم الأمريكي مضلل للقارئين إذ يفهم منه أنه كتاب يبحث في الأديان ، وهو يبحث في صميم الحياة والنجاح فيها ، واختار لترجمته الأستاذ محمد بكير خليل ، والدكتور مختار الوكيل ، والكتاب المترجم كان يحتوي على نحو مائة مقالة اختير منها للعربية ثلاثون ، وضم اليها الأستاذ أحمد أمين أربعاً وعشرين مقالة عربية لكتاب من العرب معروفين من النوعين ، فكانت فكرة لطيفة يفرح بها الناقد العربي لمعرفة الفروق بين كتاب العرب وكتاب الأمريكيين .

ويدل على قيمة الكتاب الأمريكي أن الولايات المتحدة تذيعه في الأسبوع الواحد ٢٢٠٠ مرة من ١٩٦ محطة داخلية ، يصل صوتها الى آذان ٩٠ مليون نسمة فيها ، كما يذاع من ١٥٠ محطة خارجية ، وتذيعه محطة (صوت أميركا) اسبوعياً مترجماً الى ست لغات ، ويضاف الى ذلك أن الصحف الأميركية تنشر هذا الكتاب ما يقرب من ٨٥٠٠٠٠٠ مرة في الأسبوع في ٨٥ صحيفة يومية ، ويستخدم في مئات من المدارس ، وأين مثل هذا النشر الواسع العظيم مما ينشر من كتبنا !

قرأت مواد القسم الغربي وأفدت منها فوائد جمة ومن عناوينها : اني سعيد بوقتي ، النصر للايمان ، إني أومن بالناس ، الايمان بالعمل ، فضائل الحياة ، أومن بخلود الروح ، وهذا طريقي للنجاح ...

ثم قرأت مواد القسم العربي ، وابتهجت بأني ألفيت ما كتبناه لا يقل فائدة وإمتاعاً مما كتبه الغربيون ، ومن عناوين هذه المواد : ارادة الشعوب للواء محمد نجيب ، والحياة هدف وإرادة لتوفيق الحكيم ، والرجل الحق لشفيق جبري ، واستقرار المرأة للسيدة أمينة السعيد ، وحقائق وأوهام لرضا الشبيبي ، وحدّد أهدافك لاميل زيدان ، ودرهم حكمة لأحمد أمين ....

ونرى ، كالأستاذ أحمد أمين ، ان في ترجمة هذا الكتاب المفيد مكسباً كبيراً للعرب لأنه يتيح لكثير من القراء الأمريكيين أن يفهموا كيف يفكر العرب فهو من الدعايات النافعة للعرب لا دعايات الجرائد والمجلات السافرة التي لم تبلغ هذا المبلغ في السمو ، جزى الله المشرف على هذا الكتاب الأستاذ أحمد أمين أفضل ما يجزي به .



مجموعة رسائل

للشيخ حسن علي البدر القطيفي
المطبعة الحيدرية بالنجف (١٣٧٢ - ١٩٥٣)

عني بنشر هذه الرسائل الدينية نجل المؤلف الشيخ طاهر البدر ، وهي ست رسائل : أولاها : وسيلة المبتدئين الى فهم عبائر المنطقيين ، وهي أطول الرسائل ، والثانية : رسالة في اعادة الصلوات ، والثالثة : تحقيق الحق وابطال الباطل ، والرابعة : في الاستصحاب والتكليف الشرعي ، والخامسة : في قضاء أولى الأعذار ، والسادسة : وهي دينية سياسية واسمها دعوة الموحدين الى حماية الدين ، صنفها المؤلف أيام هجوم ايطاليا على طرابلس الغرب سنة ١٣٢٩ هـ ، بحمية من دينه وعصبية لقومه العرب ، وقد أقام فيها الأدلة والبراهين على وجوب الجهاد للدفاع عن بيضة الاسلام وحوزة العروبة فدل بذلك على أن الاسلام فوق المذاهب

وانه العروة الوثقى للمتمسكين به ؟ وانه صفوة العروبة الجاهلية ومصاص لعراقها ومختار أخلاقها ، ومن السياسة القومية التي استنبطها أئمة الشيعة [١] وجهابذة السنة من القرآن : (عدم جواز استيطان المشركين مكة وأرض الحجاز كالمدينة والطائف وما والاهما ، بل قيل : لا يجوز استيطانهم جزيرة العرب لشرفها بكونها منزلاً للعرب الذين منهم النبي العربي ، وقد روي عن ابن عباس ان النبي أوصى باخراج المشركين من جزيرة العرب ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : لا يجتمع دينان في جزيرة العرب ...) وفي مثل ذلك الاستنباط الدقيق ذياد عن بيضة الاسلام ، ودفاع عن حوزة العروبة .

وقد وقع في هذه الرسائل أغلاط مطبعية أذكر منها على سبيل المثال ما وقع في سطرين من صفحة واحدة من رسالة الجهاد (ص ٩) قال : « ويجب الجهاد من دهم المسلمين عدو يخشى منه على بيضة الاسلام ، واذا وطأ الكفار دار الاسلام » والصواب : « متى دهم المسلمين عدو ... واذا وطئ الكفار دار الاسلام » . الى غير ذلك من الأخطاء التي لا يحسن السكوت عنها مع جلالة التحقيق في هذه الرسائل التي يجمل بفقهائنا الاطلاع عليها ليروا أن الفروع الفقهية لا تضعضع الأصول الشرعية التي هي حبل الله الوحيد الذي تحيا بالاعتصام به العروبة والاسلام .

عز الدين التنوخي

---

(١) منهم الشيخ احمد الجزائري في كتابه قلائد الدرر في اول كتاب الجهاد ، قال في تفسير : « واقتلوهم حيث ثقفتموهم » الآية . وبها استدل الفقهاء على عدم جواز استيطان المشركين أرض الحجاز خاصة وجزيرة العرب عامة .

أوائل المقالات ، في المذاهب والمختارات

للشيخ المفيد محمد بن النعمان المتوفى سنة ٤١٣ هـ

ولها مقدمات ، وعليها تعليقات بقلم الشيخ فضل الله الزنجاني

ويليها رسالة شرح عقائد « الصدوق » أو تصحيح الاعتقاد له أيضاً

علق عليها ووضع مقدمة لها السيد هبة الله الشهرستاني

صححها واهتم بنشرها وعلق عليها بعض التعاليق الحاج عباس قلي « واعظ جرندابي »

إن الكتاب الأول قد دلّ اسمه على مسماه ، فهو يبحث في مذاهب الفرق وأهلها ، ويختار منها ما للإمامية الاثني عشرية ، وقد رتبه على أبواب ؛ فالباب الأول منه في الفرق بين الشيعة والمعتزلة ، وقد ذكر في هذا الباب معنى التشيع لغةً واصطلاحاً ، ومن يستحق إطلاق هذا الاسم عليه من الفرق المتحلة للتشيع ، ثم ذكر معنى الاعتزال وتاريخه ، ومن أطلق عليه هذا اللقب ؛ والباب الثاني كما جاء في طليعة الكتاب ، في الفرق بين الإمامية وغيرهم من الشيعة ، وأشار الى الفرقة الزيدية ، وما به يمتازون عن الامامية ؛ وفي الثالث ذكر ما اتفقت عليه الإمامية من القول بالإمامة على خلاف المعتزلة ، ذكر فيه بعض الفروع الخلافية بين الفريقين في باب النبوة والإمامة وغيرهما ؛ وفي الرابع وصف ما اختاره من الأصول نظراً ووفاقاً لما جاءت به الآثار عن أئمة الهدى من آل محمد (ﷺ) وذكر من وافق في هذا الباب مذهبه من أهل المقالات ، وذكر فيه أهم المسائل الاعتقادية في أبواب التوحيد والصفات والعدل واللطف والصلاح والأصلح والنبوة والمسائل المتعلقة بها ، والإمامة ومتعلقاتها وما يتفرع عليها ، والقول في القرآن وجهة إعجازه وتأليفه ، وفي المعاد ، وأبواب الوعد والوعيد ، والأسماء والأحكام ، وسائر المباحث التي يجدها الناظر في أبوابه وفصوله . وخلاصة رأي الإمامية ومخالفيهم في كل منها ، أو من بعض متكلمي الشيعة كآل نوبخت

وغيرهم ممن كان لهم آراء في بعض هذه المسائل الكلامية مخالفة لما عليه الجمهور من سائر متكلميهم ٠

وأما التأليف الثاني وهو (تصحيح الاعتقاد) للشيخ أبي جعفر بن علي بن بابويه القمي ، المعروف بالصدوق المتوفى بالري سنة ٣٨١ ، فقد ذكر فيه « جميع اعتقادات الفرقة الناجية ، الضرورية منها وغير الضرورية ، الوفاقية منها وغير الوفاقية » ومن مباحثه : معنى كشف الساق ، تأويل اليد ، نفخ الأرواح ، معنى المكر والخدعة من الله ، معنى « الله يستهزئ بهم » ، « نسوا الله فنسيهم » وتكلم في صفات الله تعالى ، وفي خلق أفعال العباد ، المشيئة والإرادة ، تفسير آيات القضاء والقدر ، تفسير أخبارهما ، ومعنى « فطرة الله » والاستطاعة ، والبداء والجدال ، وفي اللوح والقلم ، ومعنى « العرش » وفي خلق النفوس والأرواح ، ووقوع الثواب والعقاب ، وما بعده بحث في شؤون الآخرة ، ثم بحث في نزول الوحي والقرآن ، وفي عصمة الأئمة ، وفي الخلق والتفويض و (المفوضة عندهم صنف من الغلاة ، ومن دعواهم أن الله خلق الأئمة خاصة ، ثم فوض اليهم خلق العالم بما فيه !! ٠٠) وختمه في بحث التقية ، وفي أمور فرعية ٠

وصف الأستاذ الزنجاني في تعريفه بكتاب (أوائل المقالات) وترجمة مؤلفه الشيخ المفيد بأن حياته العلمية كانت مستغرقة في أغلب الأحيان في ترويج المذهب ، والدفاع عنه ، والجدال مع المخالفين على اختلاف فرقهم ، قلت : وكتابه هذا وشرحه لرسالة شيخه « الصدوق » المطبوعة معه ، وما وضع عليهما من حواش وتقارير ، شهود على ذلك ٠

وقد جاء في ص ١٠ بعنوان « القول في محاربي أمير المؤمنين (ع) » ما نصه : واتفقت الإمامية والزيدية والخوارج ، على أن الناكثين والقاسطين من أهل البصرة والشام أجمعين ، كفار ضلال ملعونون بحربهم أمير المؤمنين (ع) وأنهم بذلك

في النار مخلدون . ا هـ وهذا اتفاق على عكس الآية الكريمة : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » .

رأيت في هذا الكتاب الذي دفعه المجمع العلمي إليّ لأصفه في باب « التعريف والنقد » بعض ما يراه القارئ في غيره كالكافي والتهذيب والوافي وغيرها ، من لعن وتكفير وتخليد في النار لمن أورثوهم الأرض والديار ، ولم أر انتقاداً ولا اعتراضاً لأحد ممن تعاقبوا على تصحيحه أو تقريظه ، وهم من أشهر مجتهدي الشيعة في هذا العصر ، وعليه صورهم . ولا شك أن هذه الكتب تورث قراءها غمراً وحقداً ، وعداء وبغضاً ، وتنطق ألسنتهم بأفحش القول وأوحشه ، لرجال الصدر الأول للإسلام فمن دونهم ، وفي مقدمتهم الخلفاء الثلاثة ، وبعض أمهات المؤمنين ، ومن معهم من المهاجرين والأنصار ، ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه بنص القرآن .

إن هذه الكتب هي منبع الفتن ، فمنها يستقي كل طاعن ، وعنها يصدر كل لاعن ، وقد دللنا الآن على مكامن الداء ، ليعالجه دعاة الوحدة والوئام ، من المجتهدين الكرام ، ولقد انقضت عصور الأمويين والعباسيين ، وأصحاب الجمل والنهروان وصفين ، وحسابهم على رب العالمين .

على ربي حسابهم إليه تناهى علم ذلك لا إليّه
وليس بضائري ما قد أتوه إذا ما الله أصلح ما لديّه

كان حوار السلف مع الفرق الإسلامية التي ظهرت في عصورهم ، وشاعت مقالاتهم في الناس ، كالقدرية والخوارج والجبرية ، والجهمية ، والمرجئة ، والوعيدية وغيرهم ، وقد انتشرت في زماننا شبه وشكوك في دين الحق لأقوام آخرين ، كدعاة التبشير والتنصير مع الدول التي تمدهم بالمال والرجال ، وقد باعوا أنفسهم وغيرهم للاستعمار ، وكدعاة الإلحاد والفساد ، فأين دعاة الاسلام وحماته

لدفع باطلهم ، وكبح جماحهم ؟ والى مثل هذا نوجه أنظار الأئمة المجتهدين ، والله هو الموفق والمعين .

هذا وقد بدت لنا أغلاط نذكرها هنا لتصحح :

في المقدمة (ط) : زيناه الملامتان . (يا) : أن يحسن جزائه ويطيل بقائه . (يب) : تذكر هام .

وفي ص ١ من مقدمة الطبعة الثانية : فهممنا على استدراكه — يستحق بالذكر . (يو) : تصحيحنا الكتاب الثانوية . (لك) : فاكتفيت على تلك . (كا) : ذلك المدة . (كو) : أبيطالب . (ومما كتب متصلاً هكذا : ايعيذ الله ، عليخان انشاء الله ، انكان . ولعله اصطلاح لهم . (لذ) : الذي كانا يتوبان . (له) : تلك الكتاب . (لط) : مولده ومنشائه . (مج) : وأربع وسبعين كتاباً . (مد) : ان له قريب من — على ذلك الجملة — التي سئلها عنه . (مط) : في تلك الزمان . (ن) : سنة ثلث عشر وأربعائة . (ص ٣) : وانكانوا . (ص ٦) : من صحب شيخنا المعتزلة .

هذه أمثلة مما في الكتاب ، ولعل الأستاذ الناشر — وهو عالي الهمة ، ماضي العزيمة — يدفعه إلى أحد المشتغلين بالقواعد العربية صرفاً ونحواً وإملاءً ، ليتولى تصحيحه بدقة وعناية ، حتى لا يشغل المطالع بمثل هذا عن الموضوع والبحث فيه .

آيات الخالق الكونية والنفسية

تأليف الأستاذ رشيد رشدي العابري

الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة (١٢٠ ص ـ قطع صغير)

منشورات جمعية التربية الاسلامية – بغداد ١٩٥٣

نوّهنا من قبلُ بكتاب (بصائر جغرافية) للأستاذ المؤلف الكريم الذي وصفناه بأنه من شيوخ السنّ والعلم ، ومن دعاة النهضة والتجديد ، والآن نصف هذه السلسلة الأولى من كتابه الجديد ، تصفحناها فاذا فيها من الآيات البينة في الأنفس وفي الآفاق ما يدعو الى الايمان بالله تعالى وعظمته ، والإذعان القلبي لجلال قدرته ، والى ما يشهد ببديع صنعه وبالغ حكمته ، وهو حجة ناطقة للمؤمنين ، وحسرة ظاهرة على المفرّطين : « أن تقول نفس ، يا حسرتى على ما فرّطت في جنب الله ، وإنْ كنتُ لمن الساخرين » .

ومن أمتع ما قرأناه في هذه الفصول النفيسة : « النظام الرائع في تصريف الرياح » ، « غرائب الغرائز في الحشرات » ، « صقر البحر وخطاف البحر وعجائبها في الطيران » ، « الموازنة العجيبة في المجموعة الشمسية » ، « الذرة وعظمتها على صغر حجمها » . ولا شك أن هذه السلسلة الذهبية يحتاج اليها جميع الدارسين والدارسات في المعاهد الدينية والمدنية ، أثاب المولى المؤلف على حسن صنيعه ، وبارك في عمره .

محمد بهجة البيطار

شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم

تأليف : نشوان بن سعيد الحميري

الجزء الأول – القسم الأول ، عني بتحقيقه ونشره : ك . و . سترستين

طبع في مطبعة بريل بليدن ١٩٥١

كان نشوان بن سعيد الحميري عالم اليمن ومؤرخها في القرن السادس . ألف تواليف كثيرة من أجلّها شأناً كتاب شمس العلوم . وهو كتاب في اللغة وضعه نشوان ليأبن « كاتبه وقارئه من التصحيف ، يحرس كل كلمة بنقطها وشكلها ، ويجملها مع جنسها وشكلها ويردّها الى أصلها » .

جعل فيه « لكل حرف من حروف المعجم باباً ، ثم جعل كل باب من تلك الأبواب شطرين : أسماءً وأفعالاً ، ثم جعل لكل كلمة من تلك الأسماء والأفعال وزناً ومثالاً » . قال : « فحروف المعجم تحرس النقط ، وتحفظ الخط ، والأمثلة حارسة للحركات والشكل ، ورادّة كل كلمة من بنائها الى الأصل ، فكتابي هذا يحرس النقط والحركات جميعاً » .

قال : « . . . وأودعت كتابي هذا ما سنح من ذكر ملوك العرب أهل الرئاسة والحسب . . . . وما عرض ذكره من منافع الأشجار وطبائع الأحجار . . . وضمّنته شيئاً من علم القرآن والتفسير . . . وما وافق من الأخبار والأنساب . . . وأصول الأحكام . . . وما سنح من أصول عبارة الأحلام . . . وما لا بدّ من تفسيره من علم النجوم . . . الخ » .

وعلى الجملة فالكتاب في اللغة ، ولكنه يضم وجوه الثقافة الاسلامية في القرن السادس .

وقد عني بتحقيقه المستشرق السويدي الكبير الأستاذ المرحوم ك . و . سترستين . فأظهر في تحقيقه ، من الدقة والضبط ، ما يعجز عنه أبناء العربية أنفسهم ، ودل بضبطه هذا الكتاب على طول باع في معرفة اللغة العربية ولغتها . وإن من المؤسف أن تفقد العربية هذا الشيخ الجليل الذي أحب العربية وخدمها .

واننا لنذكر لهذا الشيخ الجليل خدمته هذه بكثير من الاجلال والشكر .

مفرّج الكروب في أخبار بني أيوب

للقاضي ابن واصل — حققه الدكتور جمال الدين الشيال
٣٤ ص مقدمة ومصادر + ٢٨٦ ص النص + ٦ ص فهرس
مطبوعات ادارة احياء التراث القديم بوزارة المعارف المصرية
القاهرة ١٩٥٣

كان القاضي ابن واصل الحموي (جمال الدين محمد بن سالم) من أعلام القرن السابع الهجري (٦٠٤ — ٦٩٧) وهو قرن من القرون الملأى بالحوادث ؛ وقد خلّف لنا كتاباً ذا شأن كبير في تأريخ الأيوبيين اسمه « مفرج الكروب في أخبار بني أيوب » . ولا شك أن هذا الكتاب من أغنى المصادر المتعلقة بذلك القرن ، وأكثرها أصالة ؛ يزيد في شأنه ان مؤلفه كان من كبار العلماء ، وأنه كتب عن علم وسجّل عن مشاهدة .

وقد عُني الدكتور جمال الدين الشيال بتحقيق الجزء الأول من هذا الكتاب وعارضه بمخطوطات كمبردج وباريس واستانبول . فبذل جهداً مشكوراً في اخراجه صحيحاً ؛ وإن هذا الجهد ليظهر في كل سطر .

قدّم الدكتور لهذا الجزء بمقدمة ترجم فيها لمؤلف الكتاب ترجمة قصيرة ، وقايس بين هذا الكتاب والكتب التي سبقته أو ألفت بعده — عن الأيوبيين — ووصف المخطوطات التي رجع اليها في التحقيق ، ثم أبان شأن الكتاب وما فيه من أمور انفرد بها ، ووثائق حفظها ، ومصطلحات وردت في ثناياه . وحاول أن يحدّد تأريخ تأليف الكتاب ، ثم ساق بعض أقوال المعاصرين في مفرّج الكروب .

ويلي المقدّمة النص المحقّق . ويبدأ بذكر نسب بني أيوب ، وابتداء أمر نجم الدين أيوب وأخيه أسد الدين شيركوه ، وينتهي بموت نور الدين سنة

٥٦٩ هـ . وهو جزء لا يأتي ابن واصل فيه الا بقليل من الجديد، لأنه لم يعش في تلك الحقبة التي يؤرخها ، ولأنه نقل عمن سبقه . ويجب أن ننتظر الأجزاء المقبلة حتى نصادف الأصالة والجدة ، لأن هذا القسم نجده ، في الروضتين ، وابن الأثير ، وابن شداد ، وابن كثير (وهو مصدر غفل الدكتور الشيال عنه) .

إن فرحنا بظهور هذا الكتاب وإعجابنا بجهود الدكتور الشيال لا يحولان دون ارسالنا بعض الملاحظات المتعلقة بالمقدمة ونهج النشر . فالمقدمة ، مثل الحواشي ، لا تناسق ولا اعتدال فيها . فترجمة المؤلف هزيلة جداً ، وابن واصل جدير بترجمة أكثر سعة ، لأن حياته نفسها كانت زاخرة بالحوادث ، وعلمه كان فياضاً . فلا ساق المحقق له ترجمة وافية ، ولا ذكر المصادر التي ترجمت له ليرجع اليها من شاء . وعندما تكلم الدكتور على الذين أرخوا لصدر الدولة الأيوبية ليقايس بين مؤلفاتهم وبين الكتاب عدّ فيهم القاضي الفاضل في رسائله . وان من العجب أن يوازن بين كتاب مفرج الكروب وبين رسائل القاضي . ولكل منها منهج وغاية . وان من الصعب أن نقايس أيضاً بين كتاب لا يبحث الا في الأيوبيين مثل مفرج الكروب وبين كتاب يؤرخ لعصور وسلالات مختلفات. كابن الأثير ، والأعجب أن يقارن مفرج الكروب وهو تأريخ للحوادث، بشفاء القلوب وهو تأريخ تراجم .

إن المقايسة لا ترد هنا . إذ ينبغي أن تكون بين كتابين في موضوع واحد ، ونهج واحد ، وعصر واحد . تمكن المقايسة مثلاً بين أبي شامة في الروضتين ـ لا في الذيل عليها ـ وبين مفرج الكروب . وقد كان يحسن بالمحقق أن يعقد ذيلاً يتضمن كل ما ألف عن بني أيوب مهما كان نوعه ، وأن يقصر المقايسة على ما كان من جنس مفرج الكروب ، وما ألف في عصره .

أما الحواشي ، ففيها اضطراب . بعضها طويل جداً وبعضها قصير . ووضع

الحواشي يتطلب دقةً وفناً . فليس مهمة المحقق أن يشرح الكتاب ، بل عليه أن يقدم نصاً صحيحاً . وهو بقدر ما يحاول تصحيح النص يستطيع وضع الحواشي بلا اخلال . واذا وجد ان الايضاح سيطول ، فعليه ذكر المصادر التي يمكن الرجوع اليها . فالكتاب للعلماء والخواص لا للمبتدئين والعوام . فالدكتور الشيال يورد مثلاً في ص ٢٢٩ صفحة كاملة عن حملة توارنشاه على اليمن من الروضتين . وكتاب الروضتين مطبوع ، وهو في خزانة المشتغلين . فلماذا يُثقل النص بهذه الحواشي ؟ ولو أن النص كان عن كتاب مخطوط لأفاد .

على أن ما صادفنا من ملاحظات ، لا يحول دون التنويه بأن الدكتور الشيال قد بذل جهداً كبيراً ، وأن هذا الكتاب من أثمن الكتب القديمة التي صدرت ، ومن أحسنها تحقيقاً وتصحيحاً . فللدكتور الشيال التهنئة .



الشوارد
أو خطرات عام

كتبها الدكتور عبد الوهاب عزام
٣٦٥ ص قطع وسط
مطبعة العرب بكراتشي – الباكستان ١٩٥٣

شغلت الدبلوماسية الدكتور عزام عن التأليف ، وباعدت بينه وبين أسفاره ، فرأى أن يعوّض عن ذلك ، وأن يقيّد ما يخطر له من خاطرات ، وما يسنح من سانحات ، وأن يسجل سلائل الفكر والوجدان ، ويجمع حصائد العلم والتجارب ، ليصيد فيها الشوارد ويقيد الأوابد ، واقترح على نفسه أن يقيّد كل يوم فكرة عابرة ، أو خطرة طائرة ، وأن يمضي في هذا حولاً كاملاً [1] .

(١) انظر مقدمة الكتاب .

وقد شرع في ذلك ، في جدة من الحجاز ، وأتمّ كتابة شوارده الحولية في كراتشي من الباكستان .

وهذه الشوارد صور جيدة عن الدكتور عزام نفسه ؛ وستكون يوماً مصدراً لدراسته ؛ ففيها من كل شيء .

والى ذلك فان فيها نظرات صادقات جديرة بالتأمل ؛ وإن بعضها ليفتح أفاقاً واسعة أمام القارئ ؛ وهو إذ يصف في شوارده الواقع ، يبرع في الوصف لأنه صادر عن قلبه ، أما ما يلقاه القارئ من طرائف الأدبين : العربي والفارسي في الكتاب ، فيدل على سعة اطلاع الدكتور عزام بهذين الأدبين .

وفي قراءة الشوارد متعة كبيرة وفائدة — فللكاتب الشكر .



كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات

لعلي بن أبي بكر الهروي — عنيت بنشره وتحقيقه جانين سورديل — طومين

١٠٠ ص النص + ٤٠ ص فهارس + ٣٠ ص مقدمة بالفرنسية

مطبوعات للمعهد الفرنسي بدمشق ، ١٩٥٣

الهروي سائح مشهور عاش في النصف الثاني من القرن السادس وأدرك العشر الأول من السابع (مات ٦١٠) أصله من هراة ، وولد في الموصل ، ونزل بحلب فسكن بها ، وله بها مدرسة ، وطوّف في الآفاق «حتى لم يترك — كما يقول ابن خلكان — براً ولا بحراً ولا سهلاً ولا جبلاً من الأماكن التي يمكن قصدها ورؤيتها الا رآها» . وألف كتابه الاشارات الى معرفة الزيارات — وفي ابن خلكان : الاشارات في الزيارات — ذكر فيه مازاره من

الزيارات وما شهده من العجائب والأبنية والعمارات ، وما رآه من الأصنام والآثار والطلسمات في الربع المسكون ، والقطر المعمور .

وقد اتبع في ذكر الزيارات طريق السماع : « ذكرتُ ما شاع خبره وذاع ذكره بطريق الاستفاضة ، والله أعلم بصحته » ، فهو يذكر ما شاع في عصره . غير أنه لا يعمل النقد الا قليلاً . فالكتاب يؤرخ ظاهرةً خاصةً في القرن الذي عاش فيه الهروي تبين عقيدة الناس في الزيارات .

ولا نعتقد أن نص الكتاب نفسه ذو شأن علمي ، فشأنه تاريخي ، لأنه من أقدم ما كتب عن الزيارات والأماكن المباركة . غير أن السيدة جانين سورديل — طومين عنيت بنشره . ولا يستطيع الباحث الا أن يقدر الجهد الكبير الذي بذلته في اخراج النص اخراجاً علمياً صحيحاً . ان هذا الكتاب ، من حيث طريقة نشره ، هو أحسن ما أصدره المعهد الفرنسي من نصوص عربية ، فقد اتبعت السيدة سورديل أصول النشر العلمي على طريقة الفرنسيين وطبقتها أحسن تطبيق ، ولا غرو في ذلك فهي تلميذة المستشرق المفقود السيد سوفاجه ، الذي افتقده العلم وهو في نضجه ، وقد كان أشار عليها بنشر الكتاب .

ان هذا الكتاب باكورة جيدة تقدمها السيدة سورديل . ولا يعيبه ما فيه من أخطاء قليلة في ضبط الأماكن . فلقد جعلت السيدة سورديل بأصولها العلمية من هذا الكتاب مرجعاً يمكن الانتفاع به والاستفادة منه . فلها التهنئة .

الدكتور صلاح الدين المنجد

آراء وأنباء

المستشرق الأستاذ ك . و . سترستين

(١٨٦٦ — ١٩٥٣)

مات عضو مشهور من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق لليلة خلت من شهر حزيران سنة (١٩٥٣) . وهو المستشرق السويدي الأستاذ ك . و . سترستين .

حياته :

ولد المترجم في سنة (١٨٦٦) . ولا نعدو الصواب اذا ادعينا أنه نشأ على حب تعلم اللغات الشرقية منذ كان شاباً . وذلك أنا نراه يضيف إذ كان بالمدرسة العالية لغتين إلى الفنون المفروضة على التلامذة ، وهما : العبرانية والعربية . أما الأولى فقد تلقاها على بعض المدرسين حتى برع فيها وفاق ، وأما الثانية فلم يجد من يعلمه مبادئها فتعلمها ولا معلم له . وفي ذلك عجب ، فإن من المعلوم أن العربية هي لغة عظيمة لا يبدأ فيها الأجنبي إلا بصعوبة .

وبعد انتهاء الدروس المدرسية رحل سنة (١٨٨٤) الى جامعة أبسالة طمعاً في العلم خصوصاً في الفنون اللغوية الشرقية المختلفة . وما زال مجداً في ذلك حتى أحرز إجازة الدكتوراه في الآداب سنة (١٨٩٥) . غير أنه لم يقنع بالتلقي على أساتذة بلده والاستفادة مما عندهم . بل ارتحل هذه السنة الى ألمانية ليتمّ بعض ما فاته من العلوم . وقد اشتغل هناك بلغات مختلفة مثل العربية والفارسية والتركية على المشارقة الذين كانوا إذ ذاك يدرّسون بالمدرسة الشرقية



K. V. Zetterstéen

المستشرق الأستاذ ك. و. سترستين

بيرلين . وطالع العربية — والشامية القديمة بالاضافة الى ذلك — على المستشرق المشهور الأستاذ أدوارد سخاو .

في أواخر سنة (١٨٩٥) عاد إلى بلده حيث عيّن مدرّساً مساعداً للغات الشرقية بجامعة لُنْد . وظلّ كذلك حتى كانت سنة (١٩٠٤) فعيّن أستاذاً في اللغات الشرقية بجامعة أبسالة . وكانت الحقبة التي قضاها في ذلك طويلة ، قد امتدّت الى سنة (١٩٣١) حين ترك منصبه وأحيل الى التقاعد . وفي عام ١٩٣٦ رحل الى دمشق وناب عن المستشرقين في المهرجان الدمشقي لأبي الطيب المتنبي فألقى بالعربية كلمة عن الشاعر الكبير كان لها وقع طيب لدى السامعين . ولم يزل مواظباً على أشغاله العلمية المثمرة حتى أدركته المنية سنة (١٩٥٣) وهو مع كبره هامّ بنشر كتاب ذي شأن من التراث العربي وهو « شمس العلوم » لنشوان الحميري الآتي ذكره .

كان الأستاذ سترستين ذا فطنة جيدة وذكاء مفرط ، مشهوراً باجتهاد لا نهاية له : قد كان يقضي أكثر ساعات النهار وشطراً طويلاً من الليل في خدمة العلم الأدبي بحثاً أو تدريساً أو تصنيفاً . وكان يشتمل بحثه وتدريسه على فنون المشرقيات كلّها . غير أنه قد كان يغلب عليه العربية التي كان ميله اليها أشدّ ، وله فيها مشاركة قوية . وله أيضاً يد طولى في اللغات الدارجة في تونس ومصر والشام وغيرها من بلاد العرب التي رحل اليها غير مرة .

وأما تصانيفه الجمة الآتي ذكر بعضها فتدلّ على سعة اطلاعه ، وجودة معرفته بكثرة ألفاظ العربية وأدبها . وكان المترجَم حسن المحاضرة ، محبًّا لأصدقائه وتلامذته ، لا يتخلّف عن معاونتهم ، ويسهّل لهم المدخل الى العلوم الأدبية : قد علم ذلك من خالطه وعاشره . وبالجملة فكان من أجلاء مستشرقي عصرنا وأكابرهم ، المشار اليهم بأخلاق كريمة ، وشمائل حسنة .

آثاره وتصانيفه :

وتصانيفه عديدة جداً ، تشتمل على كل فنون المشرقيات المتنوّعة . ومن أهمها ما قام بنشره وتحقيقه من التراث العربي . فمن ذلك : « الدرة الألفية » لابن معط الزواوي (١٩٠٠) . والجزءان الخامس والسادس من « الطبقات الكبيرة » لابن سعد كاتب الواقدي (١٩٠٥ — ١٩١٩) . وبالاضافة الى ذلك رسالة مفيدة يقابل فيها متن الجزء الخامس من « الطبقات » بنسخة مخطوطة محفوظة بمكتبة شهيد علي باشا باستانبول (١٩٢٣) . و « تاريخ لسلاطين مصر والشام » اسم مصنفه مجهول (١٩١٩) . و « تهذيب اللغة » لأبي منصور الأزهري (في مجلة Le monde oriental, 1920) . و « طرفة الأصحاب فى معرفة الأنساب » للملك الأشرف ابن رسول الغساني (من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، ١٩٤٩) . و « شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم » لنشوان بن سعيد الحميري (١٩٥٠) وكان كما ذكرت مشتغلاً بنشر هذا القاموس الكبير لما أدركته المنية ،وقد نشر منه الجزئين الأول والثاني من القسم الأول ، وقد كلفني أن أقوم باتمام هذا الكتاب وسأفعل إن شاء الله . وله الجزء الثالث من « Glossaire Datinois » (١٩٤٢) ، الذي صنف المستشرق المشهور الكُنْت لندبرج الجزئين الأولين منه . وله : « اللغات الشرقية » (١٩١٤ ، في السويدية) . وترجم « القرآن الكريم » الى السويدية سنة (١٩١٧) . وكذلك ترجم بعض كتب المتصوفة سنة (١٩٠٨) عن العربية الى السويدية .

الأستاذ الدكتور س . ديدرينغ

أعضاء المجمع العلمي العربي

في سنة ١٣٧٣ هـ — ١٩٥٤ م

١ الأستاذ خليل مردم بك (رئيس المجمع) دمشق
٢ الدكتور اسعد الحكيم 〃
٣ الأمير جعفر الحسني 〃
٤ الدكتور جميل صليبا 〃
٥ 〃 حسني سبح 〃
٦ 〃 حكمة هاشم 〃
٧ 〃 سامي الدهان 〃
٨ الاستاذ سليم الجندي 〃
٩ 〃 شفيق جبري 〃
١٠ الدكتور صلاح الكواكبي 〃
١١ الاستاذ عارف النكدي 〃
١٢ الشيخ عبد القادر المغربي (نائب الرئيس) 〃
١٣ الاستاذ عز الدين التنوخي 〃
١٤ 〃 فارس الخوري 〃
١٥ 〃 محمد البزم 〃
١٦ الشيخ محمد بهجة البيطار 〃
١٧ الدكتور مرشد خاطر 〃
١٨ الأمير مصطفى الشهابي 〃
١٩ الدكتور منير العجلاني 〃
٢٠ الاستاذ هنري لاوست 〃
٢١ الشيخ عبد الحميد الكيالي حلب
٢٢ الدكتور عبد الرحمن الكيالي 〃
٢٣ الاستاذ عمر ابو ريشة 〃
٢٤ الشيخ محمد زين العابدين 〃
٢٥ البطريرك مار اغناطيوس افرام حمص
٢٦ الأستاذ محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل) اللاذقية
٢٧ الشيخ سعيد العرفي دير الزور
٢٨ الاستاذ أنيس المقدسي بيروت
٢٩ 〃 بشارة الخوري 〃
٣٠ الدكتور صبحي المحمصاني 〃
٣١ 〃 عمر فروخ 〃
٣٢ الشيخ فؤاد الخطيب 〃
٣٣ الفيكونت فيليب دي طرازي 〃
٣٤ الدكتور نقولا فياض 〃
٣٥ الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف زحلة
٣٦ الشيخ سليمان ظاهر جبل عاملة
٣٧ الأب اس. مرمرجي الدومنكي القدس
٣٨ الاستاذ محمد الشريقي عمان
٣٩ الشيخ رضا الشبيبي بغداد
٤٠ الاستاذ طه الهاشمي 〃

٤١ الاستاذ عباس العزاوي بغداد
٤٢ الشيخ كاظم الدجيلي «
٤٣ « محمد بهجة الاثري «
٤٤ الدكتور مصطفى جواد «
٤٥ الاستاذ احمد حامد الصراف «
٤٦ « كوركيس عواد «
٤٧ الدكتور داود الچلبي الموصل
٤٨ الاستاذ احمد امين القاهرة
٤٩ « احمد حسن الزيات «
٥٠ الدكتور احمد زكي «
٥١ الاستاذ احمد لطفي السيد «
٥٢ « خليل ثابت «
٥٣ « خير الدين الزركلي «
٥٤ الدكتور طه حسين «
٥٥ الاستاذ عباس محمود العقاد «
٥٦ الدكتور عبد الوهاب عزام «
٥٧ الشيخ محمد الخضر حسين «
٥٨ الأمير يوسف كمال «
٥٩ الأستاذ عبد الحميد العبادي الاسكندرية
٦٠ « حمد الجاسر الرياض
٦١ « حسن حسني عبد الوهاب تونس
٦٢ « مارسه «
٦٣ « عبد الحي الكتاني فاس
٦٤ الاستاذ محمد الحجوي مراكش
٦٥ « عباس إقبال طهران
٦٦ « عبد العزيز الميمني الراجكوتي عليكر
٦٧ « أ . كي فرنسا
٦٨ « ماسه باريس
٦٩ « دوسو «
٧٠ « كولان «
٧١ « ماسينيون «
٧٢ « هيش سويسرا ـ زوريخ
٧٣ « ا . ج . اربري كمبردج
٧٤ « هـ.ا.ر.جيب (اوكسفورد)
٧٥ « الفرد غليوم لندن
٧٦ « اميليو غارسيا غومز مدريد
٧٧ « فرنسيسكو جبرائيلي روما
٧٨ « بروكلمن المانية
٧٩ « هارتمان (ريشار) برلين
٨٠ « هـ . ريتر فرنكفورت
٨١ « استروب كوبنهاغ ـ الدانيمارك
٨٢ « بدرسن « «
٨٣ « موجيك فينا
٨٤ « ماهلر بودابست
٨٥ « كرنيكو كانتازولو ـ فنلاندة
٨٦ « فيليب حتي اميركة ـ برنستون
٨٧ « سعيد ابو جمرة سانباولو ـ البرازيل

أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون

١	الشيخ طاهر الجزائري	دمشق
٢	〃 سليم البخاري	〃
٣	الاستاذ مسعود الكواكبي	〃
٤	〃 الياس قدسي	〃
٥	〃 أنيس سلوم	〃
٦	〃 جميل العظم	〃
٧	〃 مانجو	〃
٨	〃 سليم عنحوري	〃
٩	〃 عبد الله رعد	〃
١٠	〃 رشيد بقدونس	〃
١١	〃 اديب التقي	〃
١٢	الشيخ عبد القادر المبارك	〃
١٣	السيد محسن الأمين	〃
١٤	الاستاذ معروف الأرناؤط	〃
١٥	〃 محمد كرد علي	〃
١٦	الأب جرجس شلحت	حلب
١٧	〃 جرجس منش	〃
١٨	الاستاذ قسطاكي الحمصي	〃
١٩	الشيخ كامل الغزي	〃
٢٠	الاستاذ ميخائيل الصقال	〃
٢١	الشيخ بدر الدين النعساني	〃
٢٢	〃 راغب الطباخ	〃
٢٣	〃 عبد الحميد الجابري	〃
٢٤	الدكتور صالح قنباز	حماة
٢٥	الشيخ سليمان احمد	اللاذقية
٢٦	الاستاذ ادوار مرقص	〃
٢٧	الاستاذ حسن بيهم	بيروت
٢٨	الأب لويس شيخو	〃
٢٩	الشيخ عبد الله البستاني	〃
٣٠	الاستاذ جبر ضومط	〃
٣١	〃 عبد الباسط فتح الله	〃
٣٢	الشيخ عبد الرحمن سلام	〃
٣٣	〃 مصطفى الغلاييني	〃
٣٤	الاستاذ عمر الفاخوري	〃
٣٥	〃 بولص الخولي	〃
٣٦	〃 امين الريحاني	لبنان
٣٧	الامير شكيب ارسلان	〃
٣٨	الشيخ ابراهيم منذر	〃
٣٩	الاستاذ جرجي يني	طرابلس الشام
٤٠	الشيخ احمد رضا	جبل عاملة
٤١	الاستاذ نخلة زريق	القدس
٤٢	الشيخ خليل الخالدي	〃
٤٣	الاستاذ عبد الله مخلص	〃
٤٤	〃 محمد اسعاف النشاشيبي	〃
٤٥	الشيخ سعيد الكرمي	طول كرم
٤٦	الاستاذ محمود شكري الآلوسي	بغداد
٤٧	〃 جميل صدقي الزهاوي	〃
٤٨	〃 معروف الرصافي	〃
٤٩	〃 طه الراوي	〃
٥٠	الاب انستاس ماري الكرملي	〃
٥١	الشيخ احمد الاسكندري	القاهرة

٥٢	الاستاذ رفيق العظم	القاهرة
٥٣	〃 مصطفى لطفي المنفلوطي	〃
٥٤	〃 احمد تيمور	〃
٥٥	〃 احمد زكي	〃
٥٦	〃 حافظ ابراهيم	〃
٥٧	〃 احمد شوقي	〃
٥٨	〃 اسعد خليل داغر	〃
٥٩	السيد محمد رشيد رضا	〃
٦٠	الاستاذ مصطفى صادق الرافعي	〃
٦١	〃 احمد كامل	〃
٦٢	الدكتور يعقوب صروف	〃
٦٣	الاستاذ اوجينيو غريفيني	〃
٦٤	〃 داود بركات	〃
٦٥	الدكتور امين المعلوف	〃
٦٦	الشيخ عبد العزيز البشري	〃
٦٧	الدكتور احمد عيسى	〃
٦٨	الشيخ مصطفى عبد الرازق	〃
٦٩	الاستاذ انطون الجميل	〃
٧٠	〃 خليل مطران	〃
٧١	〃 ابراهيم عبد القادر المازني	〃
٧٢	〃 محمد لطفي جمعة	〃
٧٣	الأمير عمر طوسون	الاسكندرية
٧٤	الشيخ محمد بن ابي شنب	الجزائر
٧٥	الاستاذ رينه باسه	〃
٧٦	〃 ميشو بللير	طنجة
٧٧	〃 زكي مغامز	الاستانة
٧٨	الحكيم محمد أجمل خان	الهند
٨٠	الاستاذ كليمان هوار	باريس
٨١	〃 بوفا	〃
٨٢	〃 جويدي	ايطاليا
٨٣	〃 نللينو	〃
٨٤	〃 هومل	المانيا
٨٥	〃 ساخاو	〃
٨٦	〃 هوروفيتز	〃
٨٧	〃 مارتين هارتمان	〃
٨٨	〃 ميتفوخ	〃
٨٩	〃 مونته	سويسرا
٩٠	〃 سنوك هوغرنيه	هولاندة
٩١	〃 اراندونك	〃
٩٢	〃 هوتسما	〃
٩٣	〃 مرجليوث	انكلترا
٩٤	〃 بفن	〃
٩٥	〃 براون	〃
٩٦	〃 كرنكو	كمبردج
٩٧	〃 بوهل	كوبنهاغ ـ الدانيمارك
٩٨	» اغناطيوس غولدصهير	بودابست
٩٩	الشيخ ابو عبد الله الزنجاني	زنجان
١٠٠	الاستاذ ماكدونالد	اميركا
١٠١	〃 هرزفلد	〃
١٠٢	» آسين بلاسيوس (مجريط)	اسبانيا
١٠٣	〃 لويس (لشبونة)	البرتغال
١٠٤	〃 موزل	تشكوسلوفاكية
١٠٥	〃 كوفالسكي	بولونية
١٠٦	〃 كراتشكوفسكي	لينغراد

انتخاب أعضاء جدد

انتخب المجمع العلمي العربي في جلسته المنعقدة في يوم الاثنين ١٩٥٣/١٢/٧ برئاسة الأستاذ خليل مردم بك ثلاثة أعضاء عاملين جدد للمقاعد الشاغرة فيه وهم السادة :

١ — الدكتور سامي الدهان بدلاً من المرحوم الأستاذ معروف الأرناؤط .
٢ — الدكتور صلاح الكواكبي بدلاً من المرحوم الدكتور جميل الخاني .
٣ — الدكتور حكمة هاشم بدلاً من المرحوم السيد محسن الأمين العاملي .

وقد صدرت عن مقام رئاسة الجمهورية المراسيم ذوات الأرقام : ١٤١٨ ، ١٤١٩ ، ١٤٢٠ . بتاريخ ١٩٥٣/١٢/٢٣ تقر هذا الانتخاب .



مخطوطات بدار الكتب

أهدت مديرية الشرطة والأمن العام في ١٩٥٣/١١/٢٢ دار الكتب الظاهرية ثلاثة كتب مخطوطة وهي :

١ — المنح المكية في شرح الهمزية لابن حجر الهيثمي .
٢ — الجزء الأول من الكشاف للزمخشري .
٣ — التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح للزركشي .

فلها الشكر .



أجزاء جديدة من تاريخ مدينة دمشق
للحافظ ابن عساكر

كنا وصفنا في مقدمة المجلدة الأولى من تاريخ مدينة دمشق مخطوطات هذا التاريخ المعروفة في مكتبات العالم[1] .

ثم علمنا ، أثناء مقامنا بباريز ، أن في المكتبة السعيدية بحيدر آباد الدكن ، بالهند ، — وهي مكتبة جليلة فيها مخطوطات قيمة — مجلدين من هذا التاريخ . أخبرنا بذلك الأستاذ الدكتور محمد حميد الله ، وتكرّم فكتب الى الدكتور يوسف الدين الأستاذ بالجامعة العثمانية بحيدر آباد فوصفهما لنا . وها نحن أولاء ننشر موجزاً عنهما ، شاكرين للأستاذين صنعهما .

المجلد الأول : رقمه ١٣ تاريخ .

كتب سنة ٥٦٠ هجرية ـ أي في حياة المؤلف ابن عساكر .

عدد صفحاته : ٣٦٦ بقياس (٢٥٫٠ X ١٦ عُشيراً) .

يبدأ بالجزء الثاني والأربعين بعد المائة وينتهي بالجزء الخمسين بعد المائة من الأصل .

في أوله ما يلي :

الجزء الثاني والأربعون بعد المائة

من تاريخ مدينة دمشق حماها الله

وضعه (صنفه ?) الحافظ ابوالقاسم علي بن الحسن بن حبة الله الشافعي رحمه الله

سماع ولده القاسم بن علي بن الحسن

اجازة له من بعض الشيوخ رحمهم الله

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ، المقدمة ص ٤٤ – ٤٦ .

ويشتمل هذا المجلد علي ترجمات الأشخاص الآتية اسماؤهم :

حميد بن مالك

من اسمه حنظلة

سماعات

ذكر من اسمه حيان

ذكر من اسمه خارجة

ذكر من اسمه خالد

سماعات

تتمة الخالدين

خالد بن الوليد .

المجلد الثاني : أما المجلد الثاني فهو حديث .

رقمه ١٩ تاريخ .

كتب سنة ١٣٠٥ .

فيه ذكر من اسمه عباد الى ذكر من اسمه عمر .

في آخره ما يلي :

آخر الجزء العاشر بعد الثلاثمائة ، وهو آخر المجلد الحادي والثلاثين من الأصل المنقول منه ، بخط القاسم تجزئة ثمان مائة جزء من الف وثمان مائة كراسة من النسخة الثانية ، وجميعها تشتمل على ثمانين مجلدة . فرحم الله مصنفها وكاتبها وأبقى بيتهم الطاهر متمسكين بالعلم والرواية سلفاً عن خلف وجزاهم خيراً .

صورة ما في الأصل المنقول عنه :

تجزت هذه المجلدة يوم الخميس سلخ ربيع الآخر سنة أربع عشرة وستمائة بدار السنة بدمشق ، حرسها الله . والحمد لله.والصلاة على نبيه محمد وآله .

على يد العبد الفقير المذنب الخاطئ محمد بن يوسف بن محمد البرزالي الاشبيلي ، وفقه الله وشرح صدره وجمع شمله وغفر ذنبه » .

فتكون هذه المجلدة منقولة عن نسخة البرزالي التي نقلها عن نسخة القاسم .

ولعل المجمع العلمي بدمشق يصوّر هذين المجلدين ، ويضمها الى ما كان صوّره من مخطوطات هذا التاريخ العظيم .

(دمشق) الدكتور صلاح الدين المنجد



حول ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب

النووي الذي أجاز ابن رجب

كنت كتبت في مجلة المجمع هذه في الجزء الأول من المجلد السابع والعشرين بـ ص (١٥٢) كلمة عنوانها : « نظرة عابرة في ذيل طبقات الحنابلة » انتقدتُ في ضمنها قول الناشرين في ترجمة ابن رجب الحنبلي : « وأنه لازم مجالس الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية الى أن مات ، وأن ابن النقيب والنووي أجازاه » .

وقلت : إن (النووي) هنا تحريف إلا أن يكون المراد به نوويًا آخر غير المشهور ، وبينت ذلك بالموازنة بين وفاة النووي وولادة ابن رجب ، وقلت أيضاً : إن ابن النقيب هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن لؤلؤ القاهري الشافعي المتوفى سنة ٧٦٩ عن ٦٧ سنة .

وقد هدتني المطالعة في « شذرات الذهب » الى العثور على نووي يصح أن يكون هو شيخ ابن رجب الذي أجازه ، كما هدتني الى أن ابن النقيب الذي أجاز ابن رجب يحتمل أن يكون غير الذي ذكرته ، فكتبت هذه السطور ،

راجياً موافاة أهل العلم بالكشف عن وجه الحق فيما أكتبه على صفحات هذه المجلة ، وشكري لهم مقدم وجزيل .

قال ابن العماد في « شذرات الذهب » في وفيات سنة ٧٤٩ (١٥٨/٦) :

« وفيها مات علاء الدين أحمد بن عبد المؤمن الشافعي ، قال ابن قاضي شهبة : الشيخ الامام السبكي ثم النووي ، نسبة الى نوى من أعمال القليوبية ، وكان خطيباً بها ، تفقه على الشيخ عز الدين النسائي وغيره ، وكتب شرحاً على التنبيه في أربع مجلدات ، وصنف كتاباً آخر فيه ترجيحات مخالفة لما رجحه الرافعي والنووي ، قال الزين العراقي : كان رجلاً صالحاً ، صاحب أحوال ومكاشفات ، شاهدت ذلك منه غير مرة ، وكان سليم الصدر ، ناصحاً للخلق ، قانعاً باليسير ، باذلاً للفضل ، بل لقوت يومه مع حاجته اليه » اهـ .

وغالب الظن أن هذا النووي هو الذي أجاز ابن رجب ، ذلك لأن ابن رجب رافق الزين العراقي في السماع كثيراً ، كما ذكره الناشران في ترجمته ، والنووي هذا شيخ للزين العراقي كما ذكر هنا ، فيكون شيخاً لمرافقه في السماع والارتحال الشيخ ابن رجب ، ويكون للعلماء نوويان أحدهما دمشقي ، وثانيهما مصري .

وقد مررت أثناء المطالعة في « الشذرات » بنووي ثالث ، أذكره هنا إتماماً للفائدة . قال ابن العماد في « الشذرات » في الجزء (٦١/٨) في وفيات سنة ٩٠١ :

« وفيها مات علاء الدين علي بن يوسف بن خليل النووي ثم الدمشقي الشافعي ، الإمام العلامة ، وُلد في حادي عشر شوال سنة ٨٢٢ اثنتين وعشرين وثمانمائة ، واشتغل في العلم فبرع ودرّس وأفتى ، وكان يكتسب بالشهادة في مركز باب الشامية البرانية خارج دمشق ، وتوفي ليلة الخميس عاشر صفر ، ودفن بمقبرة النخلة غربي سوق صاروجا » اهـ .

أما ابن النقيب ، فقد كنت ذكرت أنه « شهاب الدين أبو العباس أحمد بن لؤلؤ المعروف بابن النقيب ، المولود سنة ٧٠٢ ، المتوفى سنة ٧٧٦ » . ومن

المحتمل أن يكون هو : «شمس الدين محمد بن أبي بكر بن ابراهيم بن عبد الرحمن ابن محمد بن حمدان بن النقيب الدمشقي الشافعي ، المولود سنة ٦٣٢ ، المتوفى سنة ٧٤٥ » ؛ وترجمته في « الشذرات » لابن العماد (٦/١٤٤) إذ كلٌّ من هذين العالمين يعرف بابن النقيب ، وكل منهما ممكن أن يكون شيخاً لابن رجب ، ولم أر فيما قرأت في ترجمتهما ذكر أخذ ابن رجب عن أحدهما .

ولكن يغلب على الظن أن الأول هو شيخ ابن رجب ، لأن الأول من طبقة شيوخ الحافظ الزين العراقي - إن لم يكن منهم - كما يقوله العلامة الطهطاوي في « التنبيه والإيقاظ » بـ (ص ١٠٢) ، وقد كان الحافظ ابن رجب مرافقاً للزين العراقي في الرحلة والسماع والتلقي من الشيوخ كما تقدم ذكره ، فيكون - في غالب الظن - شيخُ زميله العراقي شيخاً له والله أعلم .

ولعلنا لا نعدم من الفضلاء الذي رزقهم الله العلم و كتبه والفراغ له من يكشف وجه الحق ، ويزيل الشك والارتياب في هذا الصدد فنكون له من الشاكرين .

بقي بعد هذا كلمة حول مؤلفات ابن رجب ، فقد عدّ الناشران من مؤلفاته ثلاثةً وثلاثين مولفاً ، وأغفلا ذكر « ذيل طبقات الحنابلة » وهو الكتاب الذي عُنيا بنشره ، ولم أدر سرّ اغفالهما هذا المؤلَّف في تعداد مؤلفات ابن رجب ، وكان الواجب ذكره فيها ، فتكون (٣٤) مؤلفاً . على أنه قد فاتهما ما يأتي :

١ - شرح كتاب العلل للترمذي ، ذكره شيخ شيوخنا الكتاني رحمه الله تعالى في « الرسالة المستطرفة » بـ (ص ١١١) ، وتوجد نسخة منه مخطوطة في دار الكتب المصرية ، وقد صوّرتها الادارة الثقافية لأمانة الجامعة العربية .

٢ - شرح حديث : « بعثت بالسيف بين يدي الساعة » وطبع بمصر بمطبعة المنار سنة ١٩٣٩ بعنوان « الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي بعثت بالسيف بين يدي الساعة » ، وأظن هذا الاسم من صنيع ناشره حامد الفقي .

٣ — تفسير سورة : «اذا جاء نصر الله والفتح» طبع بالهند سنة ١٣٣٩ مع كتاب «تحفة الورود بأحكام المولود» لابن القيم .

٤ — غاية النفع في شرح تمثيل المؤمن بخامة الزرع ، طبع بمصر بمطبعة أنصار السنة المحمدية سنة ١٣٥٨ ، ضمن مجموعة رسائل حديثية ، أولها : «إنعام المنعم الباري بشرح ثلاثيات البخاري» للشيخ عبد الصبور بن عبد التواب الهندي ، وقد شرح الحافظ ابن رجب في هذه الرسالة حديث البخاري ومسلم : «مثل المؤمن كمثل خامة الزرع» الحديث . فتكون مؤلفات ابن رجب التي وقفنا عليها (٣٨) مؤلفاً .

هذا ، ولما ذكر الناشران في مؤلفات ابن رجب «شرح البخاري» لم يذكرا أنه تام أو ناقص ، وصنيعها يفيد أنه تام ، وقال شيخ شيوخنا الكتاني رحمه الله تعالى في «الرسالة المستطرفة» : و«شرح قطعة من صحيح البخاري» اه . وكذلك قال ابن حجر في «الدرر الكامنة» .

وقال الناشران في «شرح حديث ما ذئبان جائعان» : طبع في لاهور سنة ١٣٢٠ . قلت : وطبع بمصر سنة ١٣٤٦ ضمن الجزء الثالث من مجموعة «الرسائل المنيرية» .

وذكر الناشران أيضاً في الرقم (١٧) من مؤلفات ابن رجب : «شرح حديث من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً» وسكتا عن طبعه ، فأفاد سكوتهما أنه لا يزال مخطوطاً ، وقد طبع بمكة سنة ١٣٤٧ بالمطبعة السلفية قبل تحولها الى مصر ، بعنوان : «شرح حديث أبي الدرداء فيمن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً» ، وهو في (٦٠) صفحة من القطع الصغير .

(حلب) عبد الفتاح أبو غدة

أغلاط مطبعية

جاء في آخر نشرة لي من «آراء وتعليقات» ج ٤ مج ٢٨ ص ٦٥٦ : « نهاية المبارك لابن الأثير »، وص ٦٥٧ « الأباده » ، و ص ٦٦٣ « ثلاث وثلاثين » ، و ص ٦٦٤ « ويوفق أهل التحقيـق الى الزيادة » ، والأصل : « نهاية المبـارك ابن الأثير » ، و « الأدباء » ، و « ثلاثاً وثلاثين » ، و « يوفق أهل التحقيق للزيادة » .

الدكتور مصطفى جواد

ووردت في الصفحة ١٢٨ في السطر الثامن من هذا الجزء : « حوذة » بالذال وصوابها « حوزة » بالزاي .

حول (تصحيح سبعة أسطر)

جاءنا من الأستاذ محقق تاريخ داريا ـ رداً على ما نشر في العدد الثاني من المجلد الثامن والعشرين (ص ٣٣٣) بعنوان تصحيح سبعة أسطر من تاريخ داريا ـ بيان نقتطف منه ما يلي بعد تغيير وحذف يسيرين .

١ ـ بدأ المعترض الكلام بقوله : « حينما طالعت تاريخ داريا لابن المهنا ... وبخاصة ص ١٢٦ ... الخ » .

وابن المهنا وتاريخه لا علاقة لها بهذه الصفحة ، إذ ينتهي تاريخ ابن المهنا في

ص ١٢٣ نصاً وصراحة وبعد هذا الإشعار الصارخ من حمد الله والصلاة على نبيه على عادة المؤلفين جميعاً . وتبدأ صفحة (١٣٤) بعنوان طبع بحرف كبير جداً : (الزيادة ... الخ) وهي زيادات لمتأخر نقلها الناسخ .

٣ – ثم يقول المعترض : « فظهر لي أن الترجمة المذكورة بسبعة أسطر في الصفحة المذكورة ليست لشخص واحد وهو « خلف بن محمد » وإنما هي ثلاث تراجم ... مزج الأستاذ ... بعضها ببعض وجعلها ترجمة واحدة لشخص واحد » اهـ .

فلا النفي ذكره مني للثلاثية صحيح ، ولا ما عزاه للناشر من المزج صدق . فأما الأول فليس في النص مما زعمه ترجمة ثانية غير (أبيه) ويحتاج المرء الى خيال جريء حتى يجعل من هذه الكلمة نواة ترجمة . وأما الثاني فلم يمزج الناشر ولم يغيّر ، وإنما نشر زيادة الناسخ كما هي ، وهي في الأصل جملة واحدة ليس لها غير عنوان واحد (خلف بن محمد) ، وليرجع اليها من شاء في النسخة المصورة بخزانة المجمع العلمي العربي .

وقد كنت لاحظت في هذه الترجمة خللاً حين اختلفت سنة الوفاة لصاحب الترجمة عن السنة المذكورة في آخرها فأشرت الى ذلك في التعليق ، وسقوط كلام قبل كلمة (أبيه) فوضعت بعدها كلمة (كذا ؟) مشفوعة بإشارة استفهام ، ولا تسمح الأمانة بأكثر من ذلك فإن زاد شيئاً صار اختلاقاً . والمؤسف أن هذا التعليق المفيد للقارئ المتأني أضرّ بالمعترض وجعله يزعم أن هناك ثلاث تراجم وجعله يدعي ويطلب أن يزاد على النص أن أحمد بن عمرو العنسي روى عن أبيه وروى عنه ابنه ، ومن عرف أن العلم عند المحدثين أمانة يدرك لماذا يسقطون الراوي لاختلاق أقل من هذا بكثير .

أما تعليقي فيجعل كون الترجمة ترجمتين (لا ثلاثاً) أحد الأمور المحتملة، ولم أحتم ذلك تحتيماً خشية أن يكون هناك كلام سقط (لا ندري ما هو) يربط آخر النص بأوله . والصفحة كما أسلفت ليست من كتاب ابن المهنا وإنما هي زيادة قارئ متأخر ، ومن طالت ممارسته تراثنا المخطوط تأنى وتحفظ واحتاط .

وليستقيم للمعترض ادعاء ترجمات ثلاث قام بما يأتي :

٣ — أولاً : ادعى وجود بياض في المطبوعة في السطر الثاني من ترجمة خلف (ص ١٢٦) ، وذكر في تصويبه ما يدل على أن الكلمة الساقطة هي (العنسي)

وأقول : ليس في المطبوعة بياض بل (العنسي) في مكانها والنسخ بأيدي القراء .

ثانياً — في تصويبه ما يوهم حذف الناشر لعنوانين من الثلاثة . وذلك تزوير على الأصل ، فليس فيه الا عنوان واحد هو الذي طبعناه بأمانة دون اختلاق .

ثالثاً — في تصويبه الذي نشره ما يقطع بأن (عبد الله بن أحمد) ذكر مرتين ، ليستطيع زعم أن الأولى تتبع الترجمة الثانية التي زعمها ، والثانية عنوان ترجمة جديدة . وهذا زعم ثان إذ ليس في الأصل (عبد الله بن احمد) إلا مرة واحدة[1] .

---

(١) وورد على المجمع سؤال من السيد محمد طاهر التميمي عن وفاة قيس بن عباية المذكورة في ص ٣٥ من تاريخ داريا ، ويسأل عن كلمة (بن الأوس) هل هي في المخطوط (بن) أو (من) .

والجواب أن الرقم المدرج تحت الاسم (— ١١٠ = ١٣٠) سهو محض لأنه يتعلق برجل آخر اسمه قيس بن عباية أيضاً .

وأما (بن) فهي في المخطوط (من) .

وبهذه المناسبة نرجو من عنده نسخة من تاريخ داريا أن يضيف الى تصويباتها ما يأتي :

ص ٣٣ وحي من ولد رحب بن حلوان .

مغوية

ص ٤٩ حلبس

صواب عبد العزيز بن احمد الكناني : عبد العزيز بن احمد الكتاني .

فهرس الجزء الأول من المجلد التاسع والعشرين

التعريف والنقد

آراء وأنباء

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

١ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
٢ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٣ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٤ — رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
٥ — المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
٦ — البيزرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٧ — تاريخ حكماء الاسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٨ — المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي المحسّن التنوخي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٩ — كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
١٠ — غوطة دمشق (الطبعة الثانية) : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
١١ — كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
١٢ — ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف . جبريالي قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
١٣ — ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٤ — ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملته الأستاذ خليل مردم بك
١٥ — ديوان ابن حيّوس (الجزء الأول) بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٦ — 〃 〃 〃 (الجزء الثاني) 〃 〃 〃 〃 〃 〃
١٧ — ديوان الوأواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان
١٨ — تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (المجلدة الأولى) بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد
١٩ — فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد

٢٠ — تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني
٢١ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الأول) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني
٢٢ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الثاني) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني
٢٣ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا
٢٤ — 〃 〃 〃 〃 (الجزء الثاني) 〃 〃 〃 〃 〃
٢٥ — عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي
٢٦ — الموفي في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنغراوي الاستانبولي : شرحه وعلق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار
٢٧ — صحيفة همام بن منبه : بتحقيق الدكتور محمد حميد الله
٢٨ — طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول: بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك. و. ستر ستين قدم له الدكتور صلاح الدين المنجد
٢٩ — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ) وضعه الدكتور يوسف العش
٣٠ — أسماء مؤلفات ابن تيمية لابن قيم الجوزية: بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد
٣١ — التبصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب
٣٢ — المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربعي
٣٣ — تكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي
٣٤ — بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي الحلبي
} بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي
٣٥ — الرسالة النباتية : للأمير مصطفى الشهابي
٣٦ — المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية : للدكتور أسعد الحكيم
٣٧ — الفيلسوف صدر الدين الشيرازي : أطروحة الأستاذ ابي عبد الله الزنجاني

الى احمد ... الرسالة ...

الجزء الثاني — المجلد التاسع والعشرون

مجلة المجمع العلمي العربي

١ نيسان سنة ١٩٥٤ — ٢٧ شهر رجب سنة ١٣٧٣

تفكيرنا الشعري

اجتمع في ايلول الماضي في جامعة «پرنستون» وهي واقعة في ولاية «نيوجرسي» في الولايات المتحدة رجال مؤتمر الثقافة الاسلامية ، فرحَّب بهم عميد أساتذة الجامعة في قاعة مشهورة وأتى على تاريخ هذه القاعة في شيء من الاختصار ، ثم صعد المنبر أستاذ فاضل من الشرق ورحَّب باللغة العربية ، وقد كان الأستاذ المومأ اليه قد وصل الى «پرنستون» قبل ساعات من اجتماع المؤتمر ولم يك يعلم أنه سيكون له كلمة ترحيب ، فلما استقرَّ به المنبر قال : لما وصلت الى مطار «نيويورك» أبلغت أني في جملة الخطباء فصعقت ...

ان هذا الأستاذ يرتجل الكلام من خمس وعشرين سنة فهو مدرَّب على مثل هذا الارتجال ولا يصعب عليه أن يقول كلمة لا تستغرق خمس دقائق وقد قالها ولم يظهر عليه أثر الصعق ، ولكنَّ استعمال الألفاظ التي تشتمل على كثير من المبالغات انما هو من خصائصنا معاشر أهل الشرق ، يقال في لغتنا : صعق كسمع : غشي عليه ، ومن مشتقات هذه المادة : الصاعقة ، ومن معاني الصاعقة

الموت وكل عذاب مهلك وصيحة العذاب والمخراق الذي بيد الملك سائق السحاب ولا يأتي على شيء الا أحرقه ، أو نار تسقط من السماء ...

فلينظر القارئ في المعاني المختلفة التي تدلُّ عليها هذه المادة ومشتقاتها وحسب هذه المعاني أن يدخل فيها الموت أو العذاب أو نار السماء حتى نشعر بشدتها فاذا كان أحدنا يصعق أي يغشى عليه من أجل ارتجال كلمة لا تستغرق دقيقتين أو ثلاث دقائق وهو مدرَّب على الارتجال فكيف تكون حالته اذا نزلت به نازلة من نوازل الدهر وأراد الافصاح عنها ، بأي لفظ يفصح عن هذه النازلة اذا أصيب بفقد عزيز أو بمرض عضال أو بضياع ماله أو اذا أصيب بوطنه أو بأمثال هذه الشدائد .

لا شك في أن اللغة في مثل هذه الحال تعجز عن هديه الى مادة من موادّها يعرب بها عن فكره أو شعوره أو عاطفته فاذا كان أحدنا يعرب عن مفاجأة بسيطة بقوله : صعقت ، فبأي مادة يعرب عن هذه الأمور التي أتيت على ذكرها ، من هذا يتبين لنا أنا في كثير من الأحوال نعطي المعاني أكثر مما تستحق من الألفاظ ، وما هي نتيجة هذا العطاء ، من نتائجه أن الألفاظ تنخر وتبلى على مرّ السنين فلا يبقى لها أثر في الأذهان والقلوب وهذا ما يحمل بعض أكابر الشعراء والكتاب من عصر الى آخر على تحويل ألفاظ من معنى الى معنى حتى يجدوا فيها عوضاً عن الألفاظ النخرة البالية ، ولولا هذه التحويلات في اللغة لما وجد أحدنا سبيلاً الى التعبير عن فكر أو شعور بلفظ يصوّر هذا الفكر والشعور في حقيقة صورتيهما دون زيادة أو نقصان .

من أيام استأنفت التدريس في كلية الآداب وأذكر أني نقلت في فاتحة المحاضرات قول أحد العلماء : اليد ! اللغة ! هذه هي البشرية ، وقد فصّل هذا العالم رأيه بعض التفصيل فقال :

ان الذي طبع به آخر أفق من آفاق الحيوان وأول أفق من آفاق البشر انما هو اختراع اليد واللغة ، فاليد عنوان تقدم المنطق العملي ، واللغة عنوان تقدم المنطق العقلي .

فاللغة على نحو ما قرّره علماؤها في هذا العصر انما هي أغرب ما وصلت اليه البشرية من الاختراعات في أطوارها واذا كنت لا أريد الكلام على مهمتها وعملها في نموّ العقل ، أو على علائق الفرد والجماعة في إنشاء هذه الآلة الثمينة وفي تحسينها ، فأنا أحب الاستشهاد في هذا الباب بورقة تكاد تكون أبلغ ما كتب في الدلالة على منزلة الألفاظ ، قال كاتب هذه الورقة :

« قلت لكم إنني أحب معجمات اللغة ، فأنا لا أحبها لمجرّد فائدتها العظيمة ، ولكني أحبها لأنها تحتوي على شيء حسن ، نعم ، انظر الى معجم من المعجمات ، وتصور أنك ترى روح وطننا كله في هذا المعجم ، ليتصوّر ذهنك أن في هذه الأوراق التي يبلغ عددها ألف ورقة عبقرية بلادنا وطبيعتها ، ليتصور ذهنك أن فيها أفكارنا وأفكار أجدادنا ، أفراحنا وأفراحهم ، أعمالنا وأعمالهم ، آلامنا وآلامهم ، ليخطر ببالك أن في هذا المعجم آثار الحياة العامة وحياة الدور والمنازل ، آثار الذين نشقوا الهواء الصالح ، وشموا النسيم العليل الذي نشمه اليوم ، ليخطر ببالك أن كل كلمة من كلمات المعجم يقابلها فكر من الأفكار كان فكر طائفة من البشر لا يعلم عديدهم ، وعاطفة من العواطف كانت عاطفة جمهور من الناس لا يحصى مقدارهم ، ليهجس في صدرك أن كل هذه الكلمات المجموعة انما هي لحم الوطن والبشرية ودمها وروحها » .

فاذا كان للألفاظ هذه المنزلة ، إذا كانت الألفاظ لحم الوطن والبشرية ودمها وروحها ، أفلا يجدر بنا أن نعطيها مقامها في الكلام فلا نجعل لأفكارنا منها نصيباً أكثر من استحقاقها ، أو حظاً أقل من هذا الاستحقاق ، لقد كثر في أدبنا في القديم والحديث الغلوّ في التعبير فنحن نلبس المعاني لباساً أوسع

منها فكأنا لا ندرك الفكرة ادراكاً واضحاً الا اذا انتفخت ولهذا نجد في كثير من أقوال رجالات الشرق في أيامنا هذه نمطاً من هذه الانتفاخات ، واذا كان لهذا النمط أثر فان أثره الوحيد انما هو إضعاف الفكرة المخبوءة من وراء الألفاظ الضخمة بحيث لا يبقى لهذه الفكرة قيمة .

ونحن اذا قابلنا بين عقليتنا في هذا العصر وبين عقليات الأمم التي كانت عنايتها بالمادة أشد من عنايتها باللغة الشعرية وجدنا لهذه الأمم عقلية ميكانيكية ، ومعنى هذا أنها لا تؤمن الا بالأفكار المصورة على حقيقتها دون شيء من الضخامة ، فاذا صورنا لها هذه الأفكار في صورة أضخم من الأفكار نفسها فهي لا تفهم منها شيئاً ، ولهذا يقع كثير من سوء التفاهم بين عقلية الشرق وبين العقليات الممتدة من وراء البحار ، ولا شك في أن لتلك العقليات البعيدة عناء لغة شعرية مثلنا ولكن أصحابها يفرقون في حياتهم العامة بين اللغة الشعرية وبين لغة الأمر الواقع ، أما نحن فلا نزال نقحم الصور الشعرية في كثير من مخاطباتنا أي في حياتنا العامة ، وهذا الاقحام يضعف أفكارنا وقد تكون حقاً فنجعلها باطلاً .

والجنوح الى لغة الشعر في المخاطبات العامة من خصائص الشعوب السامية فبين هذه الشعوب وبين الشعوب الآرية اختلاف في تصوير الأفكار ، فالفكر مثلاً في العبري لا يستطيع أن يتجرد من الصورة المادية التي تستره وتغطيه ولذلك فإنا نجد لغة التوراة لغة شعرية الا أنها تعجز عن بيان الفكرة المجردة فالذهن في الأمم السامية عنيد فانه يحتفظ بالصورة ويحرص على طابع الانفعال المادي ، أما الذهن في الشعوب الآرية فانه أمرن وألين فهو ينسلخ من المادة ويرتفع الى تصوير الفكرة المجردة وادراكها ولعلنا نجد في هذا التباين السبب في شيوع الفلسفة في الجنس الآري وانقطاعها في الشعوب السامية لأن التجريد من خصائص الفلسفة ، والشعوب السامية أصحاب خيال فهم بعيدون عن التجريد .

على أن هذا الكلام لا يصح اطلاقه فان اللغة العربية اذا كانت لغة شعرية فقد كانت أيضاً لغة فلسفة واجتماع ، وحسبنا أن نذكر ابن رشد وابن سينا والغزالي وابن خلدون حتى ندرك صواب هذا القول ، إلا ان للغة الشعرية غالبة على تفكيرنا ولهذا يعجل التأخر والبلى على ألفاظنا لأن هذه الألفاظ الشعرية نضعها في كثير من المواطن في غير مواضعها فيضعف تأثيرها على الأيام حتى تموت .

وكما يقضي تفكيرنا الشعري على طائفة من الألفاظ فقد يضعف كثيراً من أفكارنا ولا سيما اذا خاطبنا أمماً تختلف مقادير عقولها عن مقادير عقولنا فبدلاً من أن نعرض على هذه الأمم أفكارنا بسيطة مجردة فانا نلبسها في بعض الأحيان ملابس قد تكون ضيقة عنها أو واسعة عليها فنخرج بها عن طبيعتها ونجعلها أضحوكة ، ولو جاز لي أن أستشهد ببعض أقوال منسوبة الى طائفة من رجالات الشرق فيها غلو كثير ومبالغة كثيرة لأتيت على طائفة من هذه الأقوال الضخمة التي تضيع فيها الفكرة المخبوءة بجثتها أو يضعف تأثيرها .

ولا يستبطن أحد من قولي أني أهجم على لغة الشعر وانما أريد أن أجعل تناسباً بين لفظنا وتفكيرنا فلا يغلب لفظ شعري على فكر لا يستحق هذا اللفظ ولا يضعف لفظ شعري عن فكر يستحق مثل هذا اللفظ ، واذا رجعنا الى خطب رجالنا في صدر الإسلام ولا سيما خطب الصحابة وبعض القواد والعمال وجدنا تناسباً عظيماً بين تفكير أولئك الرجال العظماء وبين لغتهم ، فالبساطة غالبة على هذا التفكير وهذه اللغة ، ولا ريب في أن البساطة إنما هي عنوان القوة فقد كانوا أقوياء فلم يحتاجوا الى التغني بقوتهم وانما عرضوا قوتهم في حقائق معارضها دون شيء من الانتفاخ فعملت عملها في القلوب ولا يحتاج الى فخم الألفاظ الا الذي يشعر بأن فكره ضعيف فهو يريد أن يستر ضعفه بصورة شعرية ولكنه في الحقيقة لا يستر هذا الضعف وانما يكشفه ويفضحه .

واذا كان لا بد لنا من لغة شعرية في تفكيرنا فلنجعل هذه اللغة مناسبة

لما نصوره من الأفكار على الأقل. فاذا استعملنا لفظاً شعرياً فلنستعمله في المقام المناسب له حتى يعمل عمله في القلوب وحتى لا يضعف أثره فينقلب سخرية .

وأظن أن كلام الله وحده هو خير مثل لذلك، فان الله عزّ وجل اذا قال : اذا زلزلت الأرض زلزالها ، فأي شيء أشد من هذه الحركة ، ولا ريب في أن هذه الحركة تستوجب لفظاً يستطيع أن يصورها على حقيقتها ، وليس في اللغة على ما أظن لفظ أشد مناسبة من هذا اللفظ : الزلزال ولذلك كان لهذه الصورة الشعرية عمل في القلوب ، وليتصور الانسان كيف يضعف تأثير هذا اللفظ العظيم اذا استعمله الانسان في موطن ضعيف للدلالة على فكرة ضعيفة كفكرة اضطراب ورد أو ياسمين ، فاذا قلنا : اذا زلزل الورد أو الياسمين ، فكيف تكون نتيجة هذا اللفظ .

اني لا أكتب مقالاً في البلاغة ، وإنما خلاصة ما ذهبت اليه في هذا المقال انا كثيراً ما نضعف تفكيرنا وشعورنا بلغتنا الشعرية لأنا نضع هذه اللغة في غير مواضعها ، ففي كثير من المقامات يلزمنا أن نعرض أفكارنا في حقائق معارضها ، حتى تكون القوة من قوتها نفسها لا من قوة ألفاظها الزائفة ، واذا احتجنا الى اللغة الشعرية فليكن شيء من التناسب بين الصورة وبين اللون الذي نلوّن به هذه الصورة ، وبعبارة أوضح فلنكن أقرب من الحياة الواقعة ، فقد طال إمعاننا في البعد عن هذه الحياة .

شفيق جبري

أبو سفيان

كان أبو سفيان، واسمه صخر بن حرب، شيخ قريش وسيدها وكبير تجارها، تفزع اليه في الملمات، وتحتكم اليه في الخصومات، وتودعه أموالها، يتجر بها ويقاسمها شيئاً من ربحها؛ وكانت عنده راية قريش «العقاب»، يخرجها اذا حميت الحرب. ولكنه ما كره شيئاً مثل الحرب، فقد كان محباً للسلم، آية في الدهاء والحلم، فإذا جاء ابنه معاوية داهية حليماً، فقد أخذ الحلم عنه، وتعلم الدهاء منه.

روى صاحب (الأغاني) ان عائشة (رضي الله عنها) بعثت عبد الرحمن بن الحرث بن هشام الى معاوية، في حجر وأصحابه، فقدم عليه وقد قتلهم، فقال له:

– أين غاب عنك حلم أبي سفيان؟!

وجاء في سيرة ابن هشام: «كان أبو سفيان رجلاً حليماً منكَراً[1]، يحب قومه حباً شديداً».

وقيل لابي سفيان: ما بلغ بك من الشرف ما نرى؟

قال: ما خاصمت رجلاً، إلا جعلت بيني وبينه للصلح موضعاً!

وقال معاوية: «لو ولد أبو سفيان الناس، لولدهم كلهم أكياساً»!

هذه أقوال تشهد، كلها، لأبي سفيان بالحلم والعقل، ولكننا لا نكتفي بها، فهناك ما هو أقوى في الشهادة له من الأقوال: الأعمال والمواقف التاريخية!

(1) رجل مُنكَر: أي داهٍ فطن.

قتل هشام بن الوليد أبا أزيهر ـ وكانت بنت أبي أزيهر زوجة لأبي سفيان وأم ابنه يزيد ـ فجمع يزيد بني عبد مناف والمطيبين وندبهم للثأر والقتال ، فاستجابوا له ، فلما بلغ أبا سفيان الخبر ، وكان بسوق ذوي المجاز (انحط سريعاً الى مكة ، وخشي أن يكون بين قريش حدث في أبي أزيهر ، فأتى ابنه وهو في الحديد في قومه من بني عبد مناف والمطيبين ، فأخذ الرمح من يده ثم ضرب به على رأسه ضربة هده منها ، ثم قال له : « قبحك الله ! أتريد أن تضرب قريشاً بعضها ببعض في رجل من دوس ؟ سنؤتيهم العقل إن قبلوه » ، وأطفأ ذلك الأمر) .

... ولما خرجت زينب (رضي الله عنها) بنت الرسول (ﷺ) من مكة ، تقصد أباها ، خرج معها حموها كنانة بن الربيع يحميها ، وكان يدفع عنها الناس بسهامه ، (فجاءه ابو سفيان في جلة من قريش ، فقال :

ـ أيها الرجل ، كف عنا نبلك وسهامك !

فكف ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه ، فقال :

ـ إنك لم تصب ! خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا وما دخل علينا من محمد ، فيظن الناس اذا أخرجت ابنته اليه علانية على رؤوس الناس ومن بين أظهرنا أن ذلك على ذل أصابنا عن مصيبتنا التي كانت ، وأن ذلك منا ضعف ووهن ، ولعمري ما لنا بحبسها عن أبيها من حاجة ، وما لنا في ذلك من ثؤرة ، ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات وتحدث الناس أن قد رددناها ، فسلها سراً وألحقها بأبيها !) .

وهكذا كان ... فقد استجاب كنانة لنصح أبي سفيان ، وعاد بزينب فأقامت بمكة ليالي ، حتى اذا هدأت الأصوات ، خرج بها ، آمناً مطمئناً ، ليس بينه وبين أحد شر !

ومن يتتبع مواقف أبي سفيان مع الرسول (ﷺ) يلمح من خلالها كلها ميله الشديد الى السلم ، فهو لم يعتد على الرسول (ﷺ) ولم يسفه دينه ،

، كما فعل غيره من كبار قريش ، وكان أقصى ما يطلبه من الرسول أن يكف عن عيب آلهة قريش ، بل يذهب بعض المؤرخين الى أبعد من ذلك ، فيقولون إن أبا سفيان كان يحمي الرسول ، وأن الرسول حين فتح مكة وقال : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن » إنما وفّاه دينه ، فقد كان الرسول يدخل دار أبي سفيان بمكة فيأمن !

لم يخاصم أبو سفيان الرسول « أصالة » — وأستعمل هنا لغة المحاماة ! — وإنما خاصمه « نيابةً » عن قريش ، وكان النزاع الأول بينهما ، بعد الهجرة ، حين عاد أبو سفيان من الشام بتجارة عريضة ، ومعه سبعون تاجراً من قبائل قريش كلها ، فتعرض لهم الرسول (ﷺ) فأرسل أبو سفيان الى مكة يطلب النجدة ، فخرج لنجدته وجوه قريش يقودهم عتبة بن أبي ربيعة ؛ وتوزع كبار قريش بين ابي سفيان ، صاحب العير — أي التجارة — وبين عتبة ، صاحب النفير — أي النجدة — ولم يتباطأ عنها إلا بنو زهرة ، فقد آثروا القعود ، فقال فيهم أبو سفيان كلمته المشهورة : (لا في العير ولا في النفير) ! فذهبت مثلاً ، يقال للرجل الذي لا يرى — أو لا يستحق أن يرى — في مقام محمود ، لصغر قدره وحقارة أمره .

طلب أبو سفيان النجدة ، لا ليحارب ، ولكن ليحمي عيره ، فلما كتبت لها النجاة ، أرسل الى القرشيين يقول لهم : « إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا » . فقال أبو جهل : والله لا نرجع ! وتابعه القرشيون ، وأصروا على قتال الرسول (ﷺ) وأصحابه ، فكانت معركة (بدر) ، التي قتل فيها عتبة بن ابي ربيعة ، أبو هند ، زوجة ابي سفيان ، وعمها شيبة ، واخوها الوليد ، وابنها البكر حنظلة بن ابي سفيان . أما ابو سفيان فلم يشهد هذه المعركة ، لأنه عاد بعير قريش وتجارتها الى مكة ، من قبل أن يلتقي الجمعان ، وفي مكة .. اخبروه بالمصائب التي حلت به وبقومه في (بدر) ، ولم تكن هذه المعركة برأيه ومشورته ، ولكنه كان مطالباً بالثأر لمن شهدوها وقتلوا فيها ،

وفيهم ابنه وأقرب الناس اليه ، هذا الى أن عتبة ، الذي كان سيداً في قريش مثله ، قد حمله ، بعد موته ، عبء زعامته ودمه .

نذر ابو سفيان ألا يمس رأسه حتى يغزو محمداً ، و (خرج في مائتي راكب من قريش ليبر بيمينه) ، وقال : (وهو يتجهز خارجاً من مكة الى المدينة ، يحرض قريشاً) :

كروا على يثرب وجمعهم   فإن ما جمعوا لكم نفل
إن يك يوم القليب كان لهم   فإن ما بعده لكم دول
آليت لا أقرب النساء ولا   يمس رأسي وجلدي الغسل
حتى تبيدوا قبائل الأوس والـ   ـخزرج إن الفؤاد مشتعل

وكانت تلك غضبته ... في الشعر .. ولكنه ، فيما يحدثنا الرواة ، اكتفى من غزوته بالإغارة على ناحية من المدينة يقال لها (العريض) ، حرق نخلاً فيها وقتل رجلاً من الأنصار وحليفاً له ، ثم رجع وصحابه ! .. لم تشف هذه الغارة الهزيلة غليل قريش ، فذهبت الى أبي سفيان ، تسأله أن يجهز بالمال الذي جاء به من الشام حملة رهيبة ، ينتقم بها من المسلمين لأشراف قريش الذين قتلوا في بدر ، ففعل ، والتقى المسلمون والمشركون مرة أخرى في (أحد) ، فكانت الغلبة غير حاسمة للمشركين ، وقتل من المسلمين رجل يسمى «حنظلة بن الراهب» فقال أبو سفيان : حنظلة بحنظلة ! أي أنه اخذ ثأر ابنه حنظلة .. وقال أيضاً : يوم بيوم بدر ! معلناً بذلك انتهاء المعركة ! .. ثم مر بأصحاب الرسول (ﷺ) فقال لعمر بن الخطاب : (أنشدك الله يا عمر ، أقتلنا محمداً ؟ فقال عمر : اللهم لا ! وإنه ليسمع كلامك الآن ! فقال : أنت أصدق عندي من ابن قميئة وأبر . «لقول ابن أبي قميئة لهم إني قتلت محمداً» ، ثم نادى أبو سفيان فقال : إنه قد كان في قتلاكم مثل ، والله ما رضيت ، ولا سخطت ، ولا نهيت ، ولا أمرت !) .

وهكذا ... أطفأ أبو سفيان النار التي كانت تشتعل في قلبه .. فلم تكن غايته أن يبيد المسلمين ، وإنما كانت غايته أن يسجل « إصابة » ثأر .. ، على نحو ما يفعل اللاعبون في هذا الزمان ، حين ينهزمون في « إصابة » أو « هدف » فلا يستريحون حتى ينالوا « إصابة » مثلها ، فيساووا خصومهم ويمحوا عار الهزيمة .

كانت بعد ذلك بين الرسول (ﷺ) وبين أبي سفيان معارك ، أو ما تسميه كتب التاريخ معارك وغزوات ، ولكن أبا سفيان ، فيما ترى ، لم يكن يطلب القتال ، وإنما كان يستجيب لرغبات قريش فيخرج بها ، ولكنه لا يلبث حتى ينصح لها بالعودة !

... خرج الى ناحية الظهران ، أو عسفان ، ثم بدا له في الرجوع ، فقال :

(يا معشر قريش ، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخف ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون ، ما تطمئن لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فاني مرتحل !) .

... ثم كان مسير الرسول (ﷺ) الى مكة . فظهر هنا دهاء أبي سفيان وحبه الشديد لقومه ، فقد عرف أنهم أعجز من أن يصمدوا للمسلمين ، لأن المعارك السابقة علمته أن أهل مكة ليسوا رجال حرب (١) ، وأنه لا خير في مكة إن بقيت جزيرة في بحر من الأعداء يغمرها من كل جانب ، فذهب الى محمد (ﷺ) يصالحه ويأمن لقومه منه . وكان محمد (ﷺ) قد تزوج أم حبيبة ، بنت أبي سفيان ، بعد عودتها من هجرتها الى الحبشة ، وهي مسلمة ،

---

(١) وقد روي في سيرة ابن هشام ان الرسول ﷺ ارتحل ، بعد معركة بدر (حتى اذ كان بالروحاء لقيه المسلمون يهنئونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين ، فقال لهم سلمة بن سلامة : ما الذي تهنئوننا به ؟ فوالله لا لقينا إلا عجائز صلعاً كالبدن المعلقة فنحرناها ! فتبسم الرسول ﷺ ثم قال : أي ابن اخي ! أولئك الملأ) – اي الاشراف والرؤساء .

فكان هذا الزواج مما يطمع أبا سفيان بصداقة محمد (ﷺ) وعفوه . ويقال إن العباس، عم الرسول، وكان صاحب أبي سفيان ونديمه في الجاهلية، هو الذي ذهب به الى الرسول، فأسلم بين يديه، وجعل له الرسول شرفاً وذكراً في قومه، فقال :

«من دخل دار أبي سفيان، فهو آمن» !

فقال أبو سفيان : «يا رسول الله، وما تسع داري ؟»

فقال : «من دخل الكعبة، فهو آمن» .

قال : وما تسع الكعبة ؟

قال : من دخل المسجد فهو آمن !

قال : وما يسع المسجد ؟

قال : من أغلق عليه بابه، فهو آمن !

قال : هذه واسعة !

كذلك أمن أبو سفيان لأهل مكة ! ثم رجع الى قومه، يحذرهم من حرب الرسول، لقوته وضعفهم، فدخل الرسول مكة بغير قتال، وأخذ أهلها يدخلون في الإسلام أفواجاً .

أسلم أبو سفيان وهو في الرابعة والستين من عمره، وعاش مسلماً أربعاً وعشرين سنة، فقد مات سنة ٣٢ للهجرة فلم يدرك خلافة ابنه معاوية، وقد عده كثير من المؤرخين في المؤلفة قلوبهم، لأن الرسول أعطاه من غنائم حنين، بل يروى ان أبا سفيان جاء الرسول وقد جمعت غنائم حنين أمامه، فقال :

— يا رسول الله أصبحت أكثر قريش مالاً !

فتبسم الرسول لقوله، فقال :

— أعطني من هذا المال يا رسول الله .

فأعطاه أربعين أوقية ومئة من الإبل . ثم قال : ابني يزيد أعطه ! فأعطاه مثلها . ثم قال : ابني معاوية أعطه، فأعطاه مثلها، فقال ابو سفيان :

— انك الكريم ، فداك أبي وأمي ، والله لقد حاربتك فنعم المحارب كنت ، ثم سالمتك فنعم المسالم أنت ، جزاك الله خيراً » .

سواء أصحت هذه الرواية أم لم تصح ، فنحن لا نستغرب صدورها عن أبي سفيان ، فقد كان تاجراً ، محباً للمال ، وقد ذهبت بعد الإسلام زعامته وتجارته ، فان طمع بشيء من المال يحفظ به مكانته في قومه ، لم يكن ذلك كبيراً عليه ، وكان الرسول يوقره ، قيل إنه استأذن مرة على الرسول (فحجب قليلاً ، ثم أذن له ، فلما دخل قال : ما كدت تأذن لي حتى تأذن لحجارة الجلهمتين ـ قال أبو عبيدة : الصواب الجلهتين وهما جانبا الوادي ـ فقال (ﷺ) : يا أبا سفيان أنت ، كما قيل : كل الصيد في جوف الفراء ، يتألفه على الاسلام ، قال ابو العباس : معناه اذا حجبت تدع كل محجوب ، يضرب لمن يفضل على أقرانه) [1] .

وبعد .. قد يكون ابو سفيان من المؤلفة قلوبهم ، ولكنه ، بعد أن أسلم ، حسن اسلامه ، وشارك في بعض غزوات الرسول ، وفقد احدى عينيه ، ثم فقد عينه الأخرى في موقعة اليرموك ، وتدلنا أقواله في واقعة اليرموك على صدق اسلامه ، وشجاعته ، وصبره ، ثم نحن نستدل منها على شيء آخر ، وهو أن روحه المسالمة حين يحارب العرب ، تنقلب الى روح مقاتلة ، عنيفة ، حين يقف أمام الروم ، فقد كان يشعر أنه يقاتل عن العرب والاسلام ، لا عن الإسلام وحده ، ولذلك روى لنا (الطبري) أن ابا سفيان كان يسير فيقف على الكراديس ، فيقول : الله الله ، إنكم ذادة العرب وأركان الاسلام ، وإنهم ذادة الروم وأنصار الشرك .

أما عاطفته القبلية أو عصبيته فما نظن الاسلام نزعها من نفسه ، روى لنا الجاحظ في كتابه « المحاسن والأضداد » أن عمر بن الخطاب سمع ، وهو خليفة ،

---

(١) الأمثال للميداني ، الجزء ٢ .

صوتاً ولغطاً بالباب ، فقال لبعض من عنده : اخرج فانظر من كان من المهاجرين الأولين فأدخله . فخرج الرسول فوجد بلالاً وصهيباً وسلمان فأدخلهم ، وكان أبو سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو في عصابة من قريش جلوساً على الباب ، فقال أبو سفيان : يامعشر قريش ، أنتم صناديد العرب وأشرافها وفرسانها بالباب ، ويدخل حبشي وفارسي ورومي ! فقال سهيل : ياأبا سفيان أنفسكم فلوموا ، ولا تذموا أمير المؤمنين ، دعي القوم فأجابوا ودعيتم فأبيتم ، وهم يوم القيامة أعظم درجات وأكثر تفضيلاً !

فقال ابو سفيان : لاخير في مكان يكون فيه بلال شريفاً .

الدكتور منير العجلاني

ابو الطيّب اللغويّ الحلبي

(— ٣٥١ هـ = ٩٨٢ م)

هو عبد الواحد بن عليّ المعروف بأبي الطيب اللغوي العسكري الحلبي من عسكر مكرَم قدم حلب وأقام بها الى أن قتله الروم وأباه في دخول الدمستق حلب سنة ٣٥١ هـ ، وبذلك ضاع أكثر مؤلفاته الممتعة ، ولعل ما بقي منها الى اليوم كان منسوخًا وموزّعًا في الأقطار الاسلامية قبل استشهاده ، يؤيده قول أبي العلاء المعرّي في غفرانه[1] بعد أن ذكر كتبه : « ولا شك أنه قد ضاع كثير من كتبه وتصنيفاته لأن الروم قتلوه وأباه في فتح حلب » .

دراسته الأولى

ليس لدينا مصادر تبين حقيقة دراسته الأولى والظاهر أنه تعلم القراءة والكتابة ومبادئ العلوم في موطنه الأول عسكر مكرم وهو بلد مشهور من نواحي خوزستان اختطه العرب في صدر الاسلام ونسب الى مكرم بن معزاء بن الحارث صاحب الحجاج بن يوسف ، وما زال العمران يتزايد فيه حتى أصبح مدينة زاهرة بحضارتها وعلمائها ، قال ياقوت في معجمه[2] : وقد نسب اليها قوم من أهل العلم منهم العسكريان ابو احمد الحسن بن عبد الله ... اللغوي العلامة أخذ عن ابن دريد وأقرانه ، والحسن بن عبد الله بن سهل ابو هلال العسكري . ثم رحل عن بلده عسكر مكرم الى حلب ، وهي يومئذ زاخرة بالعلم والأدب ،

(١) رسالة الغفران تحقيق بنت الشاطئ ص ٥١٣ .
(٢) ١٧٦/٦ مطبعة السعادة .

وعامرة بالعلماء والأدباء من أعيان القرن الرابع الذين ضمتهم الحضرة السيفية الحمدانية كالفارابي وابن خالويه وابن نباتة الخطيب الفارقي وأبي الطيب المتنبي والصنوبري والنامي والناشي من الشعراء وأضراب هؤلاء ، وفي حلب هذه نضج علمه وظهر فضله على غيره ...

أساتذته وتلامذته

كان ابو الطيب أحد الحذاق من العلماء المتقنين لعلمي اللغة والعربية ، أخذ عن أبي عمر الزاهد المطرز الوراق غلام ثعلب [1] ، وهو الذي قال فيه أبو القاسم عبد الواحد بن برهان الأسدي : « لم يتكلم في العربية أحد من الأولين والآخرين بأحسن من كلام أبي عمر الزاهد » ..

وروى ابن القارح علي بن منصور المحدث ، وهو من تلاميذ أبي الطيب في رسالته [2] المشهورة التي أجابه عليها المعري في غفرانه ، قال : قال (لي شيخي أبو الطيب) : قرأت على أبي عمر الفصيح واصلاح المنطق حفظاً ، وقال لي ابو عمر : كنت أعلق اللغة عن ثعلب على خزف وأجلس على دجلة أحفظها وأرمي بها ..

وأخذ ابو الطيب أيضاً عن محمد بن يحيى الصولي الكاتب الذي أخذ عن ثعلب والمبرد والسجستاني وغيرهم من الأئمة ، وكان أبو الطيب من المحققين باللغة والأدب ، والحفاظ المعروفين بالرواية والدراية ، ومن اطلع على مؤلفاته شهد له بسعة العلم ، وصحة الطبع ، وفن التمحيص والاستحضار ، قال ابو علي الصقلي :

كنت في مجلس ابن خالويه ، إذ وردت عليه من سيف الدولة مسائل تتعلق باللغة ، فاضطرب لها ، ودخل خزانته وأخرج لها كتب اللغة ، وفرقها على من كان عنده من أصحابه يفتشونها ليبحث عنها ، فتركته وذهبت الى أبي الطيب

(١) انظر ترجمته في المجلد التاسع ص ٦٠١ .
(٢) رسالة ابن القارح سنة ١٣٣١ هـ ص ٢١١ .

اللغوي – وهو جالس ، وقد وردت عليه تلك المسائل بعينها ، وبيده قلم الحمرة ، فأجاب به ولم يغيّره بقدرة على الجواب !

إن هذه الحادثة تدلنا على المنافسة التي كانت بين أبي الطيب وابن خالويه ، وعلى مبلغ إعجاب ابي علي الصقلي بأبي الطيب وتحزبه له ، كما تدل على أن علم أبي الطيب كان صدرياً لا قمطرياً : أي مما وعاه الصدر لا ما حواه القمطر ، فهو في ذلك شبيه بعبد الملك بن قريب الأصمعي ، وابن خالويه الحسين بن احمد شبيه بأبي عبيدة معمر بن المثنى الذي كان لا يجيب الا بعد الرجوع الى قمطره وخزانة كتبه ، وكان الرشيد يختبر فيهما ذلك كما فعل سيف الدولة في المسائل اللغوية ؛ على أن أبا العلاء المعري الذي ذكر هذه الحادثة في رسالة الغفران[1] ، كان يميل الى ابن خالويه ، بجعل الاعتماد على الأوراق والدفاتر من حزم الحافظ الذاكر ، إذ قال : « وأما ابو عبد الله بن خالويه وإحضاره للبحث النسخ ، فانه ما عجز ولا أفسخ – أي نسي – ولكن الحازم يريد استظهاراً ، ويزيد على الشهادة الثانية ظهاراً » ، وبعد أن أشاد بذكر ابن خالويه عطف على ترجمة ابي الطيب اللغوي فأثنى عليه ، وأشار الى ما كان بين الشيخين من المنافسة والجفاء وحرمان المعاصرة بقوله : « وكان ابن خالويه يلقبه قرموطة الكبر تل يريد دحرُوجة الجعل لأنه كان قصيراً » !

ثم قال المعري : « وحدثني الثقة انه كان في مجلس ابي عبد الله بن خالويه ، وقد جاءه رسول سيف الدولة يأمره بالحضور ، ويقول له : قد جاء رجل لغوي يعني أبا الطيب هذا ، قال المحدث : فقمت من عنده ومضيت الى المتنبي[2] ، فحكيت له الحكاية ، فقال : التاعة يسأل الرجل عن (شوط براح والعلوص)[3]

(١) طبعة دار المعارف ص ١٣٠ .
(٢) وكان ابو الطيب المتنبي صديقاً لأبي الطيب اللغوي جمعت بينهما عداوة ابن خالويه .
(٣) شوط براح هو ابن آوى ، والعلوض بالضاد المعجمة ابن آوى بلغة حمير – وبالصاد كما في بعض نسخ الغفران هو التخمة .

بنحو ذلك ، يعني أنه «يعنته» . أي يعنت أبا الطيب اللغوي بالسؤال عن الغريب ، وهذا الحديث يدل على بدء التعارف بين الشيخين ، وعلى ما كان بينهما من الإعنات والجفاء ، والمنتصر لأبي الطيب يقول ان ابن خالويه كان يستظهر ألفاظاً من الغريب الوحشي ليهاجم بها في المآزق خصومه ، وهم على غير أهبة ، وقد يكون خصومه أكثر استظهاراً لغرائب اللغة في تلك الساعة منه ؛ على أن ابا الطيب كان على رأي الحاتمي الذي سنذكره حتف الكلمة الشرود حفظاً وتيقظاً .

وقال ابو العلاء : «وقد كان ابو الطيب يتعاطى شيئاً من النظم» قال ذلك بعد أن ذكر ما كان بينه وبين ابي العباس بن الكاتب البكتمري [1] من المودة والمؤانسة ، وأورد له شعراً في التشوق اليه أوله :

يا «عبدُ» انك عند القلب جُنته حباً ، وانك عند الطرف ناظرُه

يريد «يا عبد الواحد» ، ولا ندري بماذا أجابه عبد الواحد ، ومما يدل على تعاطي أبي الطيب للشعر وعلى شدة غيرته على اللغة ، وعلى اتصال سنده بالخليل الفراهيدي قوله : «أخبرني محمد بن يحيي (الصولي) قال : أنشدني عمر بن عبد الله العتكي ، قال : أنشدني ابو الفضل جعفر بن سليمان النوفلي عن الحرمازي للخليل ثلاثة أبيات على قافية واحدة يستوي لفظها ويختلف معناها» . قال أبو الطيب : «أراد بهذا أن يبين ان تكرار القوافي ليس بضار ، اذا لم يكن بمعنى واحد ، وليس بإيطاء ، والأبيات هي :

يا ويح قلبي من دواعي الهوى اذ رحل الجيران عند الغروب [2]

أتبعتهم طرفي ، وقد أزمعوا ودمع عيني كفيض الغروب [3]

كانوا ، وفيهم طفلة حرة تفتر عن مثل أقاحي الغروب [4]

---

(١) وفي اليتيمة : ابو الفتح البكتمري ويعرف بابن الكاتب الشامي من شعراء آل حمدان ، ونقل له شعرا يحاكي هذا الشعر برقته وروحه .

(٢) غروب الشمس .

(٣) جمع غرب وهو الدلو العظيمة المملوءة ماء .

(٤) جمع غرب وهو الوهاد المنخفضة .

- . وقال ابوالطيب : فقصد هذا القصد بعض الشعراء فيما أنشده ثعلب ولم يذكر قائلاً [(١)] ، ومطلع قصيدته الخالية :

أتعرف أطلالاً شجونك بالخالِ وعيش زمان كان في العصر الخالي

ثم قال ابو الطيب : ولما ظننا ان من يسمع هذه الأبيات ربما خال صاحبها قد زاد على الخليل بن احمد ، وانه لما تعرض لشيء تقصاه رأينا أن نبين أنه بخلاف هذه الصورة ، وانه قد ترك أكثر مما أخذ ، وأغفل اكثر مما أورد ، وقد بقي عليه من هذه القوافي ما نحن ناظمون أبياتاً ومعتذرون من تقصيرنا فيه ، اذ المراد ايراد القوافي دون التعمد لنقد الشعر وعدد الأبيات (١٤) ومطلعها :

ألمْ بربع الدار بانَ أنيسه على رغم أنف اللهو قفراً بذي الخالِ

ومقطعها :

«وان زعموا أني تخليت بعدها فما أنا عنها بالخلي ولا الخالي [(٢)] »

وذكر محمد بن حسن الحاتمي في كتاب المليحة أنه كان يوزن في مجلس سيف الدولة بابي علي الفارسي فارس العربية ، وبأبي عبد الله بن خالويه ، وكان له السهم الفائز في علوم العربية ، وبأبي الطيب اللغوي ، وكان حتف الكلمة الشرود حفظاً وتيقظاً !»

قال أبو الطيب : قرأت على ابي عمر الفصيح واصلاح المنطق حفظاً ، وقال لي ابو عمر كنت أعلق اللغة عن ثعلب .

مصنفات أبي الطيب

قال ابو العلاء المعري في ترجمة ابي الطيب في الغفران ، والظن الغالب ان جميع من ترجم له كالمجد الفيروزبادي في (البلغة في طبقات أئمة اللغة) والجلال

(١) انظر اعلام النبلاء ٤/٣٦ . فقد اورد في هذه الخالية ١٢ بيتاً فيها بعض التعريف .

(٢) وأورد ابن شاكر الدمشقي في عيون التواريخ ، وهو من مخطوطات الاحمدية بحلب ، هذه القصيدة وما قبلها ، وخالية اخرى لعبد الله بن محمد المروضي في ٢٩ بيتاً ، ولبطرس كرامة الحمصي من المتأخرين خالية تقع في ٢٥ بيتاً ، مضمومة الروي .

السيوطي في (بغية الوعاة) قد اعتمدوا على ابي العلاء الذي يقول[١] : « له كتاب في (الاتباع) صغير ، على حروف المعجم ، في أيدي البغداديين ، وله كتاب يعرف بكتاب (الابدال) قد نحا به نحو كتاب يعقوب في (القلب) ، وبكتاب يعرف (بشجر الدر) سلك به مسلك أبي عمر (الزاهد) في المداخل ، وكتاب في (الفرق) قد أكثر فيه وأسهب ... » .

وقد لا يخلو من فائدة شرح هذه الكتب التي سماها ابو العلاء تباعاً ، وقد أغفل ذكر بعض مصنفاته منها : كتاب (مراتب النحويين) أو اللغويين ، وهو جزء لطيف في طبقات النحاة يوجد في بعض مكاتب الأستانة ، وقد ذكره صاحب كشف الظنون[٢] وسماه (مراتب النحاة) ، ومنه بدار الكتب المصرية نسخة في الخزانة التيمورية[٣] ، كما أغفل أبو العلاء كتابه (المثنى) ولم يذكره صاحب البغية أيضاً ، وهو مخطوط عندي ، ولله الحمد ، في خمس وعشرين صفحة كبيرة ، وسأنشره محققاً بعد نشري لكتابه (الابدال) الذي حققته ، وقرر المجمع العلمي العربي نشره ، ولعله أجل كتب أبي الطيب اللغوي ، وأوسع ما ألف في الابدال بعد يعقوب بن السكيت الذي نشر ابداله هفنر ببيروت ونفدت نسخه من بلادنا العربية ، وكأنما طبع للمستشرقين .

وأما كتابه (الاتباع) فهو في المزاوجة نحو حسن بسن ، قال السيوطي في مزهره[٤] : وقد ألف ابن فارس تأليفاً مستقلاً في هذا النوع ، وقد رأيته مرتباً على حروف المعجم ، وفاته أكثر مما ذكره ، وقد اختصرت تأليفه ، وزدت عليه ما فاته في تأليف لطيف سميته : (الالماع في الاتباع) ، أقول : واتباع ابي الطيب أيضاً مرتب على حروف المعجم ، وكان على ما ذكره المعري

---

(١) ص ١٢ .
(٢) في الطبعة الجديدة ١٦٠/١ .
(٣) برقم ١٤٢٥ تاريخ .
(٤) ٤٤٩/٩ - ٤٦٠ .

في أيدي البغداديين ، وكانوا مولعين بحفظ لغتهم العربية بألواحهم ، فقد حفظوا أتباع أبي الطيب كما حفظوا فصيح ثعلب واصلاح المنطق من قبل .

ولأبي الطيب كتاب (شجر الدر) وهو من النوع المعروف بالمشجر ، وقد ذكره المعري انه « سلك به مسلك أبي عمر في « المداخل » » ، وأبو عمر هذا المعروف بغلام ثعلب ، كان من حفاظ اللغة وأئمتها ، وكتابه (المداخل) قد نشره عالم الهند الاستاذ الراجكوتي في مجلة مجمعنا العلمي [1] باسم (المداخلات) ، قال السيوطي في مزهره : « ألف في هذا النوع جماعة من أئمة اللغة كتباً سموها : (شجر الدر) منها شجر الدر لأبي الطيب اللغوي » . قال في كتابه المذكور : « هذا كتاب مداخلة الكلام للمعاني المختلفة سميناه كتاب (شجر الدر) : لأنا ترجمنا كل باب منه بشجرة ، وجعلنا لها فروعاً ، فكل شجرة مائة كلمة أصلها كلمة واحدة ، وكل فرع عشر كلمات ، إلا شجرة ختمنا بها الكتاب عدد كلماتها ٥٠٠ كلمة أصلها كلمة واحدة ، وإنما سمينا الباب شجرة لاشتجار بعض كلماته ببعض أي تداخله ، وكل شيء تداخل بعضه في بعض فقد تشاجر ، فهذا الوجه الذي ذهبنا اليه » .

أما كتاب (الفرق) الذي ذكر المعري ان أبا الطيب قد أكثر فيه وأسهب ، فقد ذكره السيوطي في المزهر [2] باسم الفروق ونقل منه أمثلة مفيدة ننقل منها المثال التالي :

« يده من اللحم غمرة ونذلة ، ومن اللبن وضرة ، ومن السمك والحديد أيضاً سهكة ، ومن البيض ولحم الطير زهمة ، ومن العسل لثقة ، ومن الجبن نمسة ، ومن الودك ودكة ، ومن النفس طرشة ، ومن الدهن والسمن نسمة ، ومن الخل خمطة ، ومن الماء لثقة ، ومن الخضاب ردعة ، ومن الطين ردغة ،

(١) ط دار الاحياء ١/٤٤٥ .
(٢) المزهر ١/٤٤٧ .

ومن العجين لوثة ، ومن الدقيق نثرة ، ومن الرطب والتمر حمتة ، ومن الزيت وضئة ، ومن السويق والبزر رغفة ، ومن النجاسة نجسة ، ومن الأشنان حرضة ، ومن البقل زهمة ، ومن القار حلكة ، ومن الفرصاد قنئة ، ومن الرطاب مصمة ، ومن البطيخ نضخة ، ومن الذهب والفضة قتمة ، ومن الكامخ شهرة ، ومن الكافور سطعة ، ومن الدم شحطة ، ومن التراب تربة ، ومن الرماد رمدة ، ومن الصحناء صحنة ، ومن الخمط مسة ، ومن الخبز خبزة ، ومن المسك ذفرة ، ومن غيره من الطيب عطرة ، ومن الشراب خمرة ، ومن الروائح الطيبة أرجة » .

ونقل أكثر هذه الفروق أبو القاسم الحسين بن علي من خط أبي العباس احمد ابن يحيى ثعلب ، وأخذ بعضه عن أبي اسامة جنادة اللغوي . وهنالك فروق أخرى مما توصف به اليد عند لمسها كل صنف من الملموسات رواها ابن خالويه والفرّاء والزجاجيّ وغيره ، فهل في لغات أمم العالم لغة أدق وأوسع من هذه اللغة العربية ، ومن يقوى على مثل هذا التفريق والتدقيق ، ونحن في عصر الناس هذا أحوج ما نكون اليها في تسمية المسميات العلمية الحديثة !

ومما أغفله ابو العلاء المعري من كتب ابي الطيب كتاب (الأضداد) وقد ذكره الزبيدي في مقدمة تاج العروس ، ولم يذكر صاحب المزهر أبا الطيب اللغوي بين من ألفوا في الأضداد وهم قطرب والتوزي وأبو بكر بن الأنباري ، وأبو البركات بن الأنباري وابن الدهان والصغاني ، ولا حاجة بنا لنقل مثال من الأضداد مما أورده السيوطي فالمقصود بها معروف ، ولا نحتاج في عصرنا هذا العلمي الى الأضداد ، وقد أنكرها جماعة منهم ابن درستويه وله في ذلك تأليف أشار المزهر اليه ، وقد ذكر بروكلمن أيضاً كتاب (الأضداد) لأبي الطيب في الجزء الأول من ذيول تاريخه للأدب العربي (G. A. L) .

ومما أغفلوه من مصنفاته كتاب (المثنّى) ، وهو عندي ولله الحمد لطيف يشتمل على نوعين الاتباع والتغليب : أما الاتباع فقد ذكرناه ، وأما التغليب

فقد تكلم أبو الطيب عنه في المثنى في تسع عشر صفحة كبيرة وسننشره إن أعان الله ، وما أدري أكتاب (الاتباع) مما ألفه أبو الطيب مستقلاً أم هو ما اشتمل عليه المثنى ، وبحث في (المثنى) كما في المزهر يعقوب بن السكيت ، وللمحبي من المتأخرين كتاب (جنى الجنتين) ، وبحث عنه من المعاصرين أحمد تيمور [١] وسليم عنحوري [٢] في مجلة مجمعنا العلمي .

وقد يتبادر الى الذهن ان اسم المثنى ليس من تسمية أبي الطيب ، وفي مقدمة المثنى ما يثبت ان الاسم له لقوله : «ونحن قاصدون في كتابنا هذا قصد ما ورد من كلام العرب (مثنى) في الاستعمال تثنية لازمة» وجمعها في عشرة أصناف ، تسعة منها من التغليب ، والعاشر في الأفعال المثناة وهو صنفان : أحدهما الفعل المبني على صيغة التثنية ، والمراد به تكرير الفعل ، والثاني الفعل يجيء لفظه لاثنين ومعناه لواحد .

أما كتاب (الابدال) ، وهو أجل كتب أبي الطيب ، الذي قرر المجمع العلمي العربي نشره ، فموعدنا في وصفه العدد المقبل ان شاء الله .

التنوخي

---

(١) مجلة المجمع العلمي (١٤٧/٤/٤) .
(٢) مجلة المجمع (٢٤/٤) .

عيلان — اشتق من الفقر . واشتق من التبختر والعيلة التبختر . يقال للرجل اذا مر يتبختر : انه لعيال [1] .

غيلان — يصلح أن يكون اشتق من الغيل والغيل الماء يجري على وجه الأرض . قال ساعدة :

كذوائب الحفأ الرطيب غطا به غيل ومد بجانبيه الطحلب

الحفأ البردي . والرطيب الناعم الريان . قال : والغطو الارتفاع . يقال : غطا الماء يغطو اذا ارتفع وعلا . والطحلب الخضرة التي تكون في الماء . والعرمض الخضرة الخالصة على الماء . ويصلح أن يكون الغيلان من الغيل وهو شجر ملتف ليس بذي شوك كالقصب والبردي والحلفاء . ويكون من الغيل . والغيل لبن المرأة الحامل يشربه ولدها . وأظنه اذا كان زوجها يغشاها وان لم تكن حاملاً . والغيل الذراع اذا امتلأت من اللحم وحسنت . قيل :

---

(١) القاموس : عال يعيل عيلاً وعيلة وعيولاً ومعيلاً افتقر فهو عائل جمعه عالة وعُيّل وعيلى كسكرى والاسم العيلة . والُمعيلُ الأسد والنمر والذئب لأنه يعيل صيداً أي يلتمس ؛ وعالني الشيء عيلاً ومَعيلاً أعوزني وعال في مشيه تمايل واختال وتبختر . والعيلان الذكر من الضباع . وبلا لام أبو قيس أو الصواب قيس عيلان مضافاً وليس له سمي وهو في الاصل اسم فرسه .

هذا ولقيس عيلان بطون متفرعة منه ذكرها النسابون ومنهم ابن قتيبة في معارفه .

ساعد غيل[١] :

الأقيشر — تصغير أقشر وهو الذي تشتد حمرته حتى يتقشر[٢] .

(١) ومن معاني الغيل الغلام السمين العظيم . وغيلان اسم ذي الرمة . ورجل كان بينه وبين قوم ذحول فحلف ان لا يسالمهم حتى يدخل عينيه التراب أي يموت فرهقوه يوماً وهو على غرة فأيقن بالشر فجعل يذر التراب على عينيه ويقول : تحلل يا غيل أي يا غيلان يريهم أنه يصالحهم وانه قد تحلل عن يمينه فلم يقيلوا وقتلوه . وأم غيلان شجر السمر (عن القاموس) وفي المصباح . وفي حديث . ما سقي بالغيل ففيه العشر وأم غيلان بالفتح ضرب من العضاه وبها سمي ومنه غيلان بن سلمة الثقفي وكان من حكام قيس في الجاهلية وأسلم وتحته عشر نسوة . وقيل : ثمان . فخيره النبي (ﷺ) فاختار أربعة منهن .

(٢) أقيشر تصغير اقشر وهو ما انقشر لحاؤه ومن ينقشر أنفه من الحر والشديد الحمرة . وبه مصغراً لقب المغيرة الشاعر . وجد أسامة بن عمير الصحابي (عن القاموس) وفي الأساس في مجاز (قشر) خرج في قشرتين نظيفتين في ثوبين . وعليه قشر حسن . ورجل ذو رداء وقشر . وجارية بضة القشر والقشرة وهو البشرة ورجل مقشر عريان . وجاء بالجواب المقشر . وهو أشقر أقشر شديد الحمرة كأنما قشر جلده . وأنت ترى ان ما جاء في الاصل هو مجاز وحقيقته على ما في الاساس يقال : لوز مقشور ومقشر . وهذه قشارته . وثوب رقيق كقشر الحية كسلخها وحية قشراء . وشجرة قشراء . وفلان يتفكه بالمقشر أي بالفستق المقشور اسم غالب عليه .

أما الأقيشر ففي الشعر والشعراء لابن قتيبة هو المغيرة بن الأسود بن وهب أحد بني أسد بن خزيمة بن مدركة . وكان يغضب اذا قيل له أقيشر . فمر يوماً بقوم من بني عبس . فقال رجل منهم : يا أقيشر فسكت ساعة ثم قال :

أتدعوني الأقيشر ذاك اسمي . وأدعوك ابن مطفئة السراج

تناجي خدنها بالليل سراً . ورب الناس يعلم ما تناجي

حميس — اشتق من الحمس . والحمس شدة الغضب والحرب يقال : رجل أحمس اذا اشتد غضبه واشتد قتاله وقال رجل من بني سعد :

ولا أمشي الضراء اذا ادّراني ومثلي لزّ بالحمس الرئيس

ويصلح أن يكون حميس تصغير أحمس . والأحمس يكون على معنيين ، أحدهما الغليظ الشديد . قال الراجز [١] :

كم قد قطعنا من قفافٍ حُمس

والآخر أحمس . واحد الحمس . والحمس قريش ومن ولدت قريش وحلفاؤها . ويقال للرجل منهم : أحمس وقال عمرو بن معدي كرب :

أحبّاسَ [٢] لو كانت شياراً جيادنا تأليت ماناصبت بعدي الاحامسا

يعني بالاحامس بني عامر لأن قريشاً ولدتهم . قال رجل من بني قشير

— فسمي الرجل ابن مطفئة السراج . وولده ينسبون الى اليوم هذا وله أبيات في هجاء مطر بن ناجية اليربوعي حين غلب على الكوفة أيام الضحاك بن قيس الشاري ومطر على المنبر يخطب فبلغ هجاؤه جريراً فأتى بني أسد فقال : الله والله لولا الرحم ما اجترأ عليّ خليعكم فاستكفوه وأخذوا الأقيشر فضربوه ودس اليه جرير رجلاً وقال له : اذهب فقل : إني جئت لأهجو قومك وتهجو قومي فصار اليه فقال له : ممن أنت ؟ قال : من بني تميم فقال :

فلا أسداً نسبّ ولا تميماً وكيف يحل سبّ الأكرمينا
ولكن التقارض حلّ بيني وبينك يابن مضرطة العجينا (!)

فسمي الرجل ابن مضرطة العجين .

(١) هو العجاج (المجمع) .

(٢) صواب الرواية : أعبّاس . ومعنى (شياراً) حساناً ؛ وقوله (تأليت) صوابه (بتثليث) وهو اسم موضع (المجمع) .

اذا دفعت كعب صدور مطينا دفعنا وكنا نحن خير الأحامس (١)

(١) الضراء الاستخفاء . والشجر الملتف في الوادي . ومعنى ادّراني ختلني . والحمس الشجاع كالأحمس والحميس . ولز ألزم . وقول الراجز : كم قد قطعنا الخ جاء في تهذيب الألفاظ هكذا :

وكم قطعنا من قفاف حمس غبر الرعان ورمال دهس
حتى احتضرنا بعد سير حدس أمام رغس في نصاب رغس

القفاف جمع قف وهو غلظ من الأرض . والحمس الشداد الواحد أحمس . والرعان أنوف الجبال والواحد رعن . ويقال حدس في الأرض اذا ذهب . وقيل الحدس أن يرمي بنفسه في السير بغير هداية . والنصاب الأصل . ورغس مبارك .

الأساس : رجل أحمس من رجال حمس . وحمس بين الحماسة . وقد حمس . وهم أهل السماحة والحماسة . وهو رجل من الحمس وهم قريش لتحمسهم في دينهم وهو تصلبهم .

المعارف : لابن قتيبة . . (الحمس) هم قريش ومن دان بدينهم من كنانة . وانما التحمس التشدد في الدين وكانوا لا يستظلون أيام منى . ولا يسلؤون السمن ولا يدخلون البيوت من أبوابها . ويقفون بالمشعر . ولا يأتون عرفة ولا يلتقطون الجلة اه . وقال الزبير بن عبد المطلب وكان من رجالات قريش في الجاهلية :

ولولا الحمس لم تلبس رجال ثياب أعزة حتى يموتوا

قال ابن قتيبة : والحمس كنانة وقريش . . ومعنى شيار في بيت عمرو بن معدي كرب سمان حسان . .

مزينة – تصغير مزنة والمزنة السحابة [1] .

باسل – اشتق من بسالة الشدة . وبسالة الكراهة . يقال للشجاع الكريه المنظر : هو باسل بيّن البسالة ويقال لكريه المنظر : إنه لباسل . . وقال أبو ذؤيب :

وكنت ذنوب البئر لما تبسلت وسربلت أكفاني ووسدت ساعدي

ويكون باسل من الحرام . يقال : ذلك أمر بسل أي حرام قال الأعشى :

لجارتكم بسل علينا محرم وجارتنا حل لكم وحليلها

قال المتلمس :

حنت الى النخلة القصوى فقلت لها بسل عليك الا تلك الدهاريس

قال أبو عثمان : أنشدني الأصمعي قال : أنشدني ابو عمرو بن العلاء (الى نخلة القصوى) . ويصلح أن يكون باسل من الاستبسال . يقال : استبسل للموت اذا أعطى بيده . وأنشدنا الاصمعي . قال : أنشدنا رجل من أهل اليمن (الدراهيس) [2] .

---

(١) المزن بالضم السحاب . أو أبيضه . أو ذو الماء . القطعة مزنة . والمازن كصاحب بيض النمل . وأبو قبيلة ، وماء . والمزنة بالضم المطرة . وابن مزنة بالضم الهلال . وكجهينة قبيلة . وهو مزني (عن القاموس) .

(٢) الأضداد في اللغة لأبي بكر الأنباري : وبسل من الأضداد . يقال : بسل للحلال وبسل للحرام . قال زهير :

بلاد بها نادمتهم وعرفتهم . فإن أوحشت منهم فإنهم بسل

أراد (حرام) . وقال ضمرة بن ضمرة :

بكرت تلومك بعدوهن في الندى بسل عليك ملامتي وعتابي

أراد (حرام عليك) وأنشدنا أبو العباس عن ابن الاعرابي :

أيقنتُ ما قلتم وتلقى زيادتي دمي إن أحلت هذه لكم بسل

أي دمي حلال مباح . ويكون بسل بمعنى آمين قال الشاعر :

لا خاب من نفعك من رجاكا بسلاً وعادى الله من عاداكا

المجنم — تصغير المجنم : والمجم وقوع الشيء . يقال : هجم القوم يتهم اذا هدموه .. قال علقمة بن عبدة :

صعل كأن جناحيه وجؤجؤه بيت أطافت به خرقاء مهجوم

أخبرنا ابو عثمان .. قال : حدثنا الأصمعي عن ابي عمرو بن العلاء .. قال: قتل بسطام . وبنو شيبان بسفوان . فما بقي بيت إلا هجم . ويقال للرجل إذا حلب كل شيء في الضرع : قد هجم ما في ضرعها (١) .

— أراد آمين . وأورد بيت الأعشى كما في الأصل وان بسلاً فيه بمعنى حرام . الأساس : فيه بسالة . وما أبسله . ولقد بسل وتبسل اذا تشجع . وأسد باسل وله وجه بامر باسل شديد العبوس . وأبسله للهلكة أسلمه . وأبسل بعمله أفصح . واستبسل للموت اذا استسلم . المصباح : بسل بسالة مثل ضخم ضخامة بمعنى شجع فهو بسيل وباسل . وأبسلته بالألف رهنته وفي التنزيل (أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا) . وورد في الشعر والشعراء (تنسلت) بدل (تبسلت) وهو غلط من الطابع . وبيت أبي ذؤيب الهذلي من أبيات يذكر بها حفرته كما في الشعر والشعراء أولها :

مطأطأة لم ينبطوها وإنها ليرضى بها فرّاطها أم واحد

قضوا ما قضوا من رمّها ثم أقبلوا الي بطاء المشي غبر السواعد

فكنت ذنوب البئر (البيت) وبعده :

أعاذل لا إهلاك مالي حزني ولا وارثي ان ثمّر المال حامدي

متبضلت : كره تنظرها . ذنوب الدلو . في بيت المتلمس . وروى الصاحبي (النخلة) بدل (النخلة) .

والدهاريس والدراهيس كلاهما بمعنى الدواهي والشدائد .

(١) في أمالي الشريف المرتضى (وهق) بدل (صعل) وهذا البيت من قصيدة طويلة بن مختارات الضبي في مفضلياته مستهلها :

هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

غسان — اشتق من شيئين . فقال : كان ذلك في غيسان شبابه واسترخائه . ويقال للخصلة من الشعر غسنة من المرأة والفرس . والجماع الغُسُن . أخبرنا ابو عثمان قال : أخبرنا يزيد بن مرة الدارع . قال : سمعت أبا الخطاب الأخفش يقول : رجل غسن اذا كان ضعيفاً (١) .

— الصعل الخفيف الرأس والعنق . والمهجوم الساقط المصروع . وفي الأساس : والريح تهجم التراب على الدار تلقيه عليها قال ذو الرمة :—

أودى بها كلّ عرّاص ألثّ بها وجافل من عجاج الصيف مهجومُ

وفيه .. صعل ظليم . ورجل صعل وأصعل صغير الرأس ونعامة وامرأة صعلة وصعلاء . وقد صعل صعلاً . وتقول : في رأسه صعل . وفي رأيه غعصل أي اعوجاج . أما عرّاص ككتان فالسحاب ذو الرعد والبرق الكثير اللمعان . والبرق المضطرب اه وألثّ بها دام .

وفي كامل المبرد .. وقد أورد بيت علقمة . والمهجوم المهدوم . وفي الخبر أنه لما قتل بسطام بن قيس لم يبق بيت في بكر بن وائل الا هُجم أي هدم .

أما خبر قتل بسطام بن قيس سيّد شيبان فهو مبسوط في كامل ابن الأثير في يوم الشقيقة من أيامهم وهو يوم بين بني شيبان وضبة بن أد . وسفوان موضع في البصرة وبنو هجيم كزبير بطن .

(١) القاموس : الغسن المضغ . وبالضم الضعيف والغُسنة والغُسناءُ بضمها خصلة الشعر (ج) كصُرد وككتاب جلد يلبسه الصبي . وكغراب أقصى القلب ؛ وكشدّاد وكبسان حدّة الشباب . وما أنت من غسّانه وغيسانه من رجاله ؛ وكشدّاد ماء نزل عليه قوم من الأزد فنسبوا اليه . منهم بنو جفنة رهط الملوك . أو غسان اسم القبيلة والغساني الجميل جداً . والاغسان أخلاق الناس وأخلاق الثياب . والغيسانة الناعمة . ق .

دعمي ودعامة — اشتق من الدعم . والدعم شيء يدعم به البيت لئلا يسقط والحائط ومنه دعامة[1] .

جديلة — أصل جديلة حبل من أدم . أو شعر يفتل وانما أخذ من الجدل والجدل شدة الطي والفتل وحسنه وجديلة بنت مر بن أد أم فهم وعدوان ابني عمرو بن قيس وإليها ينسب أبو عبد الله الجدلي الذي يحدث عنه[2] .

(١) الأساس : مال حائطه فدعمه بدعامة ودعائم ودعمة ودعم . وبيت مدعوم ومعمود . فالمدعوم الذي يميل فيريد أن يقع فتسند اليه ما يستمسك به . والمعمود الذي يتحامل ثقله كالسقف فتمسكه بالأساطين ، وادعم الحائط على الدعامة اتكأ عليها : القاموس : دعمه كمنعه مال فأقامه . والدعمة والدعامة والدعام بكسرهن عماد البيت . والخشب المنصوب للتعريش جمعه دعم ودعائم . وككتابة السيد ، وخشبتا البكرة . وادعم كافتعل اتكأ عليها . والدعمي بالضم النجار الى أن قال ودعمي بن جديلة أبو قبيلة . والدعامة الشرط . وبالكسر ابن عزية . وابنه قتادة بن دعامة صحابيان ، وكغراب بطن عظيم من العرب . وككتاب اسم .

(٢) الأساس : جدل الحبل فتله . وزمام مجدول وهو الجديل . تقول : كأن في الجديل إحدى بنات جديل . وطعنه فجدله ألقاه على الجدالة وهي الأرض قال :

قد أركب الآلة بعد الآله ... وأترك العاجز بالجداله .

وتقول : ان وقفن فجادل ، وان مررن فأجادل . وهي القصور . قال الأعشى :

في مجدل شيد بنيانه يزل عنه ظفر الطائر

والرواية المشهورة (يزل عنه قدم الطائر) . القاموس : بعد أن ذكر معاني كثيرة لهذا الحرف قال : وجديلة بنت سبيع بن عمرو من حمير أم حي . والنسبة جدلي وأنت ترى اختلافاً بين ما جاء في الأصل والقاموس في نسب جديلة .

لؤي — تصغير لأي . ولأي اسم من الأسماء يصلح أن يكون من ثلاثة أشياء . يصلح أن يكون من اللأي واللأي الثور [1] .

والرائش — يصلح أن يكون من ثلاثة أشياء يصلح أن يكون من راش السهم بريشه . ويصلح أن يكون من قول العرب : فلان يريش ويبري . ويقال : بعير راش اذا كان ضعيف الظهر مهزوله . وكان الأصل كما قال رائش تخفف ههنا كما قال هار وهائر . وقال ساعدة بن جوية [2] :

من كل أظمى عاتر لا شانه قصر ولا راشي الكعوب معلب

يقول : لا ضعيف الكعوب . ولا معلب وهو الذي إنكسر فشد بعلباء [3] .

(١) لم يذكر غير واحد من الثلاثة التي يصلح أن يكون لؤي مشتقاً منها ولعل قلم الناسخ طوى الآخرين سهواً . وانك لترى للثلاثة مبينة بما ستراه قريباً . وفي المقصور والممدود لابن ولاد النحوي : واللأي الثور . وزعم ابو عمرو أنها البقرة مقصور يكتب بالياء . ولو كان هذا من ذوات الواو لكتب بالياء على الاختيار لمكان الهمزة التي قبل آخره كأنهم كرهوا الجمع بين ألفين . ويقال : بكم تبيع لأك بوزن لعاك ؟ وقال الطرماح :

كظهر اللأى لو تبتغي رية بها نهاراً لعيت في بطون الشواجن

ويروى لعنت من العناء ، والشواجن الأودية . ورية ما تورى به النار . القاموس : اللأي كالسعي الابطاء والاحتباس والشدة كاللأى كالعنا . واللأواء واللأى وقع فيها . والتأي أفلس وأبطأ . واللأي كالعي الثور الوحشي أو البقرة . ولأي اسم تصغيره لؤي . ومنه لؤي بن غالب بن فهر .

(٢) الصواب جؤية بالهمز وهو هذلي مخضرم (المجمع) .

(٣) روي البيت في مبادئ اللغة هكذا [*] :

من كل أظمى عاتر لا شانه قصر ولا راشي الكعوب معلب

(*) ويروى في الخزانة البغدادية (٣/٧٣) :

من كل أسحم ذابل لا ضره قصر

وهو من قصيدة طويلة عدتها ٢٠ بيتاً (مجمع) .

جلاس — (بياض) ولعل المتروك (يصلح ان يكون من) جَلَس يجلِس اذا قعد . ومن جلس يجلَسُ اذا قصد نجداً فان أهل الحجاز يسمون نجداً الجلْس . يقولون : قد جلسنا اذا خرجوا الى نجد .. قال رجل من هذيل :

اذا ماجلسنا لا تزال ترومنا ُسليمٌ لدى أبياتنا وهوازنُ

يريد إذا أتينا نجداً .. قال عمر بن ربيعة :

اذا أم سرباح غدت في ظعائن ~ نجداً فاضت العين تدمع[1]

— الأظمى المكتنز . والعاتر يقولون : سيف باتر . ورمح عاتر اذا اضطرب وتراجع في اهتزازه . قال العجاج :

وكل خطّيٍّ اذا هز عتر

ويقال : سيف معلب ومعلوب مشدود بالعلباء . وفي اللسان .. رمح معلب اذا جُلِدَ ولُوِيَ بعصب العلباء .

المخصص : علبت السيف أعلبه علباً . وعلبته شددت مقبضه بعلباء البعير وهو عصبة في عنقه . سمي به الرائش الحميري ملك كان غزا قوماً فغنم غنائم كثيرة وراش أهل بيته . قال الجوهري : والحرث الرائش من ملوك اليمن .

(١) المخصص : ابن السكيت .. جلس يجلس جلساً أتى جلساً وهي نجد . وأنشد البيت . وفيه مادة جلوس وقد جالسته مجالسة وجلاساً . وكأن اسم جلاس أخذ من هنا .

التهذيب : وجلس فهو جالس اذا أتى جَلساً وهي نجد . قال مالك بن خالد الخناعي وأورد البيت كما في الأصل وأما البيت (اذا أم سرباح) المنسوب في الأصل الى عمر بن ربيعة فيقول ابن السكيت في تهذيب الألفاظ : قال الأصمعي : وأنشدنا أمير كان على مكة (والشعر لدرّاج الضبابي) :

ولما دخلت السجن أيقنت أنه هو البين لا بينُ النوى ثم يجمع

اذا أمُّ سرباح غدت في ظعائن جوالسَ نجداً فاضت العين تدمع

فما السوط أبكاني ولا السجن شفني ولكنني من خشية البين أجزَع —

حرقوص — يسمى بداية صغيرة تكون بالبادية شديدة اللسعة [١] .

قرفة — قشر الشجرة . يقال : صبغ ثوبه بقرف الشجر وقرف السدر . والقرفة التهمة . يقال للرجل : من قرفتك أي من تتهم [٢] .

بشامة — شجرة طيبة الرائحة يستاك بها [٣] .

— والسرباح كجريال الطويل والجواد . وأم سرباح امرأة درّاج بن زرعة الضبابي أمير مكة . وفي الفصول والغايات للمعري .. ودراج بن زرعة الكلابي كان حبسه الحجاج فمات في الحبس أو قتل وهو القائل :

(اذا أم سرباح غدت في ظعائن) البيت . وبعده :

فأبلغ بني عمرو اذا ما لقيتهم . بآية كراتي اذا الخيل تقدع
فما القيد أبكاني ولا السجن شفني . ولا انني من رهبة الموت أجزع
ولكن أقواماً ورائي أخافهم اذامت أن يعطوا الذي كنت أمنع

القاموس : والجلاس كغراب ابن عمرو . وابن سويد صحابيان .

(١) القاموس : الحرقوص بالضم دويبة كالبرغوث حمتها كحمة الزنبور . أو كالقراد تلصق بالناس . أو أصغر من الجعل . وابن مازن تميمي . وابن زهير وكان صحابياً فصار خارجياً .

(٢) القرف بالكسر القشر أو قشر المقل وقشر الرمان ومن الخبز ما يتقشر منه ويبقى في التنور . وبهاء التهمة والهجنة والكسب . والقشرة وقشور الرمان . وضرب من الدارصيني . وهم قرفتي أي عندهم طلبتي . وسلهم عن ناقتك فانهم قرفة أي تجد خبرها عندهم . ويقال : أمنع وأعز من أم قرفة لأنه كان يعلق في بيتها خمسون سيفاً لخمسين رجلاً كلهم محرم لها زوجة مالك بن حذيفة ابن بدر . وقرفة بن بهيس أو بيهس . أو مالك تابعي . وحبيب بن قرفة العوذي شاعر (عن القاموس) .

(٣) الأساس : بشم الفصيل من اللبن والرجل من الطعام اذا اتخم . وفي كلام الحسن .. وأنت تتجشأ من الشبع بشماً . وامتاكت بفرع بشامة .. وتقول : ما أهل الشام إلا كشجر البشام دهنه من أطيب الأفواه . وعوده مطيبة الأفواه . القاموس : وبهاء ابن الغدير . وابن حزن شاعران .

معد — موضع رجل الراكب من الفرس .. قال الشاعر :

نابي المَعَدّين وأى نظّار محجل لاح له خمار[1]

عنزة — سميت بذئبة دقيقة الخصر لطيفة والعنزة الحربة أيضاً[2] .

(١) القاموس : والمعد كرد الجنب والبطن واللحم تحت الكتف . وموضع عقب الفرس . وعرق في منسج الفرس (الأسفل من حاركه) . والمَعَدّان من الفرس ما بين رؤوس كتفيه الى مؤخر متنه . ومعد حي ويؤنث وهو مَعَدّي . اللسان : المَعَدّان الجنبان من الانسان وغيره .. وقال اللحياني : المعد الجنب فأفرده . والمعدان من الفرس ما بين رؤوس كتفيه الى مؤخر متنه . وقيل : المعدان من الفرس ما بين أسفل الكتف الى منقطع الأضلاع وهما اللحم الغليظ المجتمع خلف كتفه ويستحب نتوهما . والمعد موضع عقب الفارس الى أن قال : ومعد حي سمي بأحد هذه الأشياء وغلب عليه التذكير . مبادئ اللغة : والمعدان موضع السرج من جنبيه .. قال ابن أحمر :

فإما زال سرج عن معد وأجدر بالحوادث أن تكونا

فلا تصلي بمطروق اذا ما سرى في القوم أصبح مستكينا

أما البيت المستشهد به في الأصل (نابي المعدين) نابي من نبا الشيء عنه تجافى وتباعد . المعدين تقدم معناهما . الوأى الفرس السريع . وقيل : الشديد أخذ من قولهم : قِدْر وئية . وأنشد ابن بري لشاعر :

اذا جاءهم مستنفر كان نصره دعاء ألا طيروا بكل وأى نهد

ملخص عن اللسان : ونظّار أي فرس طامح الطرف لشهامته وحدة فؤاده . لاح له خمار أي غبرة (عن الأساس) .

(٢) العنز الماعزة وهي الأنثى من المعز . والعنزة بتحريك أطول من العصا وأقصر من الرمح وفيها زج كزج الرمح . قال الجوهري : والعنز الأنثى من الظباء والأوعال وهي الماعزة . وفي مبادئ اللغة .. والعنز بالبادية من السباع —

عكابة — اشتق من الغُبار اذا أثارته الخيل والابل يقال : (رأيت القوم ثار لهم عكوب) [١] .

حذيفة — اشتق من الحذفة . والحذفة ضرب من الضأن [٢] .

حباب ... — وهي ضرب منها .. قال الشاعر :

تلاعب مثنى حضرمي كأنه حباب نقا يتلوه مرتجل (!)[٣]

— دقيق الخطم . وفي لسان العرب عن الأزهري : العنزة عند العرب من جنس الذئاب وهي معروفة . ومن مسمياتها عنزة بن أسد بن ربيعة ، أو ابن عوف أبو حي .

(١) العكوب بالفتح الغبار . وعكابة كدُخانة ابن صعب أبو حي من بكر بن وائل . أما بكر فمن ولده علي بن بكر ومن ولد علي صعب وولد لصعب لجيم بن صعب وعكابة بن صعب . وولد عكابة قيساً وثعلبة .

(٢) حذفه يحذفه أسقطه . ومن شعره أخذه . وبالعصا رماه . وفي مشيته حرك جنبه وعجزه . أو تدانى خطوه . وفلاناً بجائزة وصله بها . والسلام خففه ولم يطل القول به وككناسة ما حذفه من الأديم وغيره . كثمامة ابو بطن من قضاعة . وكجهينة بن أسد . وابن أوس . وابن عبيد وابن اليمان حسل . وآخران أزدي وبارقي غير منسوبين صحابيون (ملخص عن القاموس) .

والحذف محركة طائر أو بط صغار وغنم سود صغار .

(٣) في الأصل نقصان بعد الكلم الى قوله : وهي الخ وحباب كغراب الحية . وحي من بني سُليم . واسم . وجمع حُبابة لدويبة سوداء مائية . واسم شيطانة . وأم حباب الدنيا وكسحاب اسم . والطل . وفي المخصص لابن سيده : والحُباب حية ليس من عوارم الحيات . وعم به ابو عبيدة جميع الحيات قال : وانما قيل الحباب اسم شيطان لأن الشيطان من اسماء الحية . أما عجز البيت المستشهد به فقد جاء على هذه الصورة وفيه نقصان القافية وهو غير مستقيم وزناً ومعنى —

علقمة — يقال : انه لطعام شديد العلقمة يريد شديد في المرارة[(١)] .

زبان — حي من غني . وقال الشاعر :

لقيت زبان حد يوم كريهة   وعلى مُصريم وابل صنديد

وأصله من الزبن . والزبن الدفع . وأنشد لأبي النجم :

تزبن لحيي لاهج مخلل[(٢)] .

— ولم نجد في المراجع التي تحت متناولنا ما ينطبق على رواية البيت وتصحيح وزنه . ولكن رواه في المخصص هكذا[(*)] :

تلاعب مثنى حضرمي كأنه   تعمج شيطان بذي خروع قفر

والتعمج التلوي وعنى بالحضرمي الزمام أراد كأن تعمجه تعمج شيطان . وعلى هذه الرواية لا يكون البيت شاهداً ولعل عجز البيت :

(حباب نقا يلوى بذي خروع قفر)

(١) العلقم الحنظل . وكل شيء مر . والنبقة المرة وأشد الماء مرارة . والعلقمة المرارة . وجعل الشيء المر في الطعام وعلقمة الخصي . وابن عبدة الفحل . وابن عُلاثة شعراء هكذا في القاموس .

(٢) الزبن الدفع زبنته أزبنه زبناً . وتزابن القوم : تدافعوا والزبون المدفوع . فأما قولهم زبّان اسم رجل فقد يكون من الزبن فهو على هذا فعّال من الزبن كحدّاد من الحد وقد يكون فعلان من الزبب وهو كثرة الشعر كما قالوا شعران . واختار ابو علي هذا الوجه وعلله بان مجيئه غير مصروف في الشعر أكثر (عن المخصص) وزبان بن مرة من الأزد . وزبان بن امرئ القيس وزبان حي من غني من غطفان وهم من بطن قيس بن عيلان .

أما البيت الأول فلم نعثر على اسم قائله ولم نجد له ذكراً في المصادر التي بين أيدينا . وقول أبي النجم (تزبن) وعجزه :

عن ذي قراميص لها محجل

(*) وهي رواية اللسان ايضاً « حبب » (المجمع) .

جحاش — من مجاحشة الرجلِ الرجلَ بالخصومة أو القتال . يقال : جحش وجهه اذا كدحه . وبعض العرب يقول : جحاس بالسين . ويقال : جحشه وجحسه في معنى واحد .. قال الشاعر :

ان عاش قامى لك ما أقامي والطعن في يوم الوغى الجحاس[1]

— هو من أرجوزة طويلة يبلغ عدد سطورها (١٩١) وكلها في وصف الابل وايرادها واصدارها . ووفد على هشام وقد ناهز السبعين وعنده جماعة من الشعراء فأمرهم بوصف الابل كأنه ينظر اليها في ايرادها واصدارها فأنشدوه وأنشده أبو النجم هذه اللامية فلما بلغ قوله :

حتى اذا الشمس اجتلاها المجتلي بين سماطي شفق مهول
فهي على الأفق كعين الاحول صغواء قد كادت ولما تفعل

أمر بوجء عنقــه واخراجه . فعاش فقيراً طريداً وأغضب هشاماً قوله : (فهي على الأفق كعين الأحول) لأنه كان أحول .

وأما معنى بيت أبي النجم (فتزبن) تدفع (ولحيي) تثنية (لَحْي) وهما منبتا اللحية وهي شعر الخدين والذقن و (لاهج) من لهج الفصيل أخذ في الرضاع وهو لهوج ولهج . و (مخلل) يقال فصيل مخلل اذا جعل له خلال والخلال عود يجعل في لسان الفصيل لئلا يرضع . وإياه عنى امرؤ القيس :

كما خل ظهر اللسان المجر

كذا في اللسان والفصول والغايات للمعري . ويعني بذي قراميص ضرعها أي اذا بركت صار له في الأرض قرموص وهو ما يحفره الطائر في الأرض ليبيض فيه . والمحجل الذي فيه أثر من الصر وهو طلاء من طين أو سرقين يطلى على أطباء الناقة لئلا يرضعها الفصيل . (عن الفصول والغايات) .

(١) جاء في الصفحة (٤١) من هذا الحرف (جحوش) الجحش كالمنع سحج الجلد وقشره من شيء يصيبه أو كالخدش أو دونه أو فوقه . وولد الحمار جمعه جحاش وجحشان . وصحابي جُحَيْني . وزينب أم المؤمنين وأخواها عبد الله وعبد .—

الأخيف — اسم وهو أن تكون احدى عينيه زرقاء . فاذا اختلف فيه ضروب الأشياء قيل مخيف [١] .

مكرز — اشتق من الكرز . يقال للرجل اذا اختبأ في شجر أو مكان : قد كرز في مكان كذا وكذا وهو يكرز كروزاً . قال الشاعر :

فلما رأين الماء قد حال دونه ذعاف لدى جنب الشريعة كارز

وكرز سمي بخرج الراعي الذي يحمله على بعض الغنم يجعل فيه متاعه . وكريز تصغير خرج الراعي .. قال الشاعر :

ياليت أني وسبيعاً في الغنم والخرج منها فوق كراز أجم

وكزبير تصغير كرز [٢] .

— بنو جحش بن رئاب (رض) وككتاب بن ثعلبة أبو حي من غطفان (ملخص عن القاموس) .

وأما الجحاس بالسين . ففي القاموس جحس فيه كجعل دخل ، وجلده كدحه وخدشه ، وفلاناً قتله والجحاس القتال وجاحسه زاحمه .

(١) فرس أخيف احدى عينيه زرقاء والاخرى كحلاء ، ونزلوا بالخيف وهو المكان المرتفع ، وأخافوا وأخيفوا نزلوا بخيف منى ، وأخياف مختلفون ، وخيفت بأولادها جاءت بهم أخيافاً . وأشياء مخيفة اذا كانت ضروباً مختلفة (عن الاساس) وسموا أخيف .

(٢) البيت الاول للشماخ من قصيدة مشهورة ذكرها أبو زيد في جمهرته في المشوبات . والشماخ كما في الشعر والشعراء لابن قتيبة اسمه معقل بن ضرار . وهو من أوصف الشعراء للقوس والحمر . قال يصف القوس :

وذاق فأعطته من اللين جانبا كفى ولها أن يفرق السهم حاجز

اذا أنبض الرامون عنها ترنمت ترنم ثكلى أوجعتها الجنائز

ويصف في البيت حمراً وردت الماء فأحست الصائد فنفرت منه . وكارز الصائد . وبعده :

خفاجة – اشتق من الخفج وهو عيب في المشي قال الشاعر :

أو خفجاً حرق رجلاً ويدا أو عرجاً أو نقباً خفيددا [١]

قتيبة – اشتق من القتبة وهي المعي من أمعاء الانسان . يقال : طعنه فاندلقت أقتاب بطنه [٢] :

ركبن الزباني فاتبعن به الهوى كما تابعت شد العنان الخوارز

أي انهزمن واحدة في إثر واحدة . فاتبعن أي قصدن هوى الحمار . وروى أبو زيد (على) بدل (لدى) والأساس (الى) .

والكرّاز في البيت الثاني كشدّاد وهو الكبش يحمل خرج الراعي وكأنه نسب الى كرز الذي يحمله . وهو معروف عند الرعاة بهذا الاسم سواء أحمل الخرج أم لم يحمله ويتقدم الغنم في سوقها لِسرحها ويتخير من أشد الذكران قوة . وأجم من أجم العظم اذا كثر لحمه (*) .

وسموا كارزاً وكريزاً ومُكرَزاً .

(١) الخفج محركة داء للابل . خفِج كفرح . وخفج بفتح الفاء اشتكى ساقه تعباً . وحرق أي حك كلاً من يده ورجله بالأخرى . والنقب اما من النقابة وهو قرحة تخرج بالجنب تهجم على الجوف رأسها من داخل . واما من نقب خف البعير رق وتنقب . أو من النقبة وهي أول الجرب وخفيدداً سريعاً . وفي المخصص عن أبي عبيد . فان كانت رجلا البعير تعجلان بالقيام قبل أن يرفعها كأن به رعدة فهو أخفج وقد خفج خفجاً وناقة خفجاء .

(٢) القتب جمع أقتاب مثل سبب وأسباب . والأقتاب الأمعاء واحدها قتب مثل احمال وحمل . وقد يؤنث الواحد للمبالغة فيقال : قتبة . وتصغيرها قتيبة وبها سمي الرجل والنسبة قُتبي كجُهني .

(*) أو لعل المراد من الأجم من لا قرن له (المجمع) .

زغلول — والزغل ان تقطع الناقة بولها زغلة زغلة • وهي قطعة قطعة وكذلك الدم [١] •

هرماس — الشديد الحطوم لكل شيء • يقال : أسد هرماس : ومثله قرناس [٢] •

الدرواس — الغليظة الرقبة [٣] •

فزارة — اشتق من الفزر • والفزر قطعك الشيء • يقال : ضربه ففزر ظهره • ومن ثمت قيل للأحدب أفزر • قال الشاعر :

يدق معزاء الطريق الفازر دق الدراس عرم الأنادر

---

(١) عن الأساس • صبية زغاليل صغار • ويقولون : كيف زغلولك ؟ اذا سألوه عن صغيره • وزغل الماء وأزغله اذا صبه دفعة دفعة • وأزغل الشارب الشراب اذا مجه • وفي القاموس وكعصفور الخفيف واسم • والطفل (اه) • ويسمون فرخ الحمام زغلولاً •

(٢) الهرماس بالكسر الأسد الشديد العادي على الناس كالهرميس والهراس • وولد النمر • وابن زياد الصحابي أو هو لقب واسمه شرع • والقرناس بالضم والكسر شبه الأنف يتقدم من الجبل • ومن النوق المشرفة الانطار (عن القاموس) • أما الهرماس ففي صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعيد القرطبي • ومنهم أي من أصحاب النبي (ﷺ) من بني نمير بن عامر بن صعصعة الهرماس بن زياد الباهلي روى عن رسول الله (ﷺ) وأورد له حديثاً •

(٣) فقه اللغة : في باب أوصاف فحول الابل « فاذا كان العنق غليظاً شديداً فهو عرباض ودرواس • وكذلك جمله في القاموس من أوصاف الجمل الذلول الغليظ • وترى في الأصل انه من صفات الأنثى • وقال في القاموس : والدرواس بالكسر علم كلب • والكبير الرأس من الكلاب • والشجاع والأسد كالدرياس •

العرم مثل الجبل يكون في الوادي والنهر منبع الماء. الأنادر البيادر[1].

(١) فزر الثوب شقه فتفزر وانفزر . وفلاناً بالعصا ضربه على ظهره . وفلان خرج على ظهره أو صدره فُزرة أي عجرة عظيمة فهو أفزر ومفزور . والفِزر بالكسر : لقب سعد بن زيد مناة وافى الموسم بمعزى فأنهبها . وقال من أخذ منها واحدة فهي له ولا يؤخذ منها فِزر وهو اثنان فأكثر . وابن البَبر وبنته الفزرة وأمه الفزارة كسحابة وهي أنثى النمر (*) وبلا لام ابو قبيلة من غطفان ملخص عن القاموس . وعن مبادئ اللغة للاسكافي .

والبَبر يسمى الفِزر . ويقال : انه قاهر للأسد والفزرة الأنثى . وولد الذكر الهدَبِّس . والانثى الفَزارة ، قال الشاعر :

ولقد رأيت فزارة وهدبّسا والفرزَ يتبع فزره كالضيون

وفي المخصص عن صاحب العين الفِزر : ابن الببر والفزارة أمه . والفزرة اخته والهدبس أخوه ومنه اشتقاق فزارة للقبيلة .

أما العرم هنا فهو مايجمع من الحصاد ويعرم بعد الدياس وموضع الدياس يسمى المداس وهو الأندر والبيدر والجرين ويسمى بالفارسية جوات وجمع الأسماء الثلاثة أنادر وبيادر وأجرنة (ملخص عن مبادئ اللغة) .

وفي القاموس : الأندر البيدر أو كُدَس القمح .

* * *

الى هنا انتهى كتاب الاشتقاق والتعليق عليه بقدر الطاقة ، ولا أزعم اني بلغت الغاية مما يقتضي وما يتطلبه التدقيق في الشواهد الشعرية ، وقد قمت بالمستطاع على قدر الامكان ، والله أحمد في البدء والختام .

في ٢٢ شعبان المعظم سنة ١٣٧٠ و ٢٨ أيار سنة ١٩٥١

سليمان ظاهر

(*) الببر نمر الهند وهو غير النمر الارقط ، فلعل الصواب انثى الببر (مجمع) .

دراسات

عن مقدمة ابن خلدون

- ٢ -

ابن خلدون مؤسس علم التاريخ وموجد علم الاجتماع

(تتمة)

(و) الدولة وتطوراتها (ص ٣٥٤ — ٣٨٩) :

ومع أن ابن خلدون لا يعرّف الدولة فاننا نفهم من كلمة الدولة عنده شيئين : الملك أو الدولة بالمعنى المفهوم اليوم ثم الأسرة الحاكمة . ثم ان للملك عند ابن خلدون معنى آخر هو الحكم . والفرق بين الملك والخلافة ظاهر ، فالملك هو « الحكم الدنيوي » والخلافة هي حمل الناس على أن يسيروا بمقتضى الشرع لبلوغ مصالحهم الأخروية وما يتصل بها من مصالحهم الدنيوية . وكذلك يفرق ابن خلدون مرةً أخرى بين الملك والرئاسة بالعصبية . ان الرجل اذا أقر له تابعوه بالتقدم عليهم من تلقاء أنفسهم ، لفضل فيه عليهم ، فهو الرئيس بالعصبية . فاذا هو اضطر الى حملهم على طاعته بالقوة فذلك هو الملك .

وابن خلدون يتوسع كثيراً في الكلام على اعمار الدول . فالدولة لها عمر طبيعي كالأفراد ، وهو نحو أربعة أجيال أو نحو مائة وعشرين سنة ، ذلك لأن مؤسس الدولة يحافظ عليها لأنه جهد في توطيد أركانها . فاذا جاء ابنه ورأى ما عاناه ابوه حرص أيضاً على الاحتفاظ بها . فاذا جاء الجيل الثالث ظن أن الدولة حق له لا ينازع فيه فأهمل النظر في شؤونها . فاذا جاء الرابع غفل عن حقيقة الدولة وانصرف الى لهوه ثم جمع بطانة السوء حوله . اننا اذا فهمنا

« الدولة » على أنها الأسرة الحاكمة فحينئذ يصدق قول ابن خلدون الى حد . من ذلك مثلاً :

— بنو أمية منذ تولي معاوية على الشام سنة ١٨ هـ الى سقوط الدولة الأموية سنة ١٣٢ هـ ، ١١٤ سنة هجرية .

— آل تيودور في انكلترة منذ ١٤٨٥ الى ١٦٠٣ ، ١١٨ عام شمسي أو ١٢١ سنة هجرية .

— الأسرة العلوية في مصر منذ أصبح محمد علي خديوي مصر عام ١٨٤١ الى تنازل فاروق عام ١٩٥٣ ، ١١٢ عام شمسي أو ١١٥ سنة هجرية .

أما الأسر المالكة التي تعيش أكثر من أربعة أجيال كبني العباس في بغداد وآل بوربون في فرنسة والموحدين في المغرب والأندلس فهي في الحقيقة أسر تنتمي الى فروع مختلفة من أهل الدولة الواحدة . ومع انني لا أريد أن أصر على أن رأي ابن خلدون صحيح تماماً ، فانني لا أراه كثير الفساد .

(ز) الحروب (ص ٣٩٠ — ٤١٤) :

يتكلم ابن خلدون في هذا الفصل على أسباب الحروب ومذاهب الأمم في خوض حروبها وعن أدوات القتال .

(ح) النفس الانسانية (ص ٤١٥ — ٤٣٦) :

يرى الأستاذ ساطع الحصري ان من أبرز آراء ابن خلدون في « علم النفس » أنه رأى في النفس الانسانية ناحية الفكر وناحية العمل باليد ، « وانه قرن الفكر باليد وأظهر عمل اليد الأساسي في خدمة الفكر » . إن الصناعات التي يمارسها الانسان بيده تزيده قوةً في عقله ووفوراً في ذكائه . فان برغسون الافرنسي لما ألف كتابه : « ينبوعا الأخلاق والدين » ومس هذه الصلة الوثيقة بين اليد والفكر لم يخرج في ما ذكره عام ١٩٣٢ عما كان ابن خلدون قد عرفه قبله بنحو أربعة قرون ونصف قرن (ص ٤٣٢) . وهنالك أيضاً ملاحظات أخرى قيمة

متفرقة سبق فيها ابن خلدون علماء أوروبة المعاصرين ثم لم يقلْ عنهم اصابة رأيٍ ولا عبقرية ٠

(ط) التربية والتعليم (٤٣٢ — ٤٨٤) :

التربية والتعليم موضوع هام جدًّا في مقدمة ابن خلدون : وقد خص ابن خلدون هذا الموضوع بفصول مستقلة ، كما انه أبدى ملاحظات هامة ورقيقة في فصول أخرى لا تتصل مباشرة بموضوع التربية والتعليم (ص ٤٤١ — ٤٤٢) ٠ ومما يدل على عبقرية ابن خلدون في هذا الباب ربطه التربيـة والتعليم بعلم النفس وبالواقع الاجتماعي معًا ٠ وليست غاية التربية والتعليم عند ابن خلدون نقل العلوم والعادات من شخص الى شخص (أو من جيل الى جيل) فقط ، بل من غايته أيضًا « جلاء معاني الانسانية في الناشئ » (ص ٤٥٦ ، راجع المقدمة ٥٤٠) ٠

ومن النظرات العميقه الدقيقة عن ابن خلدون ان ملكة علم من العلوم لا تستحكم في النفس إلا اذا حفظ المتعلم أصول ذلك العلم وفروعه ثم نسيها ٠ حينئذ تمّحي (بتشديد الميم) رسوم العلم الظاهر وتظل في نفسه أسسه ومنهاجه ٠ ويعلق الأستاذ الحصري على هذه الملاحظة بقوله (ص ٤٧١) : « فان الأثر الذي يبقى في النفس من جراء الحفظ — بعد نسيان المحفوظ — من أهم الملاحظات النفسية التي تؤثر تأثيراً عميقًا في نظريات التربية والتعليم » ٠

ويبدي ابن خلدون في تعليم القرآن الكريم خاصةً ملاحظةً قيمةً جداً ٠ يذكر ابن خلدون أن أهل المغرب وأهل الأندلس (كأهل المشرق) يبدأون بتعليم القرآن الكريم للصبيان وهم صغار ، ثم هو يذكر أيضًا أن القاضي أبا بكر ابن العربي يقترح تأجيل تعليم القرآن للولدان الى أن يستطيع الولد التمييز والفهم (بعد أن يتعلم علوم العربية والأدب والحساب والفقه) إذ لا فائدة من أن يقرأ الولد شيئًا لا يفهمه ٠ ويوافق ابن خلدون على هذا الاقتراح من حيث الأساس « اذ لا يجوز ان يلقّن الولد شيئًا « لا يفهمه » ولكنه حينما ينظر الى

« واقع التعليم » يرى أن هذا الاقتراح مضر ، وذلك لأن المألوف ان ينصرف الناشئون عن الاهتمام بأمر الدين وحفظ القرآن اذا يفعوا ثم بلغوا مبلغ الصبا . من أجل ذلك يجب أن تنتهز الفرصة فيهم فيلقن الطفل القرآن الكريم ما دام خاضعاً لمن فوقه ، خالياً من نوازع الحياة . من أجل ذلك كان مذهب أهل المشرق والمغرب في تعليم القرآن للأولاد في أول سني تعليمهم أصوب من تركهم حتى يوغلوا في الصبا . ذلك لأنهم اذا لم يتعلموه في أول أمرهم لم يتعلموه بعد ذلك البتة (ص ٤٧٨ — ٤٧٩) .

(ي) التفكير والايمان – العقل والنقل (ص ٤٨٥ – ٥٠٨) :

ابن خلدون أشعري متدين في حياته الشخصية ، ولكنه متحرر يؤكد جانب التفكير المحض عند البحث ومعالجة الموضوعات . « ان ابن خلدون لم يحاول تحكيم الشريعة في كل شيء ولا رد كل أمر الى أحكام الدين » . لقد قال ان النبي بُعث ليعلمنا مسائل التوحيد والمعاد وليهذب نفوسنا ولم يبعث ليعلمنا الطب والفلك مثلاً . ثم هو يضرب على ذلك أمثلة ثابتة في الحديث الشريف منها مسألة تأبير النخل المشهورة .

ومما يتصل بهذا الباب ان ابن خلدون يخص العصبية بفصول كثار ويجعلها أساساً لنشوء الدول وللتناصر في الحروب ، ثم هو يفطن الى أن القرآن الكريم قد ذم العصبية ، فيقول : ان القرآن الكريم قد ذم العصبية من حيث هي مثار للتنازع الداخلي وللحمية الجاهلية . ولكن « اذا كانت العصبية في الحق وإقامة أمر الله [فانها حينئذ] أمر مطلوب . ولو بطلا[ت العصبية في هذه الأمور] لبطلت الشرائع ، إذ لا يتم قوامها [قوام الشرائع] الا بالعصبية » (ص ٤٩٥) .

فابن خلدون يتبع إذن في أمور العلم والاجتماع سبيل العقل لا يحيد عنه . وأما في الماورائيات (في أمور ما وراء الحس : كالإيمان بالله والآخرة وما يتبع ذلك من الفروض التي فرضها الدين) فهو يأخذ بما جاءت به الأوامر الدينية ، إذ يعتقد ان هذه الأمور خارجة عن نطاق العقل .

(ك) الخط والكتابة (ص ٥٠٩ — ٥٢٢) .

(ل) المدن والأمصار (٥٢٣ — ٥٣١) :

ولابن خلدون ملاحظات قيمة في الشروط التي يجب أن تراعى عند بناء المدن من الناحية الصحية والاقتصادية والعسكرية والعمرانية .

(م) الحياة الاقتصادية (٥٣٢ - ٥٤٢) :

ان الاعتقاد بأن الأمور الاقتصادية تتبع قوانين ثابتة ومناهج معينة ، وتدوين ذلك تدويناً منظماً ، لم يبدأ في رأي الغربيين الا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر . ولكن ابن خلدون سبق كتاب الغرب ومفكريهم في هذا الاعتقاد بمدة لا تقل عن أربعة قرون (ص ٥٣٣) .

ومن الأمور التي سبق ابن خلدون فيها علماء الاقتصاد المحدثين ـ حتى المتأخرين من غلاة الماركسية ـ إعلانه منذ القرن الرابع عشر « ان الكسب انما هو قيمة الأعمال الانسانية » ... « وان الرزق والثروة نتيجة العمل من حيث الأساس ، إلا أن قيمة الأعمال تختلف باختلاف الأحوال الاجتماعية العامة » (ص ٥٣٦ ، ٥٣٧) .

(ن) التشبيهات المادية (ص ٥٤٣ — ٥٥٠) :

هذا الفصل القصير طريف جداً لأنه يكشف لنا عن ناحية مهمة من أسلوب ابن خلدون ، ولصلة هذه التشبيهات المادية بابراز آراء ابن خلدون ابرازاً قوياً .

٦ — تكملة : جولة بين الكتب والمجلات (٥٥١ — ٦٣٨) :

مما يؤسف له ان ابن خلدون الذي حل مقاماً سامياً عند كثيرين من كبار رجال الفكر ومؤرخي علم التاريخ والاجتماع من الغربيين قد تعرض لحملة عنيفة شنها عليه العرب . وزعيم هذه الحملة الدكتور طه حسين . فمن التهم التي وجهها الدكتور طه حسين لابن خلدون قوله :

(أ) ابن خلدون يشك في نسب نفسه ، اي انه بربري وليس عربياً .

(ب) ابن خلدون لم يفكر في جعل التاريخ علماً ولم يفهم مسائل التاريخ الأساسية .

(ج) من المبالغة الكبيرة أن تقول ان ابن خلدون يستحق لقب عالم اجتماعي .

(د) زعم الدكتور طه حسين ان ابن خلدون قد استمد آراءه في علم الاجتماع من قضايا التاريخ (ولم يلاحظ العالم الاجتماعي الواقع) .

(ه) يدعي الدكتور طه حسين بوجود تناقض منطقي في طريقة ابن خلدون (ص ٥٦٧) .

(و) اتهم الدكتور طه حسين ابن خلدون في أخلاقه وفي وطنيته .

(ز) نسب الدكتور طه حسين ابن خلدون الى قلة الأمانة العلمية فابن خلدون لم يعرف، عند الدكتور طه حسين ، من بعض الكتب التي ذكرها الا اسماءها . وابن خلدون عند الدكتور طه حسين لا يفرق بين كتب الفقه وكتب أصول الفقه ، وان ابن خلدون لم يطلع على كتاب الأغاني .

ومع أن هذه الأمور لا صلة لها بدراسة مقدمة ابن خلدون فانها مما يجدر أن يستوقفنا قليلاً ، لأن الدكتور طه حسين اراد أن يهدم عبقرية ابن خلدون كلها . غير أننا لا نحتاج اليوم الى تفنيد « اتهامات » الدكتور طه حسين فان بطلانها قد انفضح تماماً ، ثم هي لا تقدح في رجل مثل ابن خلدون . ولكن يحسن أيضاً أن نتحرى أسباب هذه الحملة الشعواء التي شنها الدكتور طه حسين على ابن خلدون . ان هذه الأسباب ، حسب رأي الأستاذ ساطع الحصري ، تتلخص فيما يلي :

(أ) ان طه حسين لم يقرأ المقدمة بامعان نظر (ص ٥٥٣ ، ٥٧٥) .

(ب) ان طه حسين كتب اطروحة عن ابن خلدون (عام ١٩١٨) وهو بعد « حديث عهد بدراسة علم الاجتماع » ولم يكن قد احاط يومذاك بنظريات علم الاجتماع وتاريخه الاحاطة الكافية . كما انه لم يكن قد وجد متسعاً من الوقت للتعمق في دراسة ابن خلدون التعمق اللازم (ص ٥٦٣) .

(د) « ويظهر ان الدكتور طه حسين كان مدفوعاً بروح انتقاد عنيفة » ...

على ابن خلدون (ص ٥٦٣) ، فكأن يتقول على ابن خلدون ما لم يقله ابن خلدون (ص ٥٥٣ ، ٥٦٧). إن « الدكتور طه حسين لما ادعى بأن ابن خلدون يستند في علم العمران الى التاريخ قد عزا اليه رأياً لم يقل به قط وخطة لم يسلكها قطعاً (ص ٥٦٨) .

(هـ) ان نظرةً منصفة الى فهرست فصول المقدمة (فقط) تكفي لتفنيد بعض مزاعم طه حسين (ص ٥٧٣) .

(و) ان الدكتور طه حسين تجاوز حدود الحق والحقيقة كثيراً في بعض استنتاجاته (ص ٥٧٣ — ٥٧٤) .

(ز) أما الزعم الذي زعمه الدكتور طه حسين بأن ابن خلدون لم يستطع الاطلاع على نسخة من كتاب الأغاني فراجع الى أن الدكتور طه حسين لم يقرأ مقدمة ابن خلدون في هذا الشأن ، بل قرأ في الترجمة الافرنسية للمقدمة نفسها . ولقد اتفق ان المترجم الافرنسي أخطأ فهم جملة وردت في المقدمة عن كتاب الأغاني فاتبعه أحد المستشرقين في ذلك . ثم جاء طه حسين فأخذ عن هذا المستشرق فأخطأ هو أيضاً . يقول الأستاذ ساطع الحصري .

« واستبعدت كل الاستبعاد أن يخطئ الدكتور طه حسين في فهم مضمون مثل هذه الفقرات . وخطر ببالي أن أراجع الترجمة الافرنسية ، وعندئذ توصلت الى مصدر هذه الغلطة : ان المترجم الافرنسي لم يفهم معنى هذه الفقرة كما يفهمها كل عربي على أساليب لغته ... من أجل ذلك صرت أظن ظناً قوياً بأن الزعم (من عند طه حسين) بوجود تناقض بين ما جاء في مقدمة ابن خلدون وبين ما ورد في ترجمته عن كتاب الأغاني قد بدا لأحد الغربيين الذين يدرسون المقدمة من ترجمتها الافرنسية . وانتقل هذا الزعم منه الى الدكتور طه حسين حينما كان مشغولاً بكتابة أطروحته ؛ والدكتور أدخل هذا الرأي في كتابه من غير أن يراجع نصوص المقدمة وينعم النظر في معانيها ، ومن غير أن

ينتبه الى غلطة المترجم في هذه القضية . ولذلك وجه الى ابن خلدون هذه التهمة الجائرة التي تخالف الحق والحقيقة كل المخالفة » (ص ٥٨٨ — ٥٨٩) .

وهنالك تهم أخرى ، أو أكثر تفصيلاً ، وجهها الدكتور طه حسين ونفر قليلون آخرون من العرب لا يجوز أن نقف عليها طويلاً ، لأنها كلها لا تخرج عن الفلك الذي تدور فيه اتهامات الدكتور طه حسين نفسه . ولعل الانصاف في شأن ابن خلدون أن نقول ان طه حسين يمثل (أو كان يمثل على الأقل) « مدرسة ماسنيون » التي تقف جهودها على تحطيم مآثر العرب (ولعل طه حسين كان من طلاب ماسنيون) .

ثم ان الدكتور طه حسين ليس من أهل الاختصاص في الموضوع الذي تعرض له .

* * *

وإن مما يؤسف له ان في هذا الكتاب القيم أخطاء كثيرة أكثرها مطبعي وبعضها فقط ليس مطبعياً ، على أن هنالك أخطاء تشوه وجه هذا الكتاب أو تصرف المعنى من وجه الى وجه حتى يستغلق أحياناً . من أجل ذلك أحببت أولاً أن أسرد هذه الأخطاء ولكن وجدت أن سردها بالتفصيل يملأ عشرين صفحة على الأقل ، فاكتفيت بالتنبيه على أنواعها ، ولقد كان على « دار المعارف » أن يكون إشرافها على الطبع والتصحيح أحسن مما فعلت ، فان مثل هذا الاشراف كان يخفض هذه الأخطاء الى عدد يسير لا يكاد يخلو من مثله كتاب يطبع في البلاد العربية . ولكن بما ان الأستاذ ساطع الحصري « بغدادي الأسلوب » يطلب صحة المعنى ودقته من غير أن يلتفت الى جريان تراكيبه على المنهج البدوي القديم ، وليس ذلك بعيب كبير ، آثرت الاضراب عن استدراك « الأفصح والأمتن » اذا كانت الألفاظ والتراكيب تؤدي المعاني تأدية لا لبس ظاهراً فيها :

ا — الأعلام : لم يتقيد الكتاب بضبط الاعلام ، فالأعلام اليونانية مثل أثينة والاثينيون وثرموبوليس ترد أحياناً بالتاء المثناة من فوقها وأحياناً بالثاء

المثلثة (ص ١٨ ، ١٩ ، ٢١ الخ) . وكذلك يقول الكتاب باريس وبارس (ص ١١١ ، ١١٣) ثم برسوئه وبوسوئه (ص ٣٥ ، ٣٦) ثم افريقا وافريقيا وأفريقية . ثم هنالك تئوررور مكان تئودور (ص ٦٩) ثم عمر بن خلدون ، وعمر ابن خلدون ، ويحيى ابن خلدون (ص ٤٣) . وقال العطارد مرتين مكان عطارد (ص ٣٠) ، وصنريوس مكان سفروس Severus (ص ٢٤) ، وقال كتاب الموطأ لابن مالك مكان مالك بن أنس (ص ٧١) ، ثم نحص حرماجنة مكان نحص قرطاجنة (ص ٧٣) ، وقال من صلالة ابي النحص . والفاروق (ص ١٣٢) مكان من سلالة أبي حفص الفاروق (؟) ثم زنباغ بالغين المعجمة مكان زنباع (ص ٤١٢) ثم دهبوير مكان دهبور (ص ٢٠٨) ثم ناتانيل شميث بالتاء وبالثاء مرة بعد مرة (ص ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١٣) . ثم يقول هامر (ص ٣٤٩ ، ٢٥٠) وهامر بورشتغال (٦١٢) والصواب فيها كليهما هامر بورغستال . وهنالك أخطاء أخرى أيضاً .. ولقد كان الأولى أن تضبط هذه الأعلام ضبطاً صحيحاً . أما الصواب في لفظ الأعلام فلفظ أهلها لها ، فنحن نقول في اللغة الهولندية مثلاً دهبور في De Boer لا دهبوير . أما اذا لم يتمكن مؤلف من ذلك فالصواب أن يعتمد لفظ جميع الأعلام من لغة واحدة : اللفظ الافرنسي أو اللفظ الانكليزي مثلاً الا ما كان مشهوراً فيترك على شهرته وان خالف هذه القاعدة .

٣ — الألفاظ اللغوية . وهنالك أخطاء مطبعية كثيرة جداً نحو الحبابات بالحاء والصواب الجبابات بالجيم (ص ٢٧١) ثم يترع والصواب ينزع (ص ٣٣٧) ثم النصقة بالقاف وصوابها النصفة بالفاء ثم المناقسة بالقاف والصواب المنافسة بالفاء (٣٤٩) ثم مائلة والصواب مماثلة (ص ٣٢١) ثم عات وصوابها عادت (٢٤٦) وعشرات مما يمكن أن يعرف بتأمل قليل أو كثير . على أن هنالك أخطاء يجب التنبيه عليها لأنها تصرف المعنى من وجه الى وجه ، وبعضها قد يصعب

التفطن اليه لأنه مثبت في «الدراسات» وفي مقدمة ابن خلدون بصورة واحدة :

ص ٣٣١ : ندورها بالراء — الصواب ندودها ؟ بالدال .

ص ٣٦٩ : شكبهم بالباء الموحدة من تحتها — والصواب شكتهم بالتاء المثناة من فوقها .

ص ٣٨٧ : ويحرمون عن قتالهم — والصواب ويحومون عن (؟) .

ص ٤٠٦ : ضربت ، بالباء بنقطة واحدة من تحتها—الصواب ضريت بالياء المثناة من تحتها .

ص ٨٦ : وهؤلاء تلقوه بالتخفي (بالخاء المعجمة) — والصواب بالتحفي بالحاء المهملة .

ص ٨٩ : بيأى (؟)

ص ١٠٧ ليجبروا (؟)

ص ٤٠٨ : بالصريخ (بالحاء المهملة) — الصواب بالخاء المعجمة .

ص ٤٨١ : وانهم على اج (في المقدمة ٤٨١ أيضاً : على بج ؟) .

ص ٥٠٦ ينفسون — الصواب يقيسون .

هذه الأخطاء يسأل عنها المؤلف لأنها كلها أخطاء واردة في المقدمة ، وكان المنتظر من المؤلف أن يصححها ولكنه لم يفعل . ومن أغرب الأخطاء قول المؤلف : «ولم تشتعل المذنبات في السماء ...» (ص ٢٣) وهو يقصد طبعاً « الشهب » ثم هنالك « انتفاض » انتفضت ... بالفاء (ص ٩٣ ، ٢٤٨ ، ٣٤٥ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩) والصواب انتقاض الخ بالقاف . وكذلك « صيغة » بالياء المثناة وصوابها صبغة بالباء الموحدة (ص ٢٤٨) . ثم هنالك قوله « خيبة الفشل » (ص ١١٨) وهو يقصد « مرارة الخيبة » . ومثل ذلك « لا يخرج حرمها » (ص ١٣٥) مكان « لا يخرج من حرمها » . وقال السلطة المتفضية بالغين المعجمة (ص ٢٨٧) ولعله يقصد (المتعضية) بالعين المهملة . ثم هنالك الذكاء بالذال المعجمة (ص٤٢٧) والصواب بالزاي . ثم اللام (ص ٤٦٩) وهي الكلام ، ويحسنون (ص ٤٦٥) وهي يحسبون . ثم يجد (ص ٤٦٤) وهي يجيد ، ثم الكفاءة

(ص ٤٧٣) وهي الكفاية . ثم تصدمهم (٤٧٥) وهي تصدمهم . ثم شذا (ص٤٤٧) وهي شدا . ثم منتضباً بالباء الموحدة من تحتها (ص ٥١٨) وهي منتضياً بالياء . ثم هنالك غير ذلك من أمثال هذه الأخطاء التي يمكن أن ترد الى الاهمال في « تصحيح الملازم » .

٣ – التركيب : وكذلك تكثر أخطاء التركيب والنحو كاضافة مضافين الى مضاف اليه واحد ، نحو : بنقل وتلخيص ما قيل عنه . . . مكان بنقل ما قيل عنه وتلخيصه ، وهو كثير جداً . وكذلك قوله نفس السنة مكان السنة نفسها ، ومثل هذا التركيب أيضاً كثير . وقوله : وهو يقسم الى قسمين مكان بقسم قسمين . ومما لا يجوز إغفاله كثرة أخطاء النحو :

ص ١٤٢ : يجب علينا ألا « ننس » .

ص ١٥٥ : ان مقصود قدامة من كلمة العرب هو الأعراب « البدويين » .

ص ١٦٣ : « ثلاثة » طبقات .

ص ١٩٣ : ولم يأت شعب أفضل « ويستولي » على البلاد .

ص ٢٢١ : ان سكان البلاد الحارة « يكونوا » .

ص ٢٣٥ : أرضي أصحابها أم « أبى » .

ص ٣١٤ : أهل هذه الأقاليم « متأخرين » .

ص ١٠٢ : يتضمن كتاب التعريف « نصوص » عدة . . . و « خطاب وارد » .

ص ٣٨٧ : الا أن الآخرين « يكونوا » .

ص ٤٥٧ : ان لكل شيخ . . . اصطلاحات خاصة و « منهج خاص » .

ص ٤٧٦ : والسبب في ذلك أن أهل الملة « متفقين في القول . . . كما انهم « متفقين » . . .

ص ٤٨٢ : لو اقتصر « المعلمين » . . .

ص ٥١١ : فيكون خطة « قاصر » . . .

ص ٥٩٥ : وكل من يقرأ . . . « يز » . . .

وكذلك قال القدرية (ص ٦٢٢ و ٦٢٣) وهو يقصد الجبرية ، لأن الأصوب في مذهب القدرية انه مشتق من القدرة .

وهنالك أخطاء كثيرة يدركها المطالع بتأمل يسير ، ولكن مثل هذا الكتاب كان يجب أن يعرى عنها .

* * *

على أن هذا الكتاب قيم جداً . ولقد أدى الأستاذ الحصري فيه رسالتين عظيمتين : أولاهما أنه جلا عبقرية ابن خلدون وقدم للباحثين دراسة هي أوفى ما كتب في هذا الموضوع الى اليوم . وثانية تينك الرسالتين انه دافع عن التراث العربي دفاعاً حقاً . غير أننا نأمل أن تكون الطبعة المقبلة مبنية على جميع دراسات الأستاذ الحصري السابقة وحاوية لجميع ملاحظاته القيمة مقيدة الشواهد بصفحات الكتب .

ان كثيرين من عباقرة الفكر العربي لا يزالون بحاجة الى مثل هذه الدراسة الواسعة فعسى أن يتاح لهم ما أتيح لابن خلدون في هذا الباب .

الدكتور عمر فروخ

دار الحديث العروية

هي من المدارس التي كانت في الجامع الأموي . أنشئت في القرن السادس الهجري . تنسب الى سيف الدين محمد بن عروة المتوفى سنة ٦٢٠/١٢٢٣ . كان مكانها مشهداً توضع فيه الحواصل الجامعيّة ، ففتحه ابن عروة ، وبنى فيه بركة ، ووقف فيه على الحديث النبوي درساً ، ووقف أيضاً فيه خزائن كتب [١] .

وقد ورد اختلاف في النصوص التي تكلمت على دار الحديث هذه في تحديد مكانها .

فقد ذكر النعيمي ، المتوفى سنة ٩٢٧/١٥٢١ ، عند الكلام عليها : « انها بمشهد عروة بالجانب الشرقي من صحن الجامع قبلي الحلبية ، ويُعرف قديماً بمشهد علي » [٢] .

وذكرها مرّةً ثانيةً عند كلامه على التاجيّة فقال : « التاجية بزاوية الجامع الأموي الشرقية غربي دار الحديث العروية » [٣] .

وقد تبعه مختصروه ومن نقلوا عنه . فذكر ذلك العلموي في مختصر تنبيه الطالب [٤] ، والغزي في الكواكب السائرة [٥] ، وكردعلي في خطط الشام [٦] ، وتقي الدين في منتخبات التواريخ [٧] .

---

(١) انظر ابن كثير ، البداية والنهاية ١٣/١٠١ (القاهرة ١٣٥٨ هـ)
(٢) النعيمي ، تنبيه الطالب ١/٨٢ (دمشق ١٩٤٩)
(٣) المصدر السابق ١/٤٨٣
(٤) العلموي ، مختصر تنبيه الطالب ص ١٥ (دمشق ١٩٤٧)
(٥) الغزي ، الكواكب ١ : ٢٥٧ (بيروت ١٩٤٢) .
(٦) كردعلي ، خطط الشام ج ٦ : ٧٤ (دمشق ١٩٢٨)
(٧) تقي الدين ، منتخبات تواريخ دمشق ٣/٩٤٠ (دمشق ، لاتاريخ لطبع هذا الجزء) قال : لصيقة الجامع الأموي من جهة بابَ النيمرية وقد صارت داراً وتكية لكل من يتولى ذكر النقشبندية في الزاوية التي هي جانب الدار

غير أننا بعد البحث والاستقصاء تبين لنا أن ما ذكره النعيمي كان خطأً . وأن النصوص القديمة التي سبقت عصر النعيمي تخالف ما ذكره تماماً .

ففي القرن الثامن نجد ابن فضل الله العمري ، المتوفى سنة ٧٤٩ / ١٣٤٨ ، يذكر عند الكلام على مشاهد الجامع الأموي ما يلي :

« والغربي بقبلة مشهد على اسم عمر ويُعرف الآن بمشهد عروة ، وبه شيخ حديث وجماعة من العلماء يستمعون الحديث بوقف مستقل وعدة خزائن كتب وقف »[1] .

فنص العمري على نقيض نص النُعيمي . فالأول يذكر أن اسم المشهد على اسم عمر في حين أن الثاني يجعله على اسم علي ، والعمري يذكر انه في الغرب في حين يذكر النعيمي أنه في الشرق .

فإذا رجعنا الى نصوص القرن السابع ، وجدنا أبا شامة صاحب كتاب الروضتين ، المتوفى سنة ٦٦٥/١٢٧٦ ، يذكر أن هذا المشهد في غرب الجامع أيضاً[2] . فهذان النصان لا يدعان مجالاً للشك ، وخاصة أن أبا شامة كان معاصراً انشاء المشهد .

ويؤيد تخطيئنا النعيمي ما وجدناه أثناء مطالعاتنا في مخطوطات دار الكتب الظاهرية من سماعات قديمة في هذا المشهد ورد فيها تحديد لموقعه .

فالسماع الأول مؤرخ في سنة ٦٢٢/١٢٢٥ أي بعد سنتين من وفاة ابن عروة . وهو سماع على زكي الدين البرزالي العالم المحدّث ، ولهذا السماع شأن . فقد جاء فيه انه « سمع عليه جزءاً من الفوائد عن أبي العباس محمد بن يعقوب الأصم :

---

(١) العمري ، مسالك الأبصار ١٩٦/١ (القاهرة ١٩٢٤) .

(٢) أبو شامة ، ذيل الروضتين ، ص ١٣٦ (طبع باسم تراجم القرنين السادس والسابع ، القاهرة ١٩٤٧)

عبد الله بن محمد الزناتي ، واسمعيل بن عيسى بن رشيد الصقلي ، بقراءة علم الدين محمد بن أحمد بن محمد الاشبيلي ، وأبو موسى عيسى بن احمد المرسي ، ومحمد بن علي المدني الحجازي ، والفقيه محمد بن ابرهيم بن عياش الصنهاجي ، وهبة الله بن اسمعيل البعلبكي ، ومحمد بن عمر بن سلامة المعري ، وأيوب ابن مسعود بن صبح البغدادي ، وابرهيم بن اسمعيل بن ابرهيم المقدسي ، وفضل ابن سعيد البصراوي ، وعبد الرحمن بن أحمد بن حسن الهمذاني ، وعبد الخالق ابن شفيع بن عمار الكفركتي .

« بزاوية الشرف بن عروة ، غربي جامع دمشق المحروسة ، في رابع عشر ربيع الآخر سنة « اثنتين وعشرين وستماية » (1) .

فهذا السماع يحدّد لنا أن مشهد ابن عروة — ويسميه زاوية — هو في الغرب ، وليس في الشرق كما وهم النعيمي . والى ذلك يبين لنا ناحيةً أخرى تفيد في تأريخ النهضة العلمية في دمشق أيام الأيوبيين ، هي توارد الناس من جميع البلدان على دمشق لطلب العلم فيها . فالأشخاص الذين سمعوا جزء الأصمّ على البرزالي هم من أقطار مختلفة : من الأندلس ، وصقلية ، والمغرب الأقصى ، والحجاز ، وبغداد ، وفارس ، والشام . وهذا السماع يدل على ما كان لدمشق يومئذٍ من الشأن العلمي الكبير ؛ ويبين من ناحيةٍ ثانية شأن البرزالي نفسه .

وثمة سماع آخر وجدناه للجزء الثاني من الفوائد المنتقاة (2) عن الشيوخ العوالي

(١) جزء من الفوائد المنتقاة عن أبي العباس محمد بن يعقوب الأصم . مخطوط ، ظاهرية دمشق ، مجموع رقم ٢٨ ، الرسالة الخامسة ، ورقة ٥٦ آ

(٢) الثاني من الفوائد المنتقاة . مخطوط ، ظاهرية دمشق ، مجموع رقم ١٨ ، الرسالة العاشرة ، ورقة ١٧٢ ب

على الشيخ المسند نجم الدين ابي بكر محمد بن علي بن مظفر النشبي ، في سنة ١٢٨٧/٦٨٦ ، وفي آخره ما يلي :

«وصح وثبت في يوم الجمعة تاسع ربيع الآخر سنة ثمان وستين وست مئة بمشهد ابن عروة ، غربي جامع دمشق حرسها الله تعالى» .

فيتبين من نصوص المؤرخين الذين سبقوا النعيمي ، ومن السماعات التي كتبت في المشهد نفسه ، أن هذه المدرسة (أو الزاوية ، أو المشهد) كانت في الغرب من جامع دمشق ، وليس في الشرق . وأن النعيمي وهمَ - وفي كتابه كثير من الأوهام - عندما نقله من غرب الجامع الى شرقيه .

الدكتور صلاح الدين المنجد

تاريخ علم الفلك في العراق

وعلاقاته بالأقطار الاسلامية والعربية

(في العهد العثماني)

من سنة ٩٤١ هـ — ١٥٣٤ م الى سنة ١٣٣٥ هـ — ١٩١٧ م

— ٢ —

٣ — العهد الأخير في العراق

من سنة ١٢٤٧ هـ ١٨٣١ م — الى سنة ١٣٣٥ هـ ١٩١٧ م

في هذا العهد زادت الثقافة ، وقوي الاتصال بالترك في الهيأة الجديدة والعلوم المتعلقة بها ، ومراعاة ما حدث من تجدد كما يشهد بذلك وجود المؤلفات المتداولة بين ظهرانينا ، والعلاقة بهذه المعرفة الجديدة في مجلدات عديدة الا أن هذه المعرفة محدودة وغير مكينة في أصل الدولة فلا مجال للتمكن منها في العراق . وهو خالٍ من عارفين باللغات الغربية ، وليس لنا رصد ليميل القوم الى التحقيق العلمي . وان العراق في اشتغاله معروف . والواجب يقضي أن ندوّن ما جرى .

وفي هذه الحالة لا ينكر هذا الاتصال المحدود . وهذا قد يكفي صاحب المواهب أحياناً لتقوية ما هنالك . نشاهد الآثار في النشاط الجديد ولم نر تمكناً أو تضلعاً كبيراً . فان الأستاذ أبا الثناء الألوسي لم يقصر في هذه المعرفة ، وان علاقة ابراهيم فصيح الحيدري بالهيأة الجديدة مشهورة ، وتداول زيج حسين حسني معلوم كما أن البحث في الهيأة الجديدة وانها لا تنافي الاسلام مما جلب الأنظار اليها .

هذا كله يحتاج الى تفصيل بذكر العلماء المشتغلين وما قاموا به من تدوين آثار الا أننا نقول ان هذا الاشتغال في حالته الجديدة كان يراعى فيه الارتباط بالمخلدات السابقة في بدء الأمر ، ثم مال البعض الى الغرب وأخذوا رأساً منهم قبل أن يتمكنوا مما عندنا ، فانقطعت الصلة بالتاريخ وبالمصطلح . وكأننا أغفلنا ما عندنا أو عدنا لا نعرف أننا اشتغلنا قروناً كثيرة في هذا العلم وخلدنا آثاراً لا تحصى عداً بل الانتباه الأخير الى تاريخ العلم صار يأتينا من طريق الغرب . فكانت المعرفة مدخولة ومغلوطة . نشاهد ذلك في قاموس الرياضيات وفي (تراث العرب العلمي) وأمثالها من المؤلفات العلمية والتاريخية .

ومن علمائنا في هذا العهد :

١ — السيد كاظم الرشتي :

من المتوغلين في كتب الحكمة وله شرح غريب على رسالة الاسطرلاب للشيخ البهاء العاملي . وتوفي في ٩ ذي الحجة سنة ١٢٥٩ هـ . وهو رئيس فرقة الكشفية المشتقة من الشيخية . وله المكانة الرفيعة بين رجال طائفته . وهو من أهل كربلاء .

٢ — أبو الثناء الألوسي :

رأينا مدرسين عديدين لم يظهروا في التأليف . والكتب المدرسية لم تختلف عن سابق العهد الا أنها اقتصرت على شرح الچغميني لملخص الهيئة لقاضي زاده الرومي ، وأحياناً شرح السيد الشريف الجرجاني ، أو تشريح الأفلاك ، والصفيحة في الاسطرلاب للبهاء العاملي ولا تكاد تجاوز هذين الأخيرين .

والأستاذ الألوسي لم يقف عند حدود هذه المؤلفات ولا هذه المعرفة ، وانما مال الى مؤلفات عديدة من علمية ومدرسية . وراعى تقدم الفن في عهده ، ولم يقصر اشتغاله على ما اشتغل به أسلافه ، فنراه في مؤلفاته مثل الفيض الوارد ، والمؤلفات الأخرى لا سيما التفسير قد أبدى فيها قدرة علمية ، وجارى تبدل الفكرة وتطور الفن ، فكتب في تفسيره الشيء الكثير ، وبث في مؤلفاته تجدداً محسوساً كما أنه لم ينس آراء القدماء وما قالوا به .

وهذا لا يكفي في بيان صفحة من صلاته ، وانما أحاول أن أوضح ما قلت بايراد بعض النصوص من تفسيره أو من سائر كتبه لا فتح الطريق للمتتبع ، وأراعي الايجاز بقدر الامكان . فان وضعنا تاريخي في الاتصالات العلمية ، والعلاقات الغربية المهمة ... وهل كان ذلك من طريق الترك وهو الملحوظ أكثر أم من طريق الاتصال بالغربيين رأساً ؟ ومن المحتمل ان علاقته بالافتاء قد مكنته من الاتصالات بالسياسيين وزياراتهم والمباحثة معهم عما صار اليه الفن الجديد بل نرى علمه مكيناً من أيام داود باشا يدل على ذلك كتابه الفيض الوارد . ولا شك أن هؤلاء الأجانب لا يخلون أحياناً من المعرفة العلمية أو ذكر ما علموه من الاتصال بعلمائهم في الفلك والكل منهم عارف بالاجمال العلمي ...

بقي الاحتمال في طريق الأخذ . والألوسي قد تلقف مثل هذه المعرفة . وهي مكينة ، فاقتنص ما احتاج اليه مما لا يضطره الى وقت طويل . وكان الاحتكاك بأفاضل الترك مشهوداً . وبينهم من استكمل المعرفة العلمية دون التلقف من الأفواه والمعرفة العابرة وهذه سابقة الاتصال بالافتاء . ولا أطيل في الترجيح ، وانما أرجع الى معلومات الألوسي وأقتبس بعض المطالب منه لأمثل وضعه من هذا العلم ...

١ — في كتابه الفيض الوارد ذكر الشمس وأنها في السماء الرابعة على رأي الأقدمين . قال : ولا يكاد المحدثون يسلمون ذلك . ثم قال : وقد اختلف العلماء في مقدارها والمشهور أنها مثل الأرض مائة ونيفاً وستين مرة ... والذي ذهب اليه أهل الهيئة اليوم من الافرنج أن الشمس في وسط الكواكب التي تدور حولها ، وانها أعظم من الأرض بألف ألف مرة وثلثمائة وثمانية وعشرين ألف مرة ، وأن لها حركة على نفسها . وقد استنبط بعض علمائهم من تحول كلفها الذي يظهر على ظهرها ورجوعه في أزمنة مخصوصة أنها تدور على نفسها في ٢٥ يوماً و ١٢ ساعة . وجزموا بأن ليس لها حركة حول الأرض بل للأرض حركة حولها وأن الأرض إحدى السيارات . وهي عندهم :

عطارد والزهرة والأرض والمريخ ووصنه . وقد كشفها رجل منهم يقال له أوليوس في حدود سنة ١٢٢٣ هـ ، ويونون وقد كشفها رجل منهم يقال له هاردنق في حدود سنة ١٢٢٠ هـ ، وصريس وقد كشفها رجل منهم يقال له ياضي في حدود سنة ١٢١٦ هـ ، وبلاس وقد كشفها أولبوس. أيضاً في حدود سنة ١٢١٧ هـ والمشتري وزحل واورانوس وقد كشفها رجل منهم يقال له هرشيل في حدود سنة ١١٩٧ هـ . ولم يعدّوا القمر من السيارات بل من سيارات السادات . لأنه يدور حول الأرض دورانها حول الشمس ... الى آخر ما قال ...

وهذه معرفة من اطلع على الآراء في الهيئة الجديدة ، والتفصيل في الفيض الوارد[1] .

٢ — مضى في بحث التواريخ واستعمال الحروف للتعبير بها . وقد بسط القول في التواريخ ، فذكر العربي منها وفصل القول فيه ، وتكلم في النسيء . وما كان مستعملاً من التواريخ الأخرى . وذكر وضع التاريخ في الاسلام أيام عمر (رضي الله عنه) ، وذكر تاريخ العجم . ونقل أقوال السهيلي ، ويونس الحاكي ، وابن الشاطر ، وتكلم في التاريخ الرومي . ويسمى أيضاً بالسرياني ونقل قول صاحب المنهاج وهو (ابن البناء) ، وقول (الصوفي) في زيجه . وهكذا ذكر ما في المبادي والغايات يريد (جامع المبادي والغايات) . نقل ذلك عن السهيلي . ثم ذكر تاج الأزياج لابن أبي الشكر . ونقل عن زيج أولوغ بك وسمى زيجه هذا بسلطان الأزياج . وقال : اعتمده العلامة (محمد بن محمد بن سليمان المغربي) في منظومته ، وعين التاريخ الشمسي ...

ثم استمر الآلوسي بتفصيل ما هنالك وقال :

وللمغاربة والافرنج شهور أخر ممن يستعمل هذا التاريخ مخالفة لهذه الأسماء والمبدأ ، ويسمونها بأسماء عجمية وتبدأ من يناير ، فبراير ... ووسع بحثه في التاريخ الميلادي ومال الى التاريخ القبطي ، ونقل عن البيروني ما يؤرخون به ...

(١) الفيض الوارد ص ١٧٠ . وفي كتاب (بسائط علم الفلك) جاء التفصيل مع ذكر اسماء المكتشفين بضبط تام .

وهكذا ذكر التاريخ الفارسي ، ثم فصل التاريخ الملكي وهو الجلالي ، نسب الى السلطان جلال الدين (ملكشاه) ابن الب أرسلان السلجوقي . . . وبيّن تواريخ عديدة حتى قال :

وبالجملة الكلام كثير في هذا المقام قد أفرده بالتأليف جماعة من العلماء الأعلام ولولا خروج الكتاب عن موضوعه لأتينا بما يسرّ الناظر ويبهج الخاطر[1] . . .

ويدل على تمكنه وسعة اطلاعه أنه لم يفلت العلاقة بالماضي مع مراعاة التجدد العصري . ولو رجعنا الى تفسيره روح المعاني لرأينا العلاقة أعظم والمعرفة أقوى والتفصيل أجل نفعاً . . . والعلاقة كبيرة بالهيئة الجديدة .

وهذا يبصرنا بأن علماءنا لم يغفلوا تطور العلوم والتجدد فيها . وكان الأستاذ الآلوسي من أول المشتغلين في ابداء ما جرى من تحول في هذا العلم .

توفي في ٢٥ ذي القعدة سنة ١٢٧٠ هـ — ١٨٥٤ م .

٣ — ابراهيم فصيح الحيدري :

كان عالماً أديباً ومؤرخاً . ومن مؤلفاته في الفلك :

١) رسالة في تطبيق الهيئة الجديدة على بعض الآيات والأخبار . كتبها باللغة العربية وطبعت في المطبعة العامرة باستنبول في ٣٦ صفحة بالقطع الصغير سنة ١٢٩٢ هـ . كان كتبها باقتراح من أحمد جودة باشا وذكر فيها السلطان عبد العزيز ومدح أيامه . وكان ذكر في مقدمتها ولقد صدق في قوله : ان ما في القرآن من الآيات لم يكن نزولها على وجه التعليم لهيئة من الهيئات (القديمة والحديثة) . لأن ذلك بمعزل عن حكمة النزول من تبليغ الأحكام . هذا ما قاله ، والكتاب الكريم يعين عظمة السماوات والأفلاك والنجوم والشمس والقمر للاستدلال عليها بالقدرة الخالقة المبدعة ، وفي كل من المبحثين تحصل

(١) الفيض الوارد ص ٢٥٨ مع العلم بأن الأستاذ الألوسي كتب كتابه هذا وأتمه في المحرم سنة ١٢٤٥ هـ مما يدل على قدم اشتغاله قبل ان يتولى الافتاء .

الغاية ، والهيئة الجديدة أظهرت نظـام العظمة أكثر وبصرت بالقدرة التي لا نهاية لحدودها .

وتطرق الى مباحث عديدة من اعتراضات وأجوبة وتطبيقات وهذه لم تخرج عن نقل ما قيل في التفاسير وليس فيها ما يدعو الى المعرفة . وهي على صغرها لا تخلو من فائدة ومن بعض توجيهات .

٢) امعان الفكر في الهيئة الجديدة ، وهذا ألفه قبل سابقه وفيه بيّن منشأ العلوم الحكمية وتفصيل المذاهب في الهيئة ، ونقل منه في رسالته الأولى بعض ما يتعلق بموضوعه ، ولم أر هذا الكتاب الا أنه نقل ما جاء من اعتراضات على الهيئة القديمة وخص بها ماهنالك ، والملحوظ انه نقل عن التحفة للقطب الشيرازي وسماه أبا اسحق الشيرازي غلطاً .

٣) شرح تشريح الأفلاك ، والأصل للبهاء العاملي ذكره في عنوان المجد بين مؤلفاته ، وسماه (فك الاشتباك في شرح تشريح الأفلاك) .

٤) امعان الألباب في الاسطرلاب ، وهذا أيضاً ورد ذكره في عنوان المجد .

٣ — حسين البشدري :

ويقال (پژدري) كما ينطق بها ، كان من مدرسي مدرسة الإمام الأعظم . ولد سنة ١٢٢٦ هـ ، وهو ابن الملا عبد الله ابن الملا محمد الخضري ابن ملا خضر وهو من پيشدر من قبيلة (نور الديني) . ولد في پيشدر ، وتوفي في ٣ شوال سنة ١٣٢٢ هـ في الأعظمية من بغداد وهو صاحب شرح تهذيب الكلام .

وله من المؤلفات في الهيئة :

١ — شرح تشريح الأفلاك ، لم يطبع ، قرّضه أبو الثناء الآلوسي والسيد محمد أمين البرزنجي وتقاريضها في حديقة الورود (ص ٦١٥ و ٦١٦) ، ولا يحاكيه شرح .

ونعته السيد نعمان خير الدين بقوله : من أفاضل أذكياء الأكراد وصلحائهم الواردين الى بغداد وتفصيل نعوته في الحديقة .. وأول الشرح : الحمد لله

الذي خلق السموات والأرض ، وجعل الظلمات والنور ... ونسخته لدى أحفاده .

وتوفي في ٣ شوال سنة ١٣٢٢ هـ .

٤ — جبرائيل يوحنا أصفر الكاثوليكي البغدادي ، وله :

١ — كتاب الأبحاث العليا في علم الفلك وهيئة الدنيا ، طبع بمطبعة اليسوعيين في بيروت سنة ١٢٩٢ هـ — ١٨٧٥ م .

٥ — غلام رسول المندي .

كان عالماً في الفلك يدرس كتب الجادة فيه خير تدريس ، يميل اليه الطلاب لمعرفته لا سيما شروح الملخص في الهيئة .

توفي سنة ١٣٣٠ هـ ودفن في الشيخ معروف بجانب الشيخ أحمد السويدي الأخير المتوفى سنة ١٣٢٥ هـ .

٦ — الملا أبو بكر المدعو كوچك ملا الاربلي :

من العلماء الأفاضل في اربل وكان مدرساً في جامع القلعة وله مكانة علمية وأدبية . وله :

١ — الربع المجيب ، وسماه (الفوائد الحسنية) .

أوله : نحمدك يامن تزلزل عن ادراكه ادراك العقلاء . الخ .

٧ — هبة الدين السيد محمد علي الشهرستاني :

من العلماء المجتهدين من رجال الشيعة . وله :

١ — الهيئة والاسلام ، طبع ببغداد سنة ١٩١٠ م ونقل الى اللغة الفارسية وطبع في ايران .

والمؤلف لا يزال من الأحياء ، ومن أهل العلم والفضل في ثقافات عديدة .

وكان يصدر مجلة (العلم) .

ومن المشتغلين في الفلك والتقويم خاصة الأساتذة المرحومين (مصطفى امام الجيش) .

وهو عم الأستاذ عبد العزيز ماجد عضو محكمة تمييز العراق و (محمد درويش) الكاتب الأول في محكمة شرعية ببغداد سابقاً ، ولهما معرفة بتجددات العصر .

تكوُّن الهيئة الجديدة في العراق

من حين تأسست المدارس العسكرية والاعدادية الملكية صارت تدرس الهيئة والرياضيات في مدارس الدولة ، وغالب من تمكن منها ضباط الجيش . نبغ منهم كثيرون ومنهم من تولى التدريس في العراق وفي اسطنبول . ومنهم من كان محباً للبحث والمعرفة ، ولا محل للاطالة بذكر أسمائهم .

تخرج هؤلاء من المدرسة الحربية وعرفوا بالرياضيات والفلك ، ومنهم من له آثار في الرياضيات مثل أمين فيضي ومحمود شوكة باشا .

٤ — علم الفلك في الدولة العثمانية

ظهر في الدولة العثمانية أكابر في الفلك ، اشتغلوا في رصد أولوغ بك مثل قاضي زاده الرومي ، وعلي القوشجي ، وميرم چلبي ، وهؤلاء وأمثالهم أسسوا ثقافة في الفلك بعد أن كان غذاؤهم مؤلفات السلاجقة ، ومن جهة أخرى تمكنوا من تأليف أساطيل في البحر الأبيض المتوسط ، وفي البحر الأحمر (بحر القلزم) للاتصال بالمحيط الهندي ، فتقدم عندهم (علم البحار) كما تقدم (علم الهيئة) .

من ثم مزجوا بين العلم والعمل ، وان الثقافة الفلكية المتصلة بالجغتاي (آل تيمور) كانت من أهم طرق المناصرة لهذا العلم فان أولوغ بك استخدم علماء الأناضول ، وكانوا متصلين بهذا العلم من أيام السلاجقة الروم ، وبذلك الاتصال تمكنوا من علم الفلك ، وبقي زيج أولوغ بك معروفاً عندهم ، ومؤلفات الچغميني ، وقاضي زاده الرومي ، وعلي القوشجي ، وميرم چلبي متداولة بينهم ، وظهرت مؤلفات أخرى .

كل هذا كان معروفاً عندهم قبل أن يفتح العثمانيون بغداد سنة ٩٤١ هـ . وبعد الفتح عرفنا (پيري رئيس) و (سيدي علي رئيس) وجماعة من المتضلعين في (علم البحار) ، فاستقرت المعرفة . كانت الهيئة المتداولة معروفة ومنتقلة الينا

من أيام العباسيين والمغول والتركمان بتوسع قلَّ أو كثر ، والجديد فيها (علم البحار) وظاهرة أخرى أن الترك العثمانيين كتبوا بلغتهم مؤلفات الا انهم كالايرانيين لم ينقطعوا من العربية لسان العلم والثقافة بضروبها ، جرى ذلك بأمل المعرفة والاتقان .

وعندنا شاعت بعض المؤلفات التركية المكتوبة باللغة العربية مثل (ملخص الهيئة) للجغميني ، وشرح قاضي زاده ، وشرح السيد الشريف علي الجرجاني ، وعلي القوشجي ، وصارت تدرس عندنا فاكتسبت رواجاً واستقرت في (كتب الجادة) ، وأعتقد ان هذا الانتشار كان من أيام أولوغ بك فمن بعده كما تداولت الثقافة بعض ما كتب أيام المغول ...

ويهمنا الاتصال بعلم البحار ، وهو علم جديد انتشر لدى العثمانيين . وهذا اتصل بثقافة العرب في سواحل خليج فارس والبحر المحيط الهندي ، وما يتصل بهما كالبحر الأحمر .

وهذه علاقة حياتية أكثر من العناية بأمر الطالع وما فيه من سعد ونحس ، ولم نر اهمالاً لهذه الجهة أيضاً بل لم تترك في وقت ... والعلوم تجددت بما حصل من انتباه ، وما زاد من عناية ، والترك العثمانيون لم يقصروا في المعرفة ، وكان انتباههم الى مؤلفات العرب في علم البحار كان قبل أن ينتبه الغرب اليها . وبواسطة الترك نقلت الى الألمانية نقلها الأستاذ همّر بترجمة كتاب (محيط) لسيدي علي رئيس ، وأعلنت هذه الترجمة عن ثقافة العرب واهتمام الترك بها ، وعرفت العلاقة بهذه العلوم .

ويهمنا أن نقول ان علم الفلك بعد سيدي علي رئيس لم يتقدم بل أصابه الخمول الذي عمَّ الشرق بسبب الحروب الطاحنة المتواليه بين أهليه ، ومن ثم اقتصر على المؤلفات السابقة وحدها ، وفي هذه الحالة لا نستطيع أن نعدَّ فلكياً معروفاً وان كان لقب (منجم باشي) أي رئيس المنجمين الأول والثاني مشهوداً وموجوداً في تشكيلات الثقافة الفلكيه للدولة .

ولا ننس الموقتين في بعض الجوامع ، فقد ظهر بينهم أكابر . والمطلوب الانتاج ، وهذا لم نره الا قليلاً ، لا سيما في تاريخ هذا العلم ، كان تقدم هذا العلم والفضل في تكامله الى الرصدات وتحقيقاتها ، والاتقان الذي صحح أزياجها ، فالفرق لا يظهر في مطالع النجوم الا في عصر أو أكثر ليعلم التفاوت .

ولا شك أن المثابرة على التدريس وحده للمعرفة الفلكية ولد جموداً ، واقتصر فيه على ايضاح بعض الكتب المدرسية ، ولا تخلو من تأثر بكتب الدرس القديمة مثل ملخص الجغميني وشروحه وحواشيه الا اننا نشاهد (كتب البهاء العاملي) صارت تحتل مكانة ، بالرغم من المقارعات الحربية . وفي كل هذا العهد لم نشاهد تجدداً في علم الفلك ، وبقيت القدرة العلمية مقصورة على التدريس .

وعلماء الفلك في هذا العهد انحطت مداركهم أو احتفظوا بالموجود أو بالمعرفة السابقة ، ولم نر فيهم ما يلفت الأنظار ، ومؤلفاتهم في العربية مرة وفي التركية أخرى .

دامت الحالة في الفلك على ما كانت عليه الى أيام تأسيس (المهندسخانه) وهي كلية مهمة في الهندسة خدمت العلوم الرياضية والفلك الا أن الاشتغال مشى باطراده ، تغذيه المؤلفات السابقة وهي ثروة ثقافية عظيمة ، وأكبر عمل في هذا العهد ان التفت العثمانيون الى ثقافة الأمم ، فنقلوا (الأزياج) من الغرب ، ووعوا ما كان معروفاً عندهم والملحوظ أن السلطان سليماً الثالث قدم الى المهندسخانة البرية أجل اسطرلاب قديم بقطر ٨٦ مليماً وفيه خمسة ألواح وخطوط كوفية . قال الأستاذ صالح زكي ان الاسطرلاب لم يتقدم بعد الألف عند العثمانيين وغيرهم ولم ينل الاتقان المألوف عند قدمائنا ، وعدّ جملة من هذه الاسطرلابات [1]

(١) قاموس الرياضيات ص ٣٠٩ .

نقل الأزياج الغربية

كان هولاكو قد جمع ثلة من العلماء برئاسة الخواجة الطوسي فتمّ بناء الرصد في مراغة ، وعمل الزيج الايلخاني ، وجرى العمل به مدة فتبين النقص فيه ، فقام أولوغ بك بعمل الرصد في سمرقند ، ورتب الزيج الأولوغ بكي ، وهذا دام العمل به مدة وجرى فيه اصلاح ، ثم توجه نقد عليه من علماء عديدين الا انه لم يعمل رصد لتحقيق التفاوت والتثبت من صحة الزيج بسبب اهمال الأرصاد ومرور زمان طويل عليه أكثر من المدة التي مضت على الزيج الايلخاني ، والتفاوت لا يظهر سريعاً من جراء انه يحتاج الى الحساب ولا يتبين ذلك بالنظر للآلات الموجودة آنئذ . وانما يتحقق بمرور قرن أو أكثر .

لم يهدأ الاشتغال في الفلك الا أنه تحول الى مواطن الرغبة ، فان الغرب بذل الأموال العظيمة لبناء أرصاد ، كان أسس رصد باريس سنة ١٦٦٧ م – ١٠٧٧ هـ أيام الملك لويس الرابع عشر . وكان كاسيني (جان دومينيك كاسيني) مديره الأول ، وصار الزيج الكاسيني هو المعتبر . وتوفي كاسيني سنة ١٧١٢ م ثم خلفه ابنه جاك (١٦٧٧ م — ١٧٥٦ م) . ثم جاء لالاند (١٧٣٢ م — ١٨٠٧ م) فصحّح (الزيج الكاسيني) ، وأما رصد لندن في غرينويج فقد أسس سنة ١٦٧٥ م أيام الملك شارلس الثاني ، والغربيون تعاونوا على تحقيق الأزياج . وفي أميركة شاع الرصد أيضاً ، وزادت العناية به كثيراً .

والعثمانيون رعوا علم الفلك ، وان اسماعيل الجناري من رجال القرن الثاني عشر ومن أكابر الفلكيين ، نقل الزيج الكاسيني الى التركية باسم (تحفة بهيج رصيني ترجمه زيج قاسيني) .

وهذا يحتاج الى توضيح ، وذلك أن السلطان أحمد الثالث في أواخر سنة ١١٣٢ هـ أرسل الى لويس الخامس عشر يكرمي سكز جلبي وهو محمد افندي بسفارة ، وطبعت سفارته مؤخراً ، وكان هذا الفاضل ذهب الى رصد باريس

ورصد الأجرام السماوية في النظارة المقربة (التلسكوب) ، وكان مدير الرصد آنئذ جان كاسيني ، فبحث معه حول الأزياج في الدولة العثمانية وحول علم الهيئة . فقدم جان كاسيني نسخة من زيج والده دومينك كاسيني ولم يطبع بعد قدمها هدية الى محمد أفندي ؛ ومن ثم دخل هذا الزيج الجديد البلاد العثمانية .

ثم ان السلطان مصطفى خان الثالث أمر بنقله من الفرنسية الى التركية ، فكان ذلك نصيب اسماعيل الجناري ، ويقال له (خلفه زاده) نقله الى التركية امتثالاً لأمر السلطان سنة ١١٨٤ هـ فقام هذا الزيج مقام زيج أولوغ بك ، ونقل جداول اللوغارتمه فألحقهـا به ، فحلت محل الحسابات الفلكية الستينية ، وسمى جداول اللوغاريتمة بـ (الجداول النسبية) ، فكان ذلك أول نقل للزيج الغربي واللوغاريتم ، ومن هذا الزيج المترجم نسخة بخط مترجمه مؤرخة في سنة ١١٨٦ هـ وصلت شراء من تركة ميرزاده قويم الى ولي الدين افندي وصارت الى الأستاذ صالح زكي الرياضي المعروف ، ولا ندري مصيرها .

ومما عرف ان مؤرخ الرياضيات مونتوكلا قد ذكر سنة ١١٨٠ هـ من الجلد الأول من كتابه تاريخ الرياضيات أن السلطان مصطفى الثالث طلب من البارون طوت Tott من المجمع الفرنسي ارسال بعض الكتب الرياضية ، فأرسل اليه بعض الكتب ومنها (زيج لالاند) كما صرحت بذلك سجلات المجمع ، وكان من بين الكتب المرسلة لوغاريتم . وفي تاريخ واصف طلب بعض الكتب من فاس في الاختيار بأن تجمع له من المغرب أي للسلطان المشار اليه ، هذا ما أمكن تلخيصه من قاموس الرياضيات .

ومن الزيج القسيني باللغة العربية جاء ما نصه : الزيج القسيني المعتبر نبغ في عصرنا نزهة زمانه وفريد دهره (كذا) وهو الرصد الجديد المرصود في مدينة باريس كرسي المملكة الفرنساوية ، وقد انتطف بعض الفقهاء من أصل نسخة كتابه الكبير فقط صنفه تقويم النيرين والخمسة كواكب المتحيرة وعمل الاجتماع والاستقبال وترجم من الفرنساوية الى التركية في مدينة القسطنطينية السلطانية وحول الرصد

اليها وفي أغسطوس سنة ١٢٦٠ ترجم ذلك الى اللغة العربية في مدينة حلب الشهباء وقد وصفنا تحويل ذلك الزيج الى حلب تحت جداول استخراج التواريخ ٠

ولم يتعين ناقله الى العربية ، وهذا موجود في الخزانة الظاهرية برقم ٤٣ فلك ، وبعد ذلك تمكن هذا العلم في بيروت في الكلية الأمريكية على يد كرنيليوس فانديك في كتابه قبة السماء ، وأصول الهيئة وغيرها من مؤلفات ظهرت ٠٠٠

ثم جاء حسين حسني مؤمن زاده من مشاهير الرياضيين فنقل الى التركية (زيج لالاند) ، وكان هذا أيضاً من مشاهير الرياضيين ، ومن ثم تعينت العلاقة ، وتبينت ماهية الاشتغال نوعاً ، وهذا الزيج الأخير كتبه مؤلفه باللغة التركية ، وعندي نسخة مخطوطة منه ٠ أوله : حمدا نجم شمار ٠٠٠ قال في مقدمته : ان الأعمال الحسابية والأمور العقلية تزداد كمالاً وتقدماً يوماً فيوماً فتصل الى أوج الكمال ، وان مطالع الصنائع البديعة لا تزال تصل الى نهاية من التحقيق وتتكامل الى غاية عظيمة من الاتقان ، وان الزيج الشهير المأخوذ أيام (أولوغ بك) كان من أتم ما وصل اليه المتقدمون ، فاشتهر فهو أكمل من غيره ولكنه لا يخلو من نقص في آلاته الرصدية ، فكان قد ظهر عليه النقص ، وبدا الاهمال ، فتبين الخطأ في زيجه بعد حين وظهر الخلل في ضبطه وان (زيج قسيني) أزاح الستار عن فرق عظيم فيه ، وتبين بجلاء ، ظهور فروق نحو ساعتين من الزمن عندما تقيس دخول الشمس في نقطة الحمل ، وهكذا في الكسوف والخسوف ، فنرى التفاوت بنحو ساعتين بين حلوله وتاريخ ضبطه ، وهذا مشاهد رأي العين ٠ فقطع أرباب هذا العلم ببطلانه ٠ فكان (زيج قسيني) مرجحاً عليه من كل وجه ٠

وهذا الزيج بمرور الأزمان عاد غير متقن من كل وجه ، فجاء لالاند الراصد الفرنسي الشهير بالفلك في باريس فبيّن خطأه ، وأوضح تخلفه الجزئي ، فاستبان عياناً ، فعدّل فيه سنة ١٨٠٠ م — ١٢١٤ ﻫ[1] ٠ فثبّت التخالفات الرصدية ،

(١) وهذا التاريخ لا يتفق مع تاريخ اعطاء نسخة منه الى الدولة العثمانية سنة ١١٨٠ ﻫ فالتفاوت ٣٤ سنة ٠

واتخذ مركز قرص الشمس أصلاً ، فصار الضبط أكمل ، وعدّ هذه التخلفات بالمائة السنوية (تخلف صدساله) فوضع ضبطاً لهذه التخلفات عن كل مائة سنة وصح أن تسمى بالتخلفات بالرصدية ، وبذلك تمكنت التدقيقات العلمية من تعديل التقاويم الفلكية فكانت أقرب الى الصحة ، وصار بعدّ هذا الزيج (بالزيج الخالد) الذي لا يطرأ عليه خلل ولا يحتمل التخلف فيه ولا في المطالع . ولا ينكر الاتقان ، ولا التخلف الجزئي في كل حالاته ، فهو عرضة للاصلاح دوماً ، ولا شك ان اتقان الآلات مما مكن من اتقان للرصد ، ومن ثم اتقان الأزياج .

وهذا الزيج نقله الى التركية وبدّل أرقامه الى أرقام اسلامية ، وبذلك وبعد انتهائه قدمه الى السلطان محمود ابن السلطان عبد الحميد[1] . ونعت نفسه حين تقديمه-بحسين حسني المنجم الثاني ، فكتب هذا الزيج الجديد ونقله الى اللغة التركية ، واتخذ عاصمة الفرنسيين باريس مبدأ خط نصف النهار وقسمه الى ستة أبواب[2] . . . .

هذا ما جاء ملخصاً من الزيج نفسه ، وفيه بيان تاريخ الزيج عند العثمانيين . والملحوظ أن صاحب (عثمانلي مؤلفلري) بين ان المؤلف من عهد السلطان عثمان والسلطان محمود الأول ، فعدّه من رياضيي ذلك الزمن ، وذكر له من المؤلفات (مرآة القلوب) ، ومنه نسخة في خزانة تكية يحيى أفندي في بشكطاش . وقال انه من أهل استنبول ، ومن موظفي المالية ، نقل (زيج لالاند) الى التركية ووسعه فجعله في ستة أبواب[3] وأعتقد ان المؤلف لم يكن من عهد السلطان عثمان والسلطان محمود الأول فقد جاء أنه كتبه أيام السلطان عبد الحميد وصوابه السلطان محمود ونقد (زيج قاسيني) ، وبين تاريخ سنة ١٨٠٠ م زمن

(١) ورد ان السلطان عبد المجيد بن السلطان عبد الحميد . وهذا ليس بصواب . فقد ذكر السلطان عبد المجيد بدل السلطان محمود بن السلطان عبد الحميد سهواً كما يظهر .
(٢) ملخص ما في مقدمة الزيج المذكور .
(٣) عثمانلي مؤلفلري ج ٣ ص ٢٦٠ .

تعديل الزيج القاسيني من لالاند[1] . فجاء مكملاً لما قام به من كان قبله من رجال العثمانيين .

ويؤيد ذلك الرجوع الى ترجمة (اسماعيل الجناري) المعروف بـ (خليفه زاده) ، ومن أوائل أيامه صار مظهر توجه السلطان مصطفى الثالث ، وصار موقتاً في جامع (لاله‌لي) ، وهذا الفاضل كان أمره السلطان مصطفى أن يترجم (زيج قاسيني) فنقله الى التركية بتوسع في ١٠٤ فصلاً وسماه .(تحفه بهيج رصيني ترجمة زيج قاسيني) . وحسين حسني أول من نقل (زيج لالاند) ووضعه في موضع العمل ، وترجم المجلد الأول من كتاب (استرونومي دولالاند) أي هيئة لالاند . وهو في ثلاث مجلدات نقل الأول منه وسماه (زيج لالاند) ، ونقل أرقامه الى حروف أبجدية ، ومنه نسخة لدى أحمد ضيا ، قال ذلك صاحب (عثمانلي مؤلفلري) ، وجاءت ترجمته موسعة في (قاموس الرياضيات) للأستاذ صالح زكي من رياضي الدولة العثمانية .

وهذا ما يجعلنا نميل الى أن حسين حسني (مؤمن زاده) هو الذي قام بما قام به من ترجمة الزيج المعروف باسمه أعني (زيج حسين حسني) بالوجه المبين . وان (زيج لالاند) هو المترجم من حسين حسني نفسه وكان الى سنة ١٢٣٦ هـ . وجاء ابراهيم بك (طوارق باشا زاده) فشرح زيج قاسيني وذيل عليه من سنة ١٢٣٧ هـ الى سنة ١٢٤٠ هـ باسم (تسهيل زيج قاسيني) ، ونقل فن (المثلثات) من الافرنسية ، وله (رسالة في الارتفاع) رتبها على ستة أبواب ، وكان منجم باشي (رئيس المنجمين) في الدولة العثمانية ، توفي سنة ١٢٤٦ هـ ، وترجمته في عثمانلي مؤلفلري .

وهنا لا نغض دون الاشارة الى أن (زيج حسين حسني) جاء بعد (تحفه بهيج رصيني) وجاء التسهيل ذيلاً عليه . والنسخة الموجودة عندي من زيج

(١) في هذا التاريخ ما يخالف تاريخ سنة ١١٨٨ هـ الذي تقدم فيها زيج لالاند أو أنه اكتسب الشكل الأكمل سنة ١٨٠٠ م . فليتحقق ؟ !

حسين حسني تداولتها الأيدي في بغداد ملكها محمد افندي الخشالي، ثم محمد درويش أفندي الكاتب الأول للمحكمة الشرعية الأسبق ، وكان رحمه الله تعالى فاضلاً في التقويم .

هذا وكان أول من ترجم الكتب الفنية من لغات أوربا (الخواجة اسحق أفندي) وكان موفقاً في وضع المصطلحات العلمية وتعيينها ويعد رئيس الناقلين من اللغات الأجنبية وإمامهم، وكان باش خواجه في المهندسخانة البرية أي رئيس الأساتذة . وتوفي سنة ١٢٥٠هـ[١] . والفضل لمؤسسة المهندسخانة المذكورة ، فانها مكنت العلوم الرياضية في المملكة ، وظهرت مؤلفات جمة في هذه العلوم ، وحصل تجدد عظيم فيها ، ولم يبق القوم على الكتب القديمة ، وانما انصرفوا الى معرفة ما تجدد منها ، والعلوم يجلوها الاشتغال . ومن المهم الاشارة الى أن العلوم العملية للحرب وما ماثل تستند الى هذه ، ووضعت فيها مؤلفات عديدة . كما أن العلوم البحرية الحربية تستند الى عين المستند .

والى تاريخ تكون المهندسخانة كانت العلاقة بالعلوم العربية في الهيئة كبيرة ، وكانت الترجمة من هذه اللغة مستمرة ، وأصل الدراسة باللغة العربية نفسها مشهودة الا أن الوجهة تغيرت بتأسيس هذه المدرسة ، وان بغداد لم تقصر في علوم الأوائل ، كما أن الرغبة العلمية جعلت العراقيين يميلون الى هذه المؤلفات الحديثة ، فتحولت العلوم الى مواطن الرغبة ، وكان الترك العثمانيون قد مالوا الى الأخذ من هذه العلوم من أهلها . وكانوا على علم من الفلك القديم وسائر العلوم الرياضية ، ونعم ما فعلوا ، ولا تزال نرى النقص ، ولم تتكامل المعرفة في الشرق كله ...

وهؤلاء أشهر من عرفوا :

١ — اسماعيل الچناري :

كان في أيام السلطان مصطفى الثالث (١٦ صفر سنة ١٢٧٢ هـ — ٨ ذي القعدة سنة ١١٨٧ هـ) ويعد من أكمل المنجمين ، وله من المؤلفات :

---

(١) ترجمته ومؤلفاته في عثمانلي مؤلفلري ج ٣ ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

١) تحفة زيج رصيني ترجمة زيج قاسيني ، ويعرف بزيج قاسيني ، وسماه صالح زكي بـ (زيج لالاند) وليس بصواب ، فان (زيج لالاند) يأتي ، وهو غيره .

٢) رسالة في تأخر الغروب عن الوقت المستخرج بالمواقيت المستعملة في أيدي الناس .

توفي بعد سنة ١٢٠٣ هـ .

٢ — اسماعيل الكلنبوي :

جاءت ترجمته في قاموس الرياضيات بصورة مفصلة (ص ٣١٨ ج ١) ، كان من رياضيي الدولة العثمانية المشاهير ، ولد سنة ١١٤٣ هـ في كلنبه وعرف بالنسبة اليها ، وأصل اسمه اسماعيل ، وهو من بيت علم ، ولي التدريس سنة ١١٧٧ هـ وكان قد نال قبولاً من السلطان سليم الثالث فأنعم عليه مولوية بكيشهر سنة ١٢٠٤ هـ ، ويعد خاتمة العلماء في الرياضيات القديمة ، وفي أيام السلطان عبد الحميد الأول وصدارة خليل باشا دخل في المهندسخانة البحرية بصفة مدرس للرياضيات .

ومن مؤلفاته :

١) كتاب الجبر .

٢) شرح اللوغاريتمة ، شرح به رسالة كانت متداولة .

٣) رسالة في المثلثات .

٤) كتاب المراصد .

وتوفي سنة ١٢٠٥ هـ [1] .

٣ — سليمان مقامي :

كان كاتب الديوان ، وتوفي سنة ١٢١٠ هـ . وله من المؤلفات :

١) زيج قاسيني ، حوّل فيه سنيه الميلادية الى هجرية ، ونقل طول باريس

(١) تفصيل ترجمته في قاموس الرياضيات ص ٣١٨ — ٣٢١ .

الى طول استنبول وسماه (زيج جديد خلاصة غرا) .

٢) مرآة السماء ، تركي .

٣) رسالة الارتفاع .

٤ — السيد مصطفى بن أبي بكر :

كان ماهراً في الرياضيات مهارة كبيرة ، وهو ممن دخل كلية الهندسة أيام السلطان سليم الثالث ، وهو خطاط أيضاً ، ولا يزال حياً في سنة ١٢١٠هـ .

وله من المؤلفات :

١) فن الحرب ، كتبه باللغة الفرنسية .

٥ — حسين حسني : من رجال الفلك المعروفين . وله :

١) الزيج المسمى باسمه (زيج حسين حسني) ، انتقد الأزياج السابقة . ومنها زيج أولوغ بك وزيج قاسيني ومدح (زيج لالاند) ونقله الى التركية . ثم كتب زيجه ، وعندي نسخة منه .

ويعد المترجم من الفلكيين الأكابر ، لم ينقطع عن المعرفة والاتصال بالحركة العلمية في الفلك فراعى اطراد التجدد فيه .

٦ — ابراهيم بك طوراق باشا زاده . من الفلكيين وله :

١) رسالة في المثلثات نقلها من الفرنسية الى اللغة التركية .

٢) الذيل والشرح على الزيج القاسيني كان قد ذيل عليه من سنة ١٢٣٧هـ الى سنة ١٢٤٠هـ .

٣) رسالة الارتفاع .

وفي أيامه كان رئيس المنجمين ، توفي سنة ١٢٤٨هـ — ١٨٣٢م .

٧ — خواجه اسحق :

كان أول من ترجم الكتب الفنية من لغات أوربا ، وعين المصطلحات ، فوجد لها مقابلاً . وله معرفة بعدة لغات ، فهو إمام من نقل ورئيس من ترجم . فهو مجدد علوم الفلك والرسم والتخطيط ... وله من المؤلفات :

١) مجموعة العلوم الرياضية ، طبعت وفي ضمنها الفلك .

٢) عكس المرايا في أخذ الزوايا ، يبحث في أصول استعمال آلات الرصد لمثل أوقتانت ، وسكتانلد .

٣) رسالة الكرة .

٤) أصول استعمال آلة أوقتانت .

توفي سنة ١٢٥٠ هـ — ١٨٣٤ م[1] .

وهكذا توالى الاشتغال في الفلك والرياضيات حتى ظهر مثل الأستاذ صالح زكي ، وكان يعد من نوابغ هذا الفن ، فخدم العلوم الفلكية والرياضية الجديدة وتوفي في ٢ تموز سنة ١٣٣٧ رومية وفي المدارس الحربية ودار الفنون الملكي (الجامعة) قويت العلوم الجديدة في الفلك والرياضيات ، ومن آخر من ظهر في هذه العلوم أحمد مختار باشا الغازي ، وله مؤلفات مهمة كرياض المختار وذيله ، واصلاح التقويم ، وتقويم السنين ، والتقويم المالي ، وتوفي سنة ١٣٣٧ هـ . وهناك أفاضل كثيرون ، منهم أخذ العراقيون في الحربية في الأغلب ، والى مؤلفاتهم توجهت الوجهة دون غيرها .

وكانت ثقافة الترك في الفلك موجهة الى الاستقاء من كتب الايرانيين وكتب العرب ، وظهرت لهم آراء خاصة في الفلك وفي التجربة ، والاتصال بثقافتها بواسطة ملاحي العرب الا أنها جاءتهم من جراء الاصطدام بالبرتغال ، وكان الاشتغال في الكتب المتداولة وفي زيج أولوغ بك ، حققوا فيه ، وأخذوا بأحكامه مع مراعاة اشتغالات العرب ، والصلة غير منقطعة ، ثم عادت الى التوجه الى ايران ودرس كتاب البهاء العاملي وفي أواخر القرن الثاني عشر وما بعده مالوا الى تكامل العلم في الغرب ، فكانوا من أقدم الأمم الشرقية في الأخذ منهم في الفلك والرياضيات لما أسسوا من أرصاد ، وأتقنوها بتقريب العلماء في

(١) جاء تفصيل ترجمته في قاموس الرياضيات ج ١ ص ٣٠١ .

الفلك الا أنهم لم يهملوا المعرفة السابقة الا في النواحي التي قبلت الاصلاح . جمعوا بين الثقافتين وما عدّل فيها من تصحيحات ومعلومات جديدة . وهكذا توالى الأخذ الى درجة أخلّوا بها في المصطلح لعدم التوفيق بين الماضي والحاضر .

كان النهج واحداً ، ولا يزال الا في وضع آلات جديدة لزيادة الاتقان . وهذا التجدد لا يدعو الى اهمال المصطلح ، أو ان يؤدي الى الاخذ بمصطلحات الغرب ... ولا سبب لذلك الا الانقطاع عن الثقافة العلمية السابقة أو الجهل بالمعرفة التاريخية [١] .

(يتبع) عباس العزاوي

---

(١) من أهم المراجع للتوسع كتاب (عثمانلي مؤلفلري) ج ٣ وقاموس الرياضيات والآثار الباقية ، وهما للاستاذ صالح زكي .

تاريخ فكرة إعجاز القرآن

منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر، مع نقد وتعليق

— ٧ —

القرن الثامن

من أشهر من تكلم في إعجاز القرآن في القرن الثامن الزملكاني في كتابه التبيان في إعجاز القرآن، والخطيب القزويني صاحب كتاب التلخيص لمفتاح السكاكي ويحيى بن حمزة العلوي وهما من علماء البلاغة، والأصبهاني والشاطبي وهما مفسران، والزركشي صاحب كتاب البرهان في علوم القرآن . وسأخص كلاً منهم بكلمة .

١ — الزملكاني :

يؤلف الزملكاني (٧٢٧) كتابه التبيان في الإعجاز ويذكر خلاصة رأيه السيوطي (الاتقان ج ٢. فصل الإعجاز) فيقول : «وجه الإعجاز راجع الى التأليف الخاص به لا مطلق التأليف بأن اعتدلت مفرداته تركيباً وزنة وعلة ومركباته معنى بأن يوقع كل فن في مرتبته العليا في اللفظ والمعنى» .

فلا يخرج به عن نظرية النظم ولكنه يجعل هذا النظم في جودة كل من اللفظ والمعنى وفي ائتلافهما وليس هذا بجديد، هذا وقد اعتمد عبد العليم الهندي على كشف الظنون فيما يظهر فجعل وفاة الزملكاني سنة ٦٥١ هـ .

٢ — الخطيب القزويني :

يؤلف الخطيب القزويني (٧٣٩) كتابه التلخيص — لمفتاح السكاكي — فلا يتكلم على الإعجاز بشيء إلا أنه يذكر في مقدمته أن علم البلاغة وتوابعها

من أجل العلوم قدراً وأدقها سراً إذ به تعرف دقائق العربية وأسرارها وتكشف عن وجوه الإعجاز في نظم القرآن أستارها فيظهرنا على أن المؤلفين في البلاغة على الغالب ينظرون الى علوم البلاغة على أنها واسطة لمعرفة إعجاز القرآن فهو يقرر ضمناً أن إعجاز القرآن في فصاحته وبلاغته لا في شيء آخر .

٣ — يحي بن حمزة العلوي :

ويؤلف يحي بن حمزة العلوي (٧٤٩) كتاب الطراز في البلاغة ويعقد فيه فصلاً مطولاً في الجزء الثالث منه للإعجاز يتبع فيه طريقة الجدل والكلام فيذكر أقوال غيره ويناقشها واحداً واحداً ليردها ثم يقدم رأيه الخاص وأول ما يطالعنا في كتابه الخاص أنه يعرف البلاغة فيقصر الغرض منهـا على معرفة أحوال الإعجاز فيقول :

« هي علم يمكن معه الوقوف على معرفة أحوال الإعجاز لأن الإجماع منعقد من جهة أهل التحقيق على أنه لا سبيل الى الاطلاع على معرفة حقائق الإعجاز وتقرير قواعده من الفصاحة والبلاغة إلا بإدراك هذا العلم وإحكام أساسه » .

وفي الفصل الذي عقده للإعجاز يذكر أن فصاحة القرآن وبلاغته تظهران عنده بمقياسين الأول أن يقاس ما في القرآن على قواعد الفصاحة والبلاغة التي قررها وهنا نلاحظ نحن أن هذه القواعد مستمدة من القرآن فكأنه حينما يقيسها إنما يطابق الشيء مع نفسه ، والثاني أن يقاس بأقوال البلغاء . فيظهر فضله في الحالين . ثم يأتي من القرآن بآيات تتعلق ببحوث الفصاحة والبلاغة ويبين أنها جاءت منها في المرتبة العليا وذلك تطبيق على مقياسه الأول للإعجاز .

ثم يذكر أن الكلام في الإعجاز أول المباحث الكلامية والأسرار الإلهية لأنه دليل النبوة ويذكر تقصير من سبقه في بيان أسرار الإعجاز ووقوفهم عند الكلام على مخارج الكلم ، بعضهم لتقصيره في الكلام والإلهيات وهم الأكثرون

كالسكاكي وابن الأثير وصاحب التبيان ـ أي الزملكاني ـ وبعضهم كانت له اليد الطولى كابن الخطيب الرازي الذى لم يأت في كتابه بما ينقع الغلة ٠

وهنا نراه يتهم المؤلفين قبله بالتقصير فيبالغ لأنهم لم يقفوا كلهم عند مخارج الكلم وسنرى أنه لم يأت بجديد يستحق الذكر وإنما كان جامعاً لما كتبه غيره مستقصياً في الجمع لا أكثر ثم يقول إن الدليل عنده على الإعجاز شيئان :

١ً — تحدي النبي للعرب بأن يأتوا بمثله وعجزهم عن ذلك ٠

٢ً — ما اشتمل عليه القرآن من الفصاحة في الألفاظ والبلاغة في المعاني — بالاضافة إلى مضرب كل مثل ومساق كل قصة وخبر وفي الأوامر والنواهي وأنواع الوعيد ومحاسن المواعظ وغير ذلك مما اشتملت عليه علوم القرآن فإنها مسوقة على أبلغ سياق — والخاصة الثالثة جودة النظم وحسن السياق ٠

ويطيل الكلام في التحدي (الطراز ج ٣ ـ ص ٣٧٠) فيذكر أن الله نزلهم فيه على ثلاث مراتب وأنه تدرج فيه من الأكثر الى الأقل — من القرآن ، الى عشر سور ، الى سورة — ويذكر حالهم مع النبي حين هذا التحدي وجوابهم عليه ثم يورد ما يوجهه الملاحدة من الطعن على فكرة إعجاز القرآن ويورد لهم عدة اعتراضات في صور أسئلة تتوق في وضعها وتكلف عناء الاجابة عليها ، والغرض منها إنكار التحدي لأنه عمدة الإعجاز وتتلخص فيما يلي :

١ً — ليس القرآن كله بتفاصيله متواتراً بل المتواتر هو القرآن ككلٍّ لأن ابن مسعود أنكر الفاتحة والمعوذتين وحصل خلاف بين الصحابة في كون بسم الله الرحمن الرحيم من القرآن وأثبت أبيّ بن كعب آية القنوت (اللهم اهدني فيمن هديت الخ) في القرآن ولما كانت آيات التحدي من جملة التفاصيل فلهذا لا يحكم ثبوتها في المصحف فلا يكون فيها دلالة ٠ وهو يرد على هذا بأن القرآن متواتر التفاصيل لأن الأولين كانوا أحرص منا على حفظ القرآن أو هم مثلنا على الأقل فما ادّعاه بعض الصحابة من أن في القرآن زيادةً أو نقصاً هو إما خبر آحاد لا يعتدّ به لأنه يشترط في مثله التواتر وإما أنه وحي ولكنه ليس بقرآن ٠

٢ً — ليس المقصود من آيات التحدي أن تكون دليل صدق النبوة بل هي من نوع تحدي الخطباء أثناء خطبهم لمن يخالفهم فهو ضرب من المبالغة والادّعاء والافتخار .

ويرد على ذلك بأن النبي قد بلغهم هذا التحدي وكان يقارعهم بالقرآن وكانوا يعرفون المقصود منه .

٣ً — لم يصل التحدي الى كل العالم وعجز بعض الناس لا يدل على عجزهم جميعاً ولا يدل على صدقه . ويرد على هذا بأن العرب اذا عجزوا فغيرهم أعجز وإن لم يصل الى جميع الخلق سابقاً فقد وصل اليهم الآن ولم يقدر على معارضته أحد .

٤ً — هب أن التحدي قد بلغ الخلق كافة فهم عدلوا عن معارضته لأن المعارضة لا تجدي في حسم الخلاف فعدلوا عنها الى الحرب وإنهم لو عارضوه لاحتاج الأمر الى التحكيم ويكون ذلك مدعاة لنزاع طويل يكسب به محمد الوقت فتشتد شوكته فعدلوا الى الحرب ثم إنهم ربما عدلوا عن المعارضة لأنهم لم يدركوا حقيقة المماثلة هل تكون بالفصاحة أو البلاغة أو النظم أو .... (يعدد هنا كل ما ذكر من آراء في وجوه الإعجاز تقريباً ...)

وأجاب على هذا بأن ردّهم على التحدّي بالقول أسلم لهم لأنهم كذلك ليسوا على ثقة من ريح الحرب وأنه ليس الغرض حصول المماثلة من كل الوجوه بل الإتيان بما يظن كونه مماثلاً ، ثم لو اشتبه عليهم معنى المماثلة لسألوا النبي عنها ولكن الأمر معلوم لهم ثم يقول : والنبي أطلق التحدي ولم يعينه بشيء دون شيء اتكالاً منه على ما يعلم من ذلك بمجرد العادة واطّرادها في التحدي بين الشعراء والخطباء فلم يكن محتاجاً الى تفسير المقصود — وهنا نرى ردّه قوياً معقولاً لأن العرف يعين المقصود من المماثلة — .

٥ً — ربما كان المانع لهم من المعارضة اشتغالهم بالحروب العظيمة أو خوفهم من رسول الله وأنصاره . وردّ على ذلك بأن المعارضة كلام لا يشغل عن الحرب

وقد قالوا الأشعار والخطب والحرب دائرة ثم لِمَ لم يعارضوا القرآن زمن السلم ثم كان يمكن الفصحاء أو من هم في معزل عن الحرب أن يعارضوه .

٦ — كانت الدواعي متوفرة للمعارضة وتأخرهم عنها لا يدل على أنهم عاجزون لأنه لا يلزم وقوعها فعلاً ، ورد على ذلك بأن توفر أسباب المعارضة يوجب عليهم القيام بها وحيث أنهم لم يفعلوا دلّ ذلك على عجزهم عنها .

٧ — وما يدرينا أن المعارضة لم تقع وما البرهان على ذلك ؟ وأجاب على هذا بأن هذا الأمر العظيم لو وقع لما خفي ولاشتهرت المعارضة أكثر من القرآن الذي يصير حينئذ كالشبهة وتصير هي كالحجة ويحفظها الملاحدة والمخالفون للاسلام لما فيها من إبطال أمر النبي .

٨ — قد وقعت المعارضة فعلاً واشتهرت فهذه قصائد العرب السبع وكلام مسيلمة وأخبار الفرس وملوك العجم للنضر بن الحارث ومعارضة ابن المقفع وقابوس بن وشمكير والمعري فكيف تنكر ؟ ورد على هذا بأن كل هذه المعارضات لا تقارب القرآن ولا يصح أن تقارن به اضعفها .

٩ — ربما كان المانع لهم من المعارضة عدم معرفتهم بما يتكلم به القرآن من أخبار البعث والنشور والملائكة والسماء الخ مما لا دخل لأفهامهم في تعقله وإتقانه ورد على ذلك بأن اليهود كانوا بين أظهرهم يستطيعون تعليمهم إياها ثم إن اليهود أنفسهم كان فيهم فصحاء .

وهذه الأسئلة ليست ذات قيمة كبيرة ـ فيما أرى ـ وإنما ذكرتها لأبين ألوان المناقشة والجدل في هذا الموضوع الذي كثيراً ما تناقش فيه البديهيات على غير طائل كمناقشته هنا هل حصل التحدي أو لم يحصل وهل فهموا منه معنى المماثلة أو لا ثم لا أدري إذا كانت هذه الأسئلة كان يضعها الملحدون والمخالفون حقيقة أو إنها كانت من وضع المؤلف أو غيره من العلماء ليردوا عليها ويبينوا قدرتهم في الجدل .

ويحاول صاحب الطراز بعد ذلك إثبات أن القرآن معجز بالطريقة الجدلية الآتية : إما أن يكون الإتيان بمثل كل واحدة من السور معتاداً أو غير معتاد فإن كان معتاداً كان سكوت العرب عن الإتيان بمثلها دليل إعجازه وإن كان غير معتاد كان القرآن لخروجه عن المألوف والمعتاد معجزاً فالقرآن معجز سواء أكان خارقاً للعادة أم لم يكن .

وهنا يبدو لنا صاحب الطراز مناصراً لرأي الصرفة إلى جانب الرأي بخرق القرآن للعادة دون أن يبين سبب خرقه للعادة بيد أنه لا يجوز الاعتماد على هذا القول لأن هذا الدليل جدلي ولا يقنع أحداً أن يقول إما أن يكون معتاداً أو غير معتاد وكان عليه أن يسعى لتقرير الحقيقة وإثباتها علمياً فهل وقع التحدي والعجز أو لا أولاً ، ثم هل للقرآن مميزات واضحة على غيره من الكلام أو ليس له ذلك ثانياً ، بدلاً من اللجوء الى مثل هذه الحجة المطاطة .

ثم يعرض لأقوال سابقيه في الإعجاز فينقضها واحداً واحداً وها هي هذه الأقوال وردوده عليها .

١ً — يبين مذهب الصرفة ويذكر أن النظّام وأبا اسحاق النصيبي من المعتزلة قالا به واختاره الشريف المرتضى من الإمامية ويذكر له تفسيرات ثلاثة : تفسيراً يطابق رأي النظام ، وتفسيراً يؤيد رأي المرتضى ، وتفسيراً ثالثاً لا أدري من أين أتى به وهو أن الله منعهم على جهة القسر من المعارضة مع قدرتهم عليها ثم يردّ عليه بما ردّ به سابقوه من العلماء من أن الصرفة لو حصلت لكانت هي المعجزة دون القرآن ولكان في كلام العرب السابق للقرآن أو اللاحق له ما يساويه .

٢ً — يشرح بعد ذلك مذاهب من يجعلون سبب الإعجاز في أسلوب القرآن أو عدم تناقضه أو اشتماله على الأمور الغيبية أو في فصاحته ويفسرون الفصاحة بسلامة الألفاظ من التنافر والتعقيد في المفردات والتراكيب ويردّ عليها بمثل ردود سابقيه .

٣ً — ينقد المذهب القائل بأن إعجاز القرآن في اشتماله على الحقائق وتضمنه الأسرار والدقائق ـ وهذا كما نرى مذهب شديد الاتصال بالنظرية العلمية في الإعجاز ـ فيقول إن القرآن يشارك حينئذ غيره من الكتب الملخصة التي يستخرج منها الخلف فوائد متجددة وتكون الآيات الصريحة المعنى غير معجزة ومعاني الآيات الأخرى إما أن يدركها الإنسان فلا يكون حينئذ تفرقة بين القرآن وغيره أو لا يدركها فتكون أموراً غيبية ، فيردّ عليها على طريقة الرد على هذه . وهنا نراه يطيل الردّ ، ولا يراعي أن غرض القرآن ليس التعمية واحتواء الألغاز والعلوم وإنما هو الهداية والتأثير في النفس .

٤ً — يذكر المذهب القائل بأن الإعجاز في البلاغة وهو يوافق على هذا القول إذا قُصد به أنه بلغ الغاية في فصاحة ألفاظه وبلاغة معانيه وينكره إذا أُريد أنه بليغ بالإضافة الى أحدهما .

٥ً — يذكر مذهب الإعجاز بالنظم المراد به أن نظم القرآن وتأليفه هو الوجه الذي امتاز به من بين سائر الكلام وهو يردّه اذا قصر الإعجاز على النظم دون بلاغة المعاني وفصاحة الألفاظ .

وكذلك يردُّ هذا المذهب إذا جعلوا فيه القسط الأوفى في الإعجاز للنظم من بين هذه العناصر الثلاثة ويلاحظ أنه هنا يفصل بين هذه العناصر ويعطي للنظم مفهوماً خاصاً غير مفهوم عبد القاهر الجرجاني أو الباقلاني فالنظم عندهما مرتبط بالمعاني والألفاظ لا ينفصل عنها ولا سيما عند عبد القاهر فالنظم عنده قائم في حسن ترتيب المعاني في النفس وحسن تأديتها بالألفاظ مع الاستعانة بقواعد النحو بمعناه الواسع ولا أدري كيف يفصل صاحب الطراز بين هذه الأمور الثلاثة التي تكوّن شيئاً واحداً إلا اذا قصد بالمعاني الأغراض العامة التي يقال فيها الكلام وبالألفاظ مجرد قيمتها الموسيقية .

٦ً — يذكر مذهب القائلين بأنه معجز بكل الأمور التي ذكرت ويرفضه لأنه

رفض هذه الأمور على التوالي ولأن الفصاحة والبلاغة كافيتان في إعجازه ولا وجه لعدّ غيرهما معهما .

٧ً — يذكر مذهب القائلين بأن إعجازه فيما تضمنه من المزايا الظاهرة في الفواتح والمقاصد والخواتيم في كل سورة وفي مبادئ الآيات وفواصلها وأن هذا هو الوجه السديد في وجه الإعجاز عنده وأنه سيوضحه بمعونة الله ولكنه لا يذكره في وجوه الإعجاز عنده . وبعد أن ذكر ما اختاره من وجوه الإعجاز وقد ذكرتها قبل ، يورد عليها الاعتراضات التالية مع الردود عليها :

١ً — ترجع الفصاحة والبلاغة والنظم إلى مفردات الألفاظ والعرب يعرفونها ، وإلى تراكيبها والعرب قادرون على أن يأتوا منها بالفصيح البليغ ، وهو يرد على ذلك بأن القرآن قد بلغ الغاية في الجودة وأن المقدرة تتفاوت في حسن النظم .

٢ً — إن الفصاحة والبلاغة وحسن النظم في القرآن لا تدل على صدق النبي ووجه الإعجاز في القرآن للدلالة على صدقه وأنه من عند الله والبشر قادرون على الفصاحة والبلاغة وحسن النظم ويجيب على ذلك بأنهم قادرون عليها ولكن الى حد وبأن البشر يتفاوتون في أساليبهم والقرآن يبزّهم ولا يلحقون بشأوه .

٣ً — لو كان القرآن معجزاً بفصاحته وبلاغته لما اضطروا حينما جمعوه بعد وفاة النبي أن يقبلوا الآية ممن هم مشهورون بالعدالة وأن يطلبوا البيّنة ممن هم غير مشهورين بها ، ويردّ على ذلك بأن القرآن مجموع في الصدور قبل وفاة النبي جمعه جبريل ... و .. الخ .

٤ً — لو كانت الفصاحة وجه إعجازه لما اشتبه على ابن مسعود الفاتحة والمعوذتان ولم يعدّهما من القرآن ، وأجاب على ذلك بأنه لم يخالف في كونها وحياً أنزلت للتبرك والاستعاذة وإنما في كونها من القرآن — ثم لأن هذا رأي لابن مسعود فلا يكون مقبولاً لأنه قول آحاد فكأنه خالف دلالة قاطعة — .

ويقول في الخاتمة إن القرآن إنما كان معجزاً لما بيّنه سابقاً لا للدلالات الوضعية سواء أكانت باعتبار دلالتها على معانيها الوضعية أو مجردة عنها وذلك فاسد

لأمرين : أولاً — لأن الكلمة قد تكون فصيحة في مكان ولا تكون كذلك في آخر . وثانياً — لأن الاستعارة والتشبيه والتمثيل الخ من أعظم قواعد الفصاحة وإنما كانت كذلك باعتبار دلالتها على المعاني لا باعتبار ألفاظها .

وهنا نراه شديد التأثير بعبد القاهر الجرجاني فيجعل الفضل في النظم للمعاني لا للألفاظ ونرى أنه لم يأت في كلّ ماقدمه بجديد ولكن يقدر له حسن تنظيمه للبحث وطرقه له بصورة علمية منظمة شاملة تغلب فيها روحُ العالم روحَ الأديب وإن كانت لا تخلو من كثير من الجدل العقيم .

٤ — الأصبهاني :

ويأتي الأصبهاني (٧٤٩) فيتكلم في تفسيره على هذه المسألة وقد ذكر السيوطي (في الاتقان ج ٢ ، ص ١٩٨ وما بعدها) رأيه في الإعجاز فقال : قال الأصبهاني : « اعلم أن إعجاز القرآن ذكر من وجهين : أحدهما إعجاز متعلق بنفسه ، والثاني بصرف الناس عن معارضته ، فالأول إما أن يتعلق بفصاحته وبلاغته أو بمعناه ، أما الإعجاز المتعلق بفصاحته وبلاغته فلا يتعلق بعنصره الذي هو اللفظ والمعنى ، فان ألفاظه ألفاظهم قال تعالى : « قرآناً عربياً ، بلسان عربي » ولا بمعانيه فكثير منها موجود في الكتب المتقدمة قال تعالى : « وإنه لفي زبر الأولين » ، وما هو في القرآن من المعارف الإلهية وبيان المبدأ والمعاد والإخبار بالغيب فإعجازه ليس براجع إلى القرآن من حيث هو قرآن بل لكونها حاصلة من غير سبق تعليم وتعلم ويكون الإخبار بالغيب إخباراً بالغيب سواء كان بهذا النظم أو بغيره مؤدًّى بالعربية أو بلغة أخرى بعبارة أو إشارة فإذن النظم المخصوص صورة القرآن واللفظ والمعنى عنصره وباختلاف الصور يختلف حكم الشيء واسمه لا بعنصره كالخاتم والقرط والسوار فإنه باختلاف صورها اختلفت أسماؤها لا بعنصرها الذي هو الذهب والفضة والحديد ... فظهر من هذا أن الإعجاز المختص بالقرآن يتعلق بالنظم المخصوص وبيان كون النظم معجزاً يتوقف على بيان نظم الكلام

ثم بيان أن هذا النظم مخالف لنظم ما عداه ... (هنا يعدد أصناف الكلام من شعر ونثر) ... ثم يقول: «والقرآن جامع لمحاسن الجميع على نظم غير نظم شيء منها، يدل على ذلك أنه لا يصح أن يقال له رسالة أو خطابة أو شعر أو سجع كما يصح أن يقال هو كلام، والبليغ اذا قرع سمعه فصل بينه وبين ما عداه من النظم ولهذا قال تعالى: (وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) ... وأما الإعجاز المتعلق بصرف الناس عن معارضته فظاهر أيضاً ... فلما دعا الله أهل البلاغة والخطابة الذين يهيمون في كل وادٍ من المعاني بسلاطة لسانهم الى معارضة القرآن وعجزوا عن الإتيان بمثله ولم يتصدوا لمعارضته لم يخف على أولي الألباب أن صارفاً إلهياً صرفهم عن ذلك وأي إعجاز أعظم من أن يكون كافة البلغاء عجزت في الظاهر عن معارضته مصروفة في الباطن عنها» .

ويلاحظ على الأصبهاني أنه في هذا العصر جمع بين القول بالصرفة وبين القول بالإعجاز بالنظم وهما نقيضان والنظم عنده صورة القرآن التي تتألف من عنصري اللفظ والمعنى وليس اللفظ سبب الإعجاز لأن الفاظ القرآن هي ألفاظ العرب نفسها، ثم نرى الأصبهاني يستبعد أن تكون معاني القرآن سبباً لإعجازه لأنه يرى أن كثيراً من الكتب المتقدمة تحوي هذه المعاني وهو يسوق دليلاً على قوله آية من القرآن الكريم: «وإنه لفي زبر الأولين» ثم ليس في الإخبار بالغيوب والمعارف الإلهية لأنها هي هي لو ذكرت في أي لغة، والقرآن إنما هو معجز بوصفه كتاباً عربياً فإعجازه إذن في نظمه، وهنا نرى الأصبهاني آخذاً برأي عبد القاهر الجرجاني في باب النظم حتى إنه يضرب مثال عبد القاهر نفسه في دلائل الإعجاز وهو مثال الخاتم المصنوع من مواد مختلفة والحلي المتنوعة من مادة واحدة وحتى إنه يستعمل ألفاظه نفسها إلا أنه يخالف عبد القاهر في مسألة الصرفة التي ينكرها عبد القاهر ويشنع على قائليها كما رأينا، وللقرآن عند

الأصبهاني نظمه المخصوص فقد رأينا أنه لا يصح عنده أن يقال له رسالة أو خطابة أو شعر أو سجع كما يقال له كلام .

ثم إن الإعجاز - في رأيه - يدركه الأديب البليغ بالذوق لا بتطبيق القواعد العلمية وأساليب البلاغة تطبيقاً جافاً ، ومما يلفت النظر استعماله لفظتي الظاهر والباطن في قوله : « عجزت في الظاهر عن معارضته مصروفة في الباطن عنها » ، وأرجح أنه يقول هذا متأثراً بفكرة الباطنية في التفسير .

٥ً — الشاطبي :

للشاطبي (٧٩٠) رأي يتصل بالإعجاز اتصالاً سلبياً فهو ينكر التفسير العلميّ الذي يزعم أن القرآن يحوي كل العلوم بحيث لم يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها مما جعله المتأخرون من أهم أسباب الإعجاز على حين ليس هو صحيحاً في ذاته وليس منها في ورد ولا صدر ، ويقول الأستاذ الخولي فيه (التفسير ، منهجه ومعالمه) : « والمخالفة القديمة فيه - أي في التفسير العلمي - ما يبديه الأصولي الأندلسي أبو اسحق ابراهيم بن موسى الشاطبي (٧٩٠) - في كتابه الموافقات وهو ينقد هذا الرأي العلمي للأسباب الآتية : ١ً — هذه الشريعة أمية لأنها كذلك فهو أجرى على اعتبار المصالح . ٢ً — كان للعرب علوم وافقت الشريعة على بعضها وأبطلت بعضها الآخر لم تخرج عما ألفه العرب وينكر بعد ذلك أن يكون القرآن يحتوي على كل علم من علوم المتقدمين والمتأخرين . ٣ً — الصحابة والتابعون كانوا أعلم منا بالقرآن ولم يدعوا شيئاً من هذا ويذكر الشاطبي أدلة أصحاب هذا التفسير العلمي وهي استدلالهم :

آ — بقوله تعالى : « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء » وقوله : « مافرّطنا في الكتاب من شيء » .

ب — بفواتح السور وهي مما لم يعهد عند العرب وبما نقل عن الناس فيها .

حـ — بما نقل من ذلك عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وغيره .

ورد على الأول بأن المراد بذلك العبادات وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ في الآية الثانية ، وردّ على الثاني بأن فواتح السور قالوا بأن للعرب بها عهداً مما عرفوا من حساب الجمل عن أهل الكتاب أو المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله ، وأما تفسيرها بما لا عهد به فلا يكون ولم يقل بذلك السلف ، وردّ على الثالث بأنه لا يجوز أن يضاف الى القرآن ما لا يقتضيه وان يستعان على فهمه بما يضاف علمه الى العرب خاصة فيما يوصل الى علم ما أودع من الأحكام الشرعية فمن طلبه بغير ما هو أداة له ضلّ عن فهمه » . ويضيف الأستاذ الخولي الى نقد الشاطبي ما يؤيده مما سنراه عند الكلام على رأي الخولي في الإعجاز .

٦ — الزركشي :

يتكلم بدر الدين الزركشي (٧٩٤) على الإعجاز في كتابه (البرهان في علوم القرآن) ـ هذا الكتاب موجود في المدينة انظر مجلة المعارف المجلد ١٨ رقم ٦ ديسمبر سنة ١٩٣٦ ص ٤١١ ، وانظر أيضاً مقدمة الإتقان للسيوطي ، وموجود في مصر أيضاً ـ ويظهر مما أورده السيوطي من رأيه أنه كان مجرد جامع لآراء من سبقوه ، قال السيوطي (الاتقان ج ٢ ، ص ١٩٨ فصل الإعجاز) : « وقال الزركشي في البرهان : « أهل التحقيق على أن الاعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال لا بكل واحد على انفراده ، فلا معنى لنسبته الى واحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع بل وغير ذلك مما لم يسبق ثم يعدد ما سبق من الأقوال المختلفة » .

فليس للزركشي رأي خاص إذن في الاعجاز ولكن المهم أن يعتقد بامكان وجود وجوه للإعجاز لم تقل حتى عهده فكأنه يؤمن بنظرية الاعجاز العلمي .

* * *

القرن التاسع

أشهر من لهم في فكرة الاعجاز كلام اطلعت عليه في هذا العصر ثلاثة : ابن خلدون والمراكشي والسيوطي ، ويلاحظ على هذا الاخير أنه كان يأخذ من كل علم وفن بطرف وأنه ألف في جميع العلوم الاسلامية والعربية التي كانت معروفة في زمانه . وسأتحدث عن كل واحد منهم .

١ — ابن خلدون :

يتكلم ابن خلدون (٨٠٨) في مقدمته المشهورة على فن البيان فيقول : واعلم أن ثمرة هذا الفن إنما هي في فهم الاعجاز من القرآن لأن إعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال منطوقة ومفهومة وهي أعلى مراتب الكلام مع الكمال فيما يختص بالألفاظ في انتقائها وجودة رصفها وتركيبها وهذا هو الاعجاز الذي تقصر الأفهام عن دركه وإنما يدرك بعض الشيء منه من كان له ذوق بمخالطة اللسان وحصول ملكته فيدرك من إعجازه على قدر ذوقه فلهذا كانت مدارك العرب الذين سمعوه من مبلغه أعلى مقاماً وذلك لأنهم فرسان الكلام وجهابذته والذوق عندهم موجود بأوفر ما يكون وأصحه . وأحوج ما يكون الى هذا الفن المفسرون وأكثر تفاسير المتقدمين غفل منه حتى ظهر جار الله الزمخشري ووضع كتابه في التفسير وتتبع آي القرآن بأحكام هذا الفن مما يبدي البعض من إعجازه فانفرد بهذا الفضل على جميع التفاسير » .

فابن خلدون يؤمن إذن بالاعجاز البلاغي الذي يدركه من كان له ذوق بمخالطة اللسان وحصول ملكته ويعتقد بأن العرب زمن النبي كانوا أعلى مقاماً وأبين لساناً من أدباء ما بعد العصر النبوي من المحدثين البلغاء وهذه النقطة موضع نظر وذكرت رأيي فيها من قبل .

(يتبع) نعيم الحمصي

الكلمات العربية
في اللغة الأردية

قبل أن أدخل في صميم الموضوع أرى لزاماً عليّ أن أعرج مقتصراً على بعض المراحل التاريخية التي مرّت بها اللغة الاردية قبل انخراطها في الأسرة اللغوية العالمية ، وألمّ بالعوامل التي جعلتها تستمد قوامها من اللغة العربية خاصة ، وذلك كي يكون القارئ على علم بالحوادث المهمة التي أدّت الى منشأ هذه اللغة ، أي اللغة الأردية .

إذا أجلنا النظر في مواطن اللغة الأردية وبحثنا عن مدى قدمها وجدنا أنّ هذه اللغة حديثة العهد بالوجود ، قريبة المدى في تاريخ اللغات ، إذ هي ليست من اللغات الهندية القديمة ، بل هي بنت الفتوحات التي توالت على يد المسلمين في فترات مختلفة من التاريخ ، وأخيراً أوجدها المغول (١٢٢٨ م) لأجل الاتصال والتفاهم مع السكان الأصليين وسموها لغة الأوردو أي لغة الجيش أو المعسكر كما يدلّ أصل معنى هذه الكلمة في التركية .

هذه اللغة مزيج من العربية والفارسية والسنسكريتية [1] أما العربية فأثرت تأثيراً مباشراً في اللغات الهندية بوجه عام ، وفي اللغة السندية بوجه خاصّ عن طريق الجيوش العربية التي احتلت السند تحت قيادة (محمد بن قاسم) سنة ٩١ هـ وتوسع سلطانهم فيما بعد الى (مُلْتان) وما جاورها من المناطق ، وعن طريق العلاقات التجارية الضاربة في القدم بين الهند وشبه جزيرة العرب قبل الاسلام ،

---

(١) وليس كما زعم (George Grierson) في كتابه: (Linguistic Survey of India) أن هذه اللغة فرع من فروع الهندية الغربية وليست لغة مستقلة .

حتى أصبحت العربية في (السند) لغة التخاطب[1] . ومما يشهد على تأصل اللغة العربية في هذه المنطقة ، أنّ السندية حتى الآن تكتب بالخط العربي وتضمّ مفردات عربية قد تجاوز الحصر . أما تأثير اللغة العربية غير المباشر في اللغات الهندية فتأتي عن طريق الفارسية التي هي أيضاً لم تستطع أن تقاوم تيّارها خلال الفتوح الاسلامية (٧٥٠ — ١٠٠٠ م) وقد غمرتها العربية مادة واشتقاقاً وغلبتها نفوذاً وانتشاراً وهذا النوع من التأثير حصل عن طريق الفاتحين المسلمين من الأتراك والمغول والفرس والأفغان الذين كانوا تحت سيطرة اللغة العربية من ناحية الدين . هذه العوامل كلها تفاعلت وتمخضت عنها هذه اللغة التي تُتكلّم وتكتب بأكثر من مئة مليون نسمة ، بين مسلم وهندوسي .

الكلمات العربية ، مقدارها وكيفيتها في الأردية :

الكلمات العربية تكوّن أكثرية غالبة بين اللغات التي تضمها الأردية حتى فاقت الكلمات الفارسية عدداً ، وتتراوح نسبتها بين عشرين وستين بالمئة وذلك مما يدل على قوة انتشار اللغة العربية وسيطرتها على اللغات ، هذه الكلمات على قسمين : قسم طرأت عليه تطوّرات جرّدته عن عروبته حتى أصبح كالكلمات الأعجمية . هذه الكلمات ، ولا شكّ تنمّ عن طول بقائها في بلاد الغربة وقد يمتدّ عهد دخولها في اللغات الهندية الى صلاتٍ تجارية بين الهند والعرب قبل الاسلام . وقسم دخل عن طريق مباشر باستيلاء المسلمين على السند ، وعن

(١) ويمكن ان ندرك مدى تأثير اللغة العربية في اللغة السندية بما قال الرحالة الشهير الاصطخري ، الذي زار السند في القرن الثامن أن اللغات الدارجة في منصورة (الآن بهكّر Bhakkar) وملتان هي العربية والسندية ، اما لغة مكران فهي الفارسية ، وأيده ابن حوقل عند سياحته في السند حيث يقول أن أهل منصورة وضواحيها يتكلمون العربية ، وأيضاً عندما نزل المقدسي في ملتان سنة ٩٨٥ م ، قال تقع الديبل على شاطئ البحر ويحوطها حوالي مائة قرية ومع أن غالبية السكان هم من غير المسلمين فهم يتحدثون باللغتين العربية والسندية .

طريق غير مباشر بواسطة الفارسية التي كانت لغة البلاط في عهد المغول وبقيت تتمتع بمكانتها عدة قرون . وهذه الطائفة الأخيرة من الكلمات قد حافظت على عروبتها بمحض المحافظة كما أن هناك كثيراً من الكلمات والأمثال أبت إلا أن تبقى على حالها ولم يمسها سوء من العجمة .

ان العامل الأساسي في تغيُّر الطائفة الأولى وانحرافها عن أصلها العربيّ قدامة انفصالها عن أسرتها اللغوية وانعدام الدافع السياسي والديني الذي هو أهم ما تعتمد عليه اللغة في المحافظة على أصالتها ، لكنّ الطائفة الثانية ، على عكس ذلك أفادت من حداثة عهدها بالهند ودُعمت بالسلطتين السياسية والدينية ، لأنها كانت لغة الفاتحين التي تغلبت على اللهجات المحلية وقضت عليها وأصبح الحكام - شأن كل احتلال - قدوة في اللهجة ومرجعاً في الأساليب . فلم يكن ثمة خطر التغير لأن أولي الأمر هم الذين أسسوا هذه اللغة وأشرفوا على نشرها واقرارها . وكذلك عندما انتشر الاسلام في الهند ورجع المسلمون الى مراجع دينهم ، عكفوا على درس اللغة العربية وتدريسها ونشطت فيهم حركة التأليف بها في مختلف العلوم وأكثروا من استعمال الاصطلاحات الاسلامية والكلمات العربية الأخرى وذلك مما جعلهم يحافظون على الكلمات العربية أكثر من ذي قبل ، ويتسابقون الى التفنن فيها في أساليب الكلام وكذا زادوا (الاردية) غزارة في المواد العربية .

بما أن عدد الكلمات العربية في الاردية يبلغ عشرات الألوف ، فمن الصعب إذن أن نقتصر على الثلاثين التي لا يمكن أن تمثّل أوضاع الكلمات العربية المختلفة تمثيلاً شاملاً صحيحاً ، لكن مع ذلك سأحاول تجديد البحث ما استطعت إلى ذلك سبيلاً وبالله التوفيق ومنه التسديد .

الكلمات العربية في الأردية قسمان : قسم حدث فيه التصرف المعنويّ واللفظي وقسم سلم من التصرُّف بنوعيه ، ونبدأ حسب الترتيب بالقسم الأول :

أنواع التصرّفات :

قبل أن نأخذ في تحليل الكلمات العربية ، من الأجدر أن نقف على التصرّفات التي حدثت فيهـا على لسان العجم ، تقريراً لمبدأ التصرّف وتسهيلاً لتطبيق الشواهد التي نسوقها دعماً لذلك المبدأ المقرّر :

١ — التصرّف المعنوي في نفس الكلمة .

٢ — التصرف اللفظي في نفس الكلمة .

٣ — التصرف المعنوي واللفظي في نفس الكلمة .

٤ — التصرّف اللفظي في التركيب .

٥ — التصرّف المعنوي في التركيب .

٦ — التصرّف اللفظي والمعنوي في التركيب .

ومما يجب ملاحظته أن التصرّفات اللفظية بأسرها ترجع الى قانون الابدال والقلب والتخفيف . والتصرّفات المعنوية نتيجة لقلة الاهتمام بأصل الكلمات وقبولها على علاتها المعنوية المتداولة .

الشواهد للقسم الاول :

من الكلمات العربية ما لم يحدث فيه تغيير لفظي ، لكنه لم يسلم من تصرّف معنوي ، مثلاً كلمة (غريب) يراد بها الفقير ، و (مُعاف) يراد بهـا العفو مع أنها من العافية ، و (غلاظت) يراد بها الأوساخ ، و (مقدّمات) تستعمل بمعنى القضايا التي ترفع الى المحكمة ، و (ملائم) بمعنى الناعم ، و (المشكور) بمعنى الشاكر ، و (المنظور) بمعنى المقبول ، و (فوج) بمعنى الجيش ، و (الاقبال) بمعنى الحظّ والاعتراف ، و (وجه) بمعنى السبب .

الشواهد للقسم الثاني :

هذا النوع من التصرف يبدو جلياً في بعض الكلمات ككلمة (أمّان) و (أبّا) للأم والأب ، و (هاته) الأيدي ، والأيدي تخفف الى أيد ، وحسب قانون الابدال وقرب المخارج نصير (هَيْت) وأواخر الكلمات الأردية ساكنة ، لأجل ذلك اذا سُكن آخر (هَيْت) أصبحت التاء شديدة الصوت ، وهي تشبه تماماً (ته) في آخر (هاته) . كذلك كلمة (آب) بمعنى الماء ، وآب هذه عابٌ في العربية لأن العجم يخرجون العين مخرج الألف ومادّة عبّ لا تخرج عن طبيعة الماء ، لأجل ذلك يمكن أن نحدّد أصل (آب) الأردية (بعابّ) العربية ، والأردية وسّعت في استعمال هذه المادة إذ يوجد فيها أكثر من مئة كلمة مركبة منها . ومما يجدر بالذكر أن من مركباتها كلمة (دولاب) التي تصرح عنها القواميس والكتب لجلة المؤلفين أنها معربة من الفارسية ، مع أننا لا نحتاج الى كبير تأويل لارجاعها الى أصلها العربي ، لأنها مركبة من كلمتين (دول) و (آب) ودول بمعنى الدّلو ومقلوبة منها أو هي لغة في الدلو كما يقول صاحب الأقرب ، و (آب) أصلها (عابّ) كما مرّ فاذن معنى الدولاب الدّلو التي تعبُّ في الماء ، وهنا يصدّقنا صاحب اللسان إذ يقول : عَبَّت الدلو صوّتت عند غرف الماء ، وهذا غاية ما يراد بالدولاب أو الناعورة ، ومثل ذلك كلمة (سيلاب) التي أصلها سيلٌ عابٌّ ، والعابُّ من صفات السيل كما هو معلوم . وكذلك كلمة (آگ) بمعنى النار ، أصلها آجّ وهي صفة لها وقد سميت آجّاً تغليباً للصفة . ثم كلمة (سِيدها) بمعنى المستقيم والصحيح ، ليست إلا سديداً في العربية بنفس المعنى . وأيضاً كلمة (سَرْد) ليست إلا (صرد) العربية بمعنى البرد أو البارد .

هذا في الأعلام أما في المصادر فيمكن أن نصل الى أصلها العربي بعدة طرق ، منها إزالة علامة المصدر في الاردية وهي (نا) التي تقوم مقام تنوين المصدر

في العربية ، فاذا أزلنا هذه العلامة تقربنا الى الأصل مثلاً (بناتا) بمعنى بناء ، إذا حذفنا منها علامة المصدر (تا) تجلى الأصل العربي بكل وضوح ، بعد حذف الهمزة الأخيرة للتخفيف ، وهو بنا . وكذلك (دالنا) بمعنى الادلاء بعد حذف العلامة تبقى (دال) وأصلها دَلا أو دَالي . وأيضاً (طيكنا) بمعنى الاتكاء ، بعد حذف العلامة تبقى (طيك) وهي نفس الاتكاء بعد تخفيف الهمزتين الأولى والأخيرة .

الشواهد للقسم الثالث (التصرف اللفظي والمعنوي في نفس الكلمة):

من هذه الطائفة كلمة (مِينْه) بمعنى المطر وهي صورة واضحة لأصل الماء في اللغة العربية أي (ماهٌ) و (مَيْهٌ) انظروا مادة (موه) و (ميه) في قاموس ما حتى يوجد استعمال في نفس المعنى الأردي (أماهت السماء أسالت ماءً كثيراً) « القاموس المحيط » . ومنها كلمة (سُورج) بمعنى الشمس ، ليست إلا (سراج) العربية وقد وردت في القرآن صفة للشمس ، قال تعالى : (وجعلَ الشمسَ سراجًا) . ومنها كلمة (ديا) بمعنى (السراج) وهي ليست إلا ضياء العربية بتلفظ صحيح بعد سقوط الهمزة للتخفيف وهذا عامّ في الأردية .

القسم الرابع (التصرف المعنوي في التركيب) :

ومن هذا القسم كلمة (بى طرح) بمعنى خلاف الدستور و (بى لحاظ) غير متأدب و (بى وقوف) بمعنى أحمق و (بى لطف) بمعنى غير لذيذ ، الجزء الثاني من كل كلمة عربي لكنه من ناحية أصل المعنى العربي متغير تماماً .

القسم الخامس (التصرف اللفظي في التركيب) :

ومن هذا القسم كلمة (نا قابل) ، بمعنى غير صالح ، (قابل) كلمة عربية لكنها رُكبت تركيباً أردياً بـ (نا) بمعنى (غير) ومنه (نا لائق ، نا مساعد ، نا ملائم ، نا معقول ، نا معلوم ، نا مناسب ، نا موافق) ومعانيها واضحة .

القسم السادس (التصرف اللفظي والمعنوي في التركيب) :

ومن هذه الطائفة كلمة (نا شكر) بمعنى (غير شاكر) كأن المصدر استعمل صفة مركبة ، وهذا غير موجود في العربية ، وإنكار استعمال المصدر بمعنى الصفة المفردة موجوداً ، ومنها كلمة (نا فهم ، نا قدر ، نا طاقت) بمعنى غير فاهم وغير قادر (بمعنى التقدير) وغير قوي ٠

القسم الثاني من الكلمات (غير متصرف فيها) :

هذا القسم يتعلق بالكلمات التي بقيت على عربيتها ولم يحدث فيها تصرّف ، وعدد هذا النوع من الكلمات يكوّن أكثرية غالبة بالنسبة الى اللغات الأخرى ٠ ولو راجع الانسان القواميس الأردية مراجعة خاطفة ، لدهش من كثرة الكلمات العربية التي تغمر مئات الصفحات حتى تبلغ على أوسط تقدير ، ألف كلمة تحت كلّ حرف من حروف الهجاء غير الحروف التي لا توجد في الهجاء العربي ، وهي قلة قليلة ، لكنّ القارئ قد يعذر في تحديد الشواهد ويقتنع بالقليل عن الكثير ، إذ تدوين هذه الكلمات بأجمعها يحتاج الى كتاب ضخم ، مما لسنا بقصده الآن ، وهذه الكلمات مصادر وصفات واصطلاحات دينية وقانونية وعلمية واجتماعية ، وأيضاً هناك أمثال عربية متداولة في الأدب الأردي كما هي لم يطرأ عليها تصرّف :

المصادر العامة : مثل (اتباع ، اتصال ، اتقا (بتخفيف الهمزة وهذه عادة عند الناطقين بالأردية) ، اجتناب ، اجتهاد ، اجلال ، احتراز ، احتضار ، احتياط) وغيرها ألوف من أمثالها ٠

والصفات : مثل (آثم ، آجل ، آخر ، أبله ، أحمق ، أدنى ، أعلى ، أدقّ) ومنها ما يدلّ على اللون فقط مثل : (أبيض ، أبلق ، أحمر ، أخضر ، أدهم ، أزرق) ٠

الاصطلاحات الدينية : مثل (أولياء ، أوقاف ، أوصياء ، امامت ، الحاد ، افطار ، افتاء ، اعجاز ، اعتكاف ، استغفار ، استخارة ، ارتداد ، احرام) .

الاصطلاحات القانونية : مثل (وكيل ، مؤكّل ، موجّل ، معجّل ، مدّعي ، مدعى عليه ، استغاثة ، استرداد ، استحقاق شفع ، استحصال بالجبر ، انفكاك رهن ، انتقال الرهن ، أراضي شاملات ، أراضي لاخراج ، أراضي سكنى ، أداء الشهادة ، أخذ بالجبر ، احضار بالجبر ، ارتكاب جرم ، إجاره ، اتهام ، ابراء الذمة ، محضر) وغيرها ما يبلغ الآلاف .

الاصطلاحات العلمية : منهـا ما يتعلق بالعلوم النظرية كـ (إلهيات ، طبيعيات واقتصاديات ورياضيات ، واجتماعيات وأخلاقيات وسياسيات ونظريات) وغيرها ، وهذه كلها تستعمل بمعانيها العربية بلا تغيير ، وهناك اصطلاحات أخرى تتعلق بالتاريخ والجغرافية والهندسة والرياضيات والقواعد اللغوية ، وهذه الاصطلاحات تبلغ مبلغ الدهشة من الغزارة حتى ليخيّل لمن يدرس هذه العلوم ، أنها ترجمت بمبادئها واصطلاحاتها من العربية ، لكنني أتركها مخافة التطويل ، وأتمم هذه الكلمة الوجيزة بأمثال عربية تجري مجرى الأمثال الأردية بجميع كلماتها وحركاتها ومدلولاتها كـ (خذ ما صفا ودع ما كدر ، المرء يقيس على نفسه ، المكتوب نصف الملاقاة ، الكريم اذا وعد وفى ، الآن كما كان ، الأقرب كالعقرب ، أظهر من الشمس ، مضى ما مضى) . وبتغيير بسيط : (أول طعام بعده كلام ، والله بس باقي هوس) .

* * *

هذا وما زلت أحسبني مقصراً في اعطاء البحث حقه من الاستقصاء والتنقيب ، على أن الانسان كلما فكر في اللغة العربية وصلتها باللغات الأخرى ، وجد من

ناحية غزارتها في المادة ، وتوسعها في الاشتقاق ، وتنوعها في المعاني ، أنها تعمُّ جميع اللغات ، أو بكلمة أصح تأمَّها وتصبح علاقتها باللغات علاقة الأُم ببناتها ، وليس هذا عن توهم أو عقيدة دينية ، بل هي حقيقة منتظرة ، ويمكن أن يلقى الانسان بوادرها اذا تخلى عن تقليد المنهج الغربي في التفكير على غير هدى ، واستغنى عن ذلك المنظار الأسود الذي قد يُريه الحقائق على عكسها ، ويلقنه بأنّ كل ما في الكون بنفسه ، وليس له خالق أو قائم بأمره . وهذا الأسلوب من التفكير ، يحطُّ من مكانة التراث الخالد المجيد الذي شيَّده آباء الشرق لمن خلفهم من الأبناء ، ولا يؤدي إلا الى استعمار لا يجلو بجلاء لأنه يعشش في الرؤوس دون المعسكرات ، وما أخطر هذا الاستعمار وما أرسخ جذوره ، وفي ذلك فليتدبر المتدبرون .

مبارك الباكستاني

التعريف والنقد

بشارة الخوري (الأخطل الصغير)

الهوى والشباب

« دار المعارف · مصر »

الأخطل الصغير لقب غلب على بشارة الخوري ، لم يلقّبه به أحد وانما اختاره لنفسه في الحرب الكبرى الأولى ، لأنه يعجبه من الأخطل خفة روحه وابداعه في اصطياد المعاني على نحو ما شرح ذلك في صدر الديوان .

ومن حسن حظه أن شعره رزق دار نشر في مصر اشتهرت بالإتقان وهي دار المعارف ورزق أستاذاً صاحب ذوق قدّم ديوانه تقديماً بارعاً لأنّ الروحين انسجمتا : روح بشارة الخوري وروح عادل الغضبان ، فقد نظر صاحب المقدمة الى شعر بشارة الخوري فلم يجد فيه الا نفح الريحان ، وشعاع الصهباء ، وحمرة الشفق ، وخضرة الأرز ، ونعومة الحرير ، ورقة خدود الورد ، جُبل هذا كله بندى الصباح ، وبسمة الفجر ، ونفثات النسيم ، فخرج من هذه اللطائف شعر بشارة الخوري ، ولا شك في أن القارئ يرى في هذه التعابير التي انتخبتها انتخاباً من مقدمة عادل الغضبان ولم أنشئها إنشاء تشابهاً في الذوقين ، ذوق الشاعر وذوق صاحب المقدمة ، وقد مضى الأستاذ عادل الغضبان في أسلوبه الرومانطيقي يدلّ على حسنات شعر بشارة الخوري الذي هو قطعة موسيقى تعدّدت فيها الأصوات والنغمات ولكنها صدرت كلها عن قيثارة الهوى والشباب ، في هذا الشعر ، على نحو ما يقول ، ما شئت من بسمات المنى ، وعبسات القدر ، ومن حلاوة الوصال ، ومرارة الهجر ، ومن غفوات النجوم على سواعد السحاب ، أو رقصات الزهر على ألحان الغدير .

اني مضطر الى ذكر هذه التعابير كلها ، وهذه اللغة الشعرية نفسها ، لأثبت ما قلت من أن روحي الشاعر والمقدِّم قد انسجمتا فذابت كل واحدة منها في الأخرى ، فلم تدر وأنت تقرأ مقدمة الهوى والشباب أتقرأ شعر بشارة الخوري أم تقرأ كلام عادل الغضبان .

اذا تكلمت على شاعر من الشعراء فكثيراً ما أتحامى الاهتمام بالموازنة بينه وبين شاعر آخر ، ولا سيما اذا تباعد عصرهما وبيئتهما وما شابه ذلك ، فلذلك أقرأ شعر بشارة الخوري ، ولا أخطر ببالي شعر الأخطل ، وكما لا أهتم بالموازنات فكذلك لا أهتم بالألقاب أو الرتب في الشعر ، فالأخطل كان مرةً شاعر بني مروان ، ومرةً شاعر العرب ، ولكن هذه الالقاب ذهبت أدراج الرياح وبقي الأخطل وحده وشعره وخصائص هـذا الشعر ، فالشاعر لا يبقى إلاّ شعره وأظن أن بشارة الخوري يفخر بأن يكون شاعراً ، وحسبه هذا اللقب العظيم فقد اجتمعت له أدوات الشعر بحذافيرها ، اجتمعت له هذه الصور التي تجعل من الفكر والعاطفة والشعور أجساماً حيةً تراها بعينك ، وتلمسها بيدك ، وتسمعها بأذنك ، واجتمعت لهذه الصور لغة شعرية تتلفّت حيناً الى الصحارى الممتدة من وراء لبنان ، وحيناً الى ما وراء البحر ، ولذلك كانت هذه اللغة تشتد وترقّ ، شدة الصحارى ، ورقة ما وراء البحار .

ومن خصائص الشعراء الكبار أن يتفاوت شعرهم الاّ قليلاً منهم كالبحتري مثلاً ، فهم يرتفعون حتى لا يجدوا مجالاً الى الارتفاع ، ثم تراهم وهم في الهضبة ينخفضون وهذا لا يضيرهم في شيء لأن في ارتفاعهم وانخفاضهم ما يدلُّ على أن عبقريتهم أسيرتهم ، وليسوا هم أسارها ، فهم يخضعونهـا لطبعهم ولا تستطيع أن تخضعهم لمشيئتها ، وسواء اشتمل شعر بشارة الخوري على صور متفاوتة في الحياة وعلى لغة متباينة في الشدة أم لم يشتمل ، إن شعره يروّينا من الهوى ، ويشبعنا من الشباب ، وحسبنا منه هذا الريّ وهذا الشبع ، ولكن شعره يتضمن

شيئاً أكثر من الهوى والشباب ، فان الهوى لا يخلو في بعض الاحيان من الكآبة ، أما شعر بشارة الخوري فانه صورة الحياة الضاحكة المشرقة ، لقد غمرتنا في هذا العصر وفي عصورنا البعيدة كآبة سوداء كادت تعمى معها قلوبنا وتشلُّ أعصابنا ، وتسدُّ عقولنا ، فاشتدت حاجتنا الى أدب يكشف هذا العمى ويدفع هذا الشلل ويفتح هذه العقول ، حتى نستطيع أن نجاري الامم في ميادينها ، فنكون شيئاً مذكوراً .

انا في حاجة الى مثل هذا الشعر :

من كان من دنياه ينفض راحه فأنا على دنياي أقبض راحي

حسبنا الشؤم وحسبنا الخمول المخبوء في طيّه .

ثورة الخيام

عبـد الحق فاضل

لجنة التأليف والترجمة والنشر

لقد كثر الكلام على رباعيات الخيام في السنين الأخيرة ، ويرى الأستاذ الجليل الدكتور احمد أمين في مقدمته الرصينة التي قدّم بهـا كتاب : ثورة الخيام ، أن الناس يقبلون على هذه الرباعيات ، لأنها توافق روح العصر من حيث الملل من الحياة والاستعانة على هـذا الملل بالانغماس في اللذات ، فأحبت لجنة التأليف والترجمـة والنشر أن تضع بين أيدي الناس خيراً كثيراً ، وشرّا كثيراً ، ليأخذ كل واحد منها بحسب عقله وطبيعته .

يظهر أن بين الأستاذ عبد الحق فاضل ، صاحب ثورة الخيام ، وبين روح الخيام شيئاً من الانسجام ، وقد أعانه هذا الانسجام على فهم الخيّام ، وادراك أسرار نفسه ، فأحاط به أتمّ إحاطة ، ولم يتعرّض للشائع المعروف من أخباره وسيرته ،

وإنما تعرّض لما كان له فيه رأي جديد ، أو لما نظر فيه من زاوية جديدة وخالف فيه جمهرة الخيّاميين على حد تعبيره ، وقد اعتمد في هذا كله على ست نسخ فارسية مختلفة ، فاستخرج منها ما لم تسبق ترجمته الى العربية ، وتوخى الدقة الممكنة ، لجهد في نقل الخيّام بأسلوبه وطلاوته ، وتشابيهه واستعاراته ، حتى ينقل الذوق الفارسي والأسلوب الخيامي الى العربية .

ولا ريب في ان الذي يطالع ثورة الخيام يعثر على كثير من الجد في هذا الكتاب ، فان صاحبه عمد الى ما نسب الى الخيام من الشعر العربي ، فاطلع على روحه في هذا الشعر ، ثم قابل بين روحه في شعره العربي وبين روحه في شعره الفارسي ، فوجد الانسجام في الروحين ، وفي هذا النوع من العمل غاية في التحقيق .

لقد كشف المؤلف عن أكثر نواحي الخيام ، فتكلم على عقليته وعقيدته ، وشخصيته وفلسفته ، وقال فيه : انه جمع الفلك الى الفقه ، والطب الى قراءات القرآن ، والفلسفة الى علوم اللغة ، والشعر الى الكيمياء ، واللاهوت الى الرياضيات وهو في هذا كله في الطبقة الأولى ، واختص بالفلك والرياضيات .

وأضاف الى جلالة هذا العلم روعة الفن ، فذاعت رباعياته في الدنيا ذيوع ألف ليلة وليلة .

***

هذا ما يتعلق بالكتاب نفسه ، أما الخيّام فقد ثار في شعره على كل شيء ، ثار على المجتمع والدجالين والدين والسماء والدهر والأفلاك ، وقد يجد القارئ في ثورته على بعض الأخلاق الزائفة في رجال الدين ورجال المجتمع شيئاً من الصواب ، لأنه يجد شبه هذه الأخلاق في كل دهر . إلا أن المستغرب أن لا يكون دواء مثل هذه الثورات إلا في الخمر :

اشرب الخمر لقد قلنا وقلنا لك الفا
ان توليت توليت فليست لك رجعة !

ان العصر الذي نعيش فيه يختلف عن العصور السابقة ، من حيث التفكير والنظر الى الحياة ، لقد كثر في أدبنا الشؤم ، وشاعت فيه الكآبة ، فنظرنا الى الدنيا من وجهها الأسود الكالح ، فقعد بنا هذا النظر عن العمل ومجاراة الأمم السريعة في مشيها ، وانحصرت حياتنا في الشكوى من كل شيء : من السياسة والمجتمع والحياة كلها ، فكانت حياتنا على تعبير هذا العصر سلبية ، ولم تكن ايجابية ، والدنيا في هذا الزمن تغيرت ، فان عصرنا انما هو عصر الذرة ، فالأمم تتسابق في مخترعات العلم ، ولا شك في أن شيوع المرح في طبقاتها يعينها على هذا التسابق فلو شاعت فيها الكآبة وكانت هذه الأمم تقضي حياتها في الشكوى ، وفي الشكوى وحدها لأسرع اليها الفناء .

من أجل هذا ان شيوع روح الفجر والشؤم في الشرق كله ، قد يقعد بهذا الشرق عن مجاراة الأمم العظيمة ، فنحن بحاجة الى أدب فيه فرح وبشاشة ، وقد تكون البشاشة في غير الخمر ، قد تكون البشاشة في العمل نفسه ، وشهدنا الأمة التي تعمل ويكاد يكون العمل إلهها المقدس ، فهي أمة تمرح وتهش وتبش ، ولم تجعل الكأس ديدنها ، وإنما تأخذ منها بقدر .

وليت روح الخيام كلها من روح هذا البيت :

لا تضيق سعة الدنيا على قلبك فافرح
ان تزيد الرزق أو تنقصه بالكدر . .

ما أشدّ حاجتنا الى هذا الفرح !

شفيق جبري

صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار

تأليف محمد بن عبد الله بن بليهد النجدي

مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٠ = ١٩٥١

لا أزال أذكر الضجة الكبرى التي أثارها الدكتور طه حسين حين نشر كتابه « في الشعر الجاهلي » ونشر فيه نظريات المستشرقين حيال هذا الشعر وأمكنته عبقريته أن يزرع في نفوس جيلنا بذور الشك حيال أشعار الجاهلية وأخبارها وعاداتها ، وعلى الرغم من مرور ربع قرن على موت تلك الضجة ، فلا تزال في بعض النفوس علالات من ريب مبعثها الجهل بحياة عرب الجاهلية وامتزاج الصحيح منها بالموضوع ، والصادق بالزائف .

وأعترف أن الكتاب الثمين الذي وضعه السيد محمد بن بليهد النجدي وأسماه «صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار » من الكتب القمينة بتبديد كل ريب ، وبنقل القارئ من غير جهد الى جو الجاهلية في شتى مظاهرها ، ولئن كانت غاية المؤلف من كتابه هذا ـ كما جاء في مقدمته ـ « معرفة ما ورد في الأشعار الجاهلية ، وخاصة المعلقات ، من الأودية والجبال ، والمياه والتلول ، والرياض والبلدان العامرة والدارسة ، ومعرفة ما بقي منها الى يوم الناس هذا على اسمه الأول ، وما اعترى اسمه شيء من التغيير » ـ فانه قد تجاوز هذه الغاية ، فأضاف الى جغرافية بلاد العرب ، الموازنة بين حياة الجزيرة العربية الحالية وحياتها الجاهلية ، من حيث أسماء الأماكن ومواطن القبائل ، وطرق المواصلات ، ثم اطلعنا على مقومات حياة البادية التي « لا تتغير الا اذا تغيرت البادية » ، من حروب قبلية وقعت في أيامنا في مثل الأماكن التي وقعت فيها أيام العرب ووقائعها ، ولمثل الأسباب والدوافع ، ومن روابط القرابة ، وحقوق الضيافة والجوار ، ومن عادات الثأر بحيث يتخيل الانسان المجتمع الجاهلي بكليته حياً واضحاً ، ويحل الشعراء الجاهليين محلهم الصحيح في مجتمعهم المنسجم .

وضع المؤلف كتابه في أجزاء أربعة ، وتطور منهاجه باتساع مناحي القول ، وتشعب شجون الحديث ، فقد كان يقصد البحث في الأماكن الواردة في المعلقات العشر ، وهو ما آخذه عليه بعض ناقديه ، ولكنه وقد نفض يده من المعلقات العشر ، جعلها القسم الأول من كتابه ، وبحث في القسم الثاني «أماكن وردت في غير المعلقات لشعراء مختلفين» ، وجمع القسمين في مجلدين ، حتى اذا أنجزهما وجد مجالاً للزيادة ، وألح عليه محبو العربية أن يستمر في عمله فوضع الجزءين الثالث والرابع ، ورتب فيهما البحث بحسب ألفاظ الأماكن الواردة في معاجم البلدان وما هو في حكمها ، مثل كتب ياقوت والبكري والهمداني .

طريقة المؤلف

اعتمد المؤلف في بحثه طريقتي المشاهدة والاستدلال ، فقد كان يقرأ القصيدة ويدرس مناسبة قولها ثم يعين مواقع الأمكنة الواردة فيها ، ويقارن ما جاء في المعاجم مع مشاهداته الشخصية في أنحاء الجزيرة العربية ، ولا يستطيع من يقرأ الكتاب بتدبر ، الا أن يعجب بالجهد الذي بذله المؤلف لتصحيح أقواله ، ولاستكمال المعلومات التي تنقصه ، فاذا شاء تحديد مكان سوق عكاظ جمع ما قيل بشأنها من نصوص ، ثم قام برحلة استغرقت زمناً طويلاً ، وما زال يطبق معلوماته على الأمكنة حتى حدد المكان وزاره مع سمو الأمير فيصل السعود وصحبه ، للتحقق من صحة ما ذهب اليه ، ثم وضع مخططاً للسوق نشره في كتابه (ص ٢١٠ ج ٢) . واذا شاء وصف خطوط المواصلات بين جدة والرياض فالكويت ، قام برحلة خاصة تحدث عنها في أكثر من أربعين صفحة ووصف فيها الطريق وكأنك تراها : جبالها ووديانها وكثبانها وعلائمها ، وما اتصل بها من شعر أو نثر أو خبر ، حتى يصل بك الى الكويت (١٣٧ ج ٢) ، واذا أشكل عليه معرفة مكان ولم يستطع أن يبحث عنه بنفسه كلف من يبحث عنه كما صنع حين أراد معرفة جبل «راكس» فأرسل رسولاً خاصاً ينقب عنه

وحدّد له المناطق التي يتوقع أن يجده فيها ؛ وعاد الرسول بعد شهر وأخبره أنه وجد الجبل ووجد كثيب الرمل المجاور له والمسمى «أبرق راكس» (المقدمة) .

وآية اخلاص المؤلف وثقته بنفسه أنه نشر في الجزء الثاني من كتابه كل ما ورد عليه من النقد ، وجوابه على أقوال ناقديه وتجريحها بالحجة والمشاهدة ، وتلك لعمري سنة حسنة قلّ من يستطيع اتباعها .

هذا الحرص على تحري الحقيقة ، أتاح للمؤلف أن يصحح ماقاله أصحاب المعاجم عن جغرافية جزيرة العرب ، وأن يصحح أخطاء وقع فيها بعض كبار مؤرخي الأدب في زماننا ، وقد أشار المؤلف الى ذلك اشارات كثيرة في كتابه نكتفي بذكر بعضها : قال المؤلف وهو يصف الطريق بين جدة والكويت : «ثم تصل مراة ، وهي البلد التي كان فيها الاختلاف بين كتاب هذا العصر ، منهم من قال : انها بلد امرئ القيس الكندي الشاعر المشهور ، ومنهم من قال انها بلد امرئ القيس التميمي ، وأنا مع من قال انها بلد امرئ القيس التميمي ، فاذا كانت الشمس تلتبس على أحد فهذا الموضع يلتبس علينا ... الى أن يقول : لم يسكن بهذه البلدة امرؤ القيس الكندي ، بل ولم يمرّ بها في تجوالاته ، لأنه لم يذكر من المواضع موضعاً قريباً منها ولا في جميع نواحيها ، ومن ذكر من أهل المعاجم أو الكتب أن الدّخول وحوملا وتوضح والمقراة ومأسلا ودارة جلْجل في اليمامة فقد أخطأ ، بل المواضع التي مرّ ذكرها موجودة بأسمائها يرى بعضها من بعض ، وهي في عالية نجد الجنوبية منها ..» . (ص ١٦٦ ج ٢) .

وقال في معرض الكلام على «ضلفع» بعد أن ذكر تخبط المعاجم بشأنها : «ولكن أهل المعاجم الذين يوردون الشواهد على الأسماء ليس لهم علم بما اتفق منها واختلف» (ص ٨٥ ج ٢) .

وقال في صدد الكلام على (شطب) : «وكان منشأ خطأ الشراح انهم رأوا عبيد بن الأبرص يذكر شطباً وهو أسدي فظنوا أن هذا الجبل واقع في بلاد بني أسد» (ص ٧٣ ج ٢) .

وقال في صدد الكلام على (كتيفة) : «أنا أعرف اليوم ستة أجبل صغار في بلاد العرب يسمى كل منها كتيفة ، خامسها هو الذي ذكره امرؤ القيس في أشعاره الا الذي ذكره في معلقته كأنه كتيفة مبهل وآية ذلك انه ذكر الجبال المحيطة به في بلاد غطفان كأبانين وقطن والجيدر» .

خلاصة الكتاب

ليس من اليسير تلخيص هذا السفر «المكتشف» ولكن من حق المؤلف علينا أن نضع أمام القارئ صورة مصغرة لما يمثل كتابه من جهد ومشقة وخبرة ، وما يحتوي من ثروة علمية مختلفة الألوان .

الأخبار الأدبية

لم يكن المؤلف يكتفي بتحقيق أسماء الأماكن ومواقعها ، وانما كان يضيف الى ذلك ما يتصل بها من شعر أو خبر ، ففي معرض الكلام على «عنيزة» قال : بعث الحجاج رجلاً يحفر المياه في الشجا بين البصرة ومكة ، فقال له : احفر بين عنيزة والشجا حيث تراءت للملك الضليل ، ـ يعني امرأ القيس ـ حين قال :

تراءت لنا بين النقا وعنيزة وبين الشجا مما أحال على الوادي

وقال في معرض الكلام على (وادي الحفر) : «يعرفه عامة أهل نجد لأنه باق بهذا الاسم ، وقد كان المستعين العباسي أمر والي مكة في زمانه أن يحصي حفظة القرآن من أهل الحفر الذين قصدوا مكة للحج فكانوا احدى عشرة مائة رجل ، وقد خلا اليوم فليس فيه إلا الوحش والطيور» . (ص ١٣٢ ج ١) .

وقال في معرض الكلام على (الصمان) : «قال ياقوت ... قال المؤلف : الصمان مشهورة عند جميع العرب القاطنين في نجد ، حدودها معروفة وقد قال الأصمعي : اذا ربعت الصمان أخذت العرب جميعاً . وفي رواية عن الأصمعي

عن الصمان قال : من تربع الصمان ، وشتى في الدهناء ، واصطاف الحمى فقد أدرك المرباع وحدوده معروفة ، وقد قلت هذه الرواية للأمير شكيب أرسلان أيام اقامته عندنا في الطائف فقال : كيف ان الأصمعي يحرم الشام من الربيع ، فقلت له ان رجلاً من الأعراب في الشام لما رأى المكّاء قال :

الا أيها المكاء مالك هاهنا ألاء ولا شيح فأين تبيض
فعرج الى أرض المكا كي واجتنب قرى الشام لا تصبح وأنت مريض

فقال لي : ان هذا الاعرابي نجدي وأبطأ مع جيش المسلمين فعاف الشام والاقامة فيها (ص ٢٠٣ ج ٤) .

وقال في معرض الكلام على وهط (ص ٢٤٦ ج ٤) : قال ابن الاعرابي : عرش عمرو بن العاص بالوهط الف الف عود كرم على الف الف خشبة ، ابتاع كل خشبة بدرهم فحج سليمان بن عبد الملك فمر بالوهط ، فقال أحب أن أنظر اليه ، فلما رآه قال : هذا أكرم مال وأحسنه ما رأيت لأحد مثله لولا ان هذه الحرة في وسطه فقيل له : ليست بحرة ولكنها مسطاح الزبيب (وكان زبيبه جمع في وسطه فلما رآه من البعد ظنه حرة سوداء) ...

قال المؤلف : (وهط) .... « وقد خرجت مع سمو الأمير فيصل الى موضع (السد) المجاور للوهط فرأينا هناك مسجداً قديم البناء ومحيط به مقابر ووجدنا على نصائبها كتابات على كل قبر اسم صاحبه فلان بن فلان السهمي وعلى النصيبة تاريخ وفاة صاحبها وأكثرهم ماتوا في القرن الثاني والثالث ، فلا شك ان هذا الموضع يملكه رئيس بني سهم بن هصيص وهو عمرو بن العاص وقبيلته السهميون أهل تلك المقابر ، فسبحان من يرث الأرض ومن عليها » .

وقال في معرض الكلام على « ركبة » ، أرفع موضع في نجد ، قال عمر ابن الخطاب : لأن أخطئ سبعين خطيئة بركبة ، أحبُّ اليَّ من أن أخطئ خطيئة واحدة بمكة » .

اندراس المدن القديمة

وصف المؤلف حادثاً هاماً يقع في جزيرة العرب هو اندراس مدن عامرة واختفاؤها تحت الرمال ، فقال في صدد حديثه عن أبرق الحنان) :

«ابرق الحنان» : وهو كثيب مرتكم ، اذا ارتكت رماله وتساقط بعضها على بعض من تحريك الرياح سمع له حنين ولا يزال الناس يسمون ذلك الى هذا العهد ، ولا أشك أن هذه الأصوات التي تسمع فيه ناشئة عن نزول الرمل من أعلاه الى أسفله ، وفي رواية صاحب معجم البلدان : قالوا سمي بذلك لأنه يسمع فيه الحنين ، فان الجن فيه تحن الى من قفل عن ذلك المنهل «منهل يجاوره» .

هذا كلام أهل الجاهلية ، فأما كلام الأعراب فيقولون : انا نبيت تحت هذا الكثيب ونسمع فيه الأصوات المزعجة المختلفة الجرس ولا نشك أنها أصوات الرمال اذا تهايل بعضها على بعض ، ولا أعرف في نجد كثيباً له حنين وأصوات الا هذا الكثيب ، ثم يقول :

«أعرف أكثبة مرتكمة في الجنوب الغربي من تاذق وهي أكثبة ارتكم بعضها فوق بعض ثم زاد هذا الارتكام وسار قليلاً قليلاً وترك مدينة تاذق على شماله وهو يمشي وتتاخمه محلة من تلك المحلات يقال لها الشعيبية مختلطة بمدينة تاذق ، فعزم أهل تلك القرية ان يحجزوا دونه ، واستصرخوا بأهل المدينة فلم يجد ذلك شيئاً بل ردم ما فيها ودفن القصور والنخيل واضطر أهلها الى أن يرحلوا عنها ، ورأيتها بعد ذلك فاذا القصر الذي طوله خمس عشرة قامة الى عشرين قامة لا يظهر منه غير شرفاته العالية ، واذا النخلة السامقة في الجو لا ترى منها الا أطراف جريدها ، وعلى الجملة فان هذه القرية قد انطمست تحت الرمال (ص ٧٠ ج ٢) .

أيام العرب

فسح المؤلف في كتابه مكاناً لأيام العرب ، قديمها وحديثها ، ولم يفته أن ينبه على أسبابها ، وعلى وقوعها في الأمكنة الواحدة في القديم والحديث . ففي

صدد الكلام على (سوقة) (ص ١١١ ج ٢) قال : «كان فيه موقعة في الجاهلية بين بني تميم وبني قشير ، وحدثت به وقعة أعظم في أوائل القرن الرابع عشر بين عتيبة ومطير ، وكان من عادة العرب في الجاهلية اذا نزل المطر في جهة من الجهات وأخصبت انتقل اليها من لم تخصب منازلهم ، فان منعهم أهل تلك الناحية رعوه رغماً عنهم واقتتلوا عليه فان شاء أهل الخصب ألا يقاتلوا أذنوا للقادمين أن يجاوروهم ويرعوا معهم على أن يصنعوا ذلك معهم اذا أخصبوا» .

وقال عن (شعب جبلة) : «وكان فيه يوم بين بني عامر وبين بني تميم وهو من أعظم أيام العرب وهو أول يوم سيقت فيه إبل للقتال ، وفي العهد القريب وقع يوم في سنة ١٣٤٨ بين عتيبة برقا والروقة ، انهزمت فيه برقا وانتصر الروقا ، وهم من بقايا بني عامر التي انتصرت على تميم في ذلك الموضع .

وقال عن يوم النسار (ص ٦٤ ج ٢) وانا أعرف النسار المذكور يقيناً ، كان به ثلاث وقعات في الجاهليــة ووقعة في مبتدأ القرن الرابع عشر عظيمة بين عرب نجد .

وقال أيضاً (ص١٠٣ ج ٢) : «وفي طخفة يوم من أيام العرب المشهور ، وفيه يوم بين العرب المتأخرين في سنة ١٣٤٨ بين حرب وعتيبة» .

وبعد أن ذكر طائفةً من أيام العرب وأمكنتها ، وفصل وقائعها ، قال : «نحن نقول أن المواضع التي تكون فيها معارك في العصر الجاهلي ثم لا تكون فيها معارك في العصر الحديث أقل من المواضع التي تتكرّر فيها المعارك بين القديم والحديث» .

على أنه لم يفته أن يذكر ان هذه المعارك انتهت أيامها بفضل النظام الجديد الذي ساد الجزيرة العربية . قال المؤلف بعد أن ذكر (قضة) التي كانت فيها وقعة بكر وتغلب العظمى في مقتل كليب ـ والجاهلية تسميها حرب البسوس ـ : «أوردنا هذه العبارة وما قبلها ليطلع القارئ على حال العرب في جاهليتهم وتقاتلهم وتفانيهم بينهم ، وأوردنا قصيدة الأخنس البائية لذكره تفرق العرب ومنازلهم

وديارهم وورث هذه الحروب أبناؤهم من بعدهم ففعلوا كما فعل أسلافهم فلم تمسكن هذه النعرة الا في النصف الثاني من القرن الرابع عشر بوجود صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود فأزالها من قلوبهم وألسنتهم بفطنته وسياسته الحكيمة » (ص ١٠٩ ج ٤) ٠

الحياة الاجتماعية

يتضمن الكتاب ثروة ضخمة من المعلومات عن الجزيرة العربية ، فتكلم المؤلف على عادات أهل نجد (كالضيف والطنب والبطن ـ فنجان قهوه ـ والخوى) وغيرها من العادات العربية وأخبار الصيد والقنص ، وأخبار لصوص العرب وشطارهم ، وتحدث عن المعارك في نجد ، وختم كلامه عنها بما نصه : « فأما في عهد جلالة الملك عبد العزيز فقد انطمست تلك العوائد جميعاً فلا يحتاج أحد الى (خوى) ولا الى (اخاوة) ولا الى (جار) ولا الى (عاني) ولا الى (علقة) جميع تلك العوائد قد انقطعت وكلها من الله سبحانه وتعالى ومن حكمة جلالة الملك وتأديبه لمن خالف فانه لا يعرف مثيل لهذا الأمان لا في الأوائل ولا في الأواخر (ص ١٣١ ج ٢) ٠

الشعر النبطي

ثم كتب فصلاً خاصاً بالشعر النبطي ، ويعني به الشعر العامي في الجزيرة العربية وقد دل على معرفة واسعة بهذا الشعر وعلى تذوق للشعر العربي القديم اذ ذكر طائفة من الأشعار النبطية وأظهر كيف أخذت معانيها من أشعار جرير والفرزدق والأعشى وغيرهم من شعراء العربية (ص ١٨٩ ج ٢) ٠ وبحثه هذا جديد طريف يجدر بنا ان نسوق طرفاً منه ، قال المؤلف :

« يعلم قارئ هذ الكتاب اني استشهدت بأبيات من الشعر النبطي في ذكر بعض المعارك وهي أشعار مستقيمة الوزن كالأشعار العربية فأهل الأشعار العربية عرب على فطرتهم وهؤلاء أعني اهل الأشعار النبطية عرب على فطرتهم حذوا

في كلامهم حذو قوم من أهل البادية كانوا يعيشون كما يعيش العرب في بواديهم ، وأصل مساكنهم البطائح التي بين العراقين : العراق العربي والعراق العجمي . وقد كانوا معروفين فيه باسم النبيط أو النبط منذ العصر الجاهلي الى اليوم وقد جاء في شعر الأعشى ميمون بن قيس :

وطوفت للمال آفاقه ُعمانَ فحمصَ فأوريشلَمْ
أتيت النجاشي في داره وأرض النبيط وأرض العجم

ويروى عن ابن القرّية وكان في زمن ولاية الحجاج على العراق أنه كان يقول : «أهل عمان عرب استنبطوا ، وأهل البحرين نبط استعربوا» وقال أبو العلاء المعري في احدى لزومياته :

أين امرؤ القيس والعذارى إذ مال من تحته الغبيطْ
استعجم العرب في الموامي بعدك ، واستعرب النبيطْ

ثم قال : وإذ قد عرفت ان طريقة الحياة عند النبط هي طريقة الحياة عند العرب فلا عجب أن تجد توافقاً عظيماً في المعاني التي ذكرها هؤلاء وهؤلاء فيما يتغنون به من أشعارهم . ثم ساق طائفةً من الأمثلة نختار منها مايلي :

قال طرفة بن العبد في مطلع معلقته :

لخولة اطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وقال محمد بن لعبون من شعراء النبط :

هلْ الدّارْ ياعوّادْ الا َمنازِلْ سباريت يا َعوّادْ َخفية رُسومْها
يلوح السنا فيها كما لاحْ زَرْقه على َخدْمي َمن بقايا وشومْها

فأنت اذا تأملت قول طرفة وجدته ذكر الأطلال ، ثم ذكر الآثار وشبهها بالوشم على اليد ، واذا تأملت قول ابن لعبون وجدته ذكر الأطلال وشبه الآثار بالوشم على الخد .

قال زهير بن أبي سلمى في معلقته :

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن تحملن بالعلياء من فوق ُجرثُم

وقال محمد بن لعبون :

تبصر خالي هل ترى من ظعائنْ تقافتْ على حد الشفا من خرومها

تنحّتْ عن الحزْمْ اليماني وقوّضتْ على شاطي الجرعا تقوّت اعزومها

انظر تجد زهيراً يسأل خليله هل رأى الظعائن ، وتجد هـذا المعنى بعينه وبألفاظه في قول ابن لعبون .

قال جرير بن عطية :

ان الذين غدوا بلبك غادروا وشلاً بعينك لا يزال معينا

وشبه ذلك قول فهيد بن عويد الحجاج راعي الأثلة :

الشيخْ شدْ وراح قدمْ الصلاةِ واللي رحلْ ما يلتفتْ للمقيمين

منْ عقبْ ما قفّوا وراوار داتِ غدوا بقلبي وأبقوا الدمع بالعينينْ

جرير ذكر أنهم أبقوا وشلاً بعينه معيناً ، وابن عويد يقول : غدوا بلبي وأبقوا الدمع بالعين .

قال ابن مقرب :

فمن لم يقدها ضامرات الى المدى تقدْ نحوه عوجُ البرى والشكائم

وشبه ذلك قول ابن عريضة :

من لا يقودْ الخيلْ يمْ حفيفهْ ان قادها والا عليه تقاد

كلام الشاعرين النبطي والعربي معناه واحد ، ان لم تصل العدو في أرضه وصلك في أرضك .

قال أعشى قيس راعي منفوحة :

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة للجن في الليل في حافاتها زجل

وشبه ذلك قول محمد بن لعبون :

في صحصحْ كنهْ قفا الترس مقلوب طربْ به الجنى على قفدهْ الذيبْ

والمعنيان متطابقان ، ذكر الأعشى أن الأرض كظهر الترس ، وذكر

زجل الجن . والزجل الصوت ، وفي قول ابن لعبون ذكر المهمه وشبهه بالترس ، وذكر أن الجني طرب في هذا المهمه على فقده الذيب ، والذيب لا يقيم الا قرب ماء . فكانت هذه المفازة الأخيرة أبعد من الماء من المفازة التي قبلها .

منازل القبائل العربية

وكذلك عرض لمنازل العرب في الجزيرة العربية فقال : « سألني بعض أهل الأدب ، هل بقي من العرب قبيلة في منازلها من العهد الجاهلي الى هذا العهد أجبته ... وذكر القبائل التي بقيت في أمكنتها والقبائل التي نزحت عنها ومنازلها في العصر الحاضر » (ص ١٨٥ ج ٢) .

وقال بصدد حديثه عن « جنب » بعد أن أورد ما قاله ياقوت بشأنها قال المؤلف : « (جنب) الذي في اليمامة قد انقطع ذكره والذي أعرفه الى هذا العهد مصغراً يقال له جنيب ماء في شعب من فروع وادي نساح في عرض جبل ترده السفار وقد وردته وقد مرّ ذكره . وأما جنب فهم بطن يماني معروف بهذا الاسم الى هذا العهد . وهم من عبيدة قحطان وجميع بطون قحطان الموجودين في نجد لا يعرفون (كهلان) ولا (همدان) ولا (خولان) ولا البطون الباقية التي يرون عليها في نسبهم قبل أن يصلوا قحطان وقد رأوا التمسك هذا بالنسب الجامع لهم أهون وأخصر » .

الجغرافية الاقتصادية

ولم يفته أن يذكر طرفاً من الجغرافية الاقتصادية لجزيرة العربية فتكلم على معادن الملح وأمكنتها ، وعلى معادن الفضة وذكر بعض وقائع تتصل بذلك فقال : « أما معادن الفضة ، في بلاد باهلة فمعروفة الى هذا العهد ، معادن فضة وغيرها من نحاس وحديد وذهب ، وقد أمرني وزير المالية عبد الله السليمان أن أكتشف له هذه المعادن فبعثت اليها مندوبين من قبلي على أن يستخرجوا

من كل معدن أحجاراً ويكتبوا اسم الموضع فأحضروا ما يقرب من خمسة وعشرين طرداً مختلفة الأشكال في لونها وأسمائها ... (٢٣٣ ج ٤) .

هذه خلاصة غير وافية عما يتضمنه الكتاب من كنوز ، ولقد كان لصاحب السمو الملكي الأمير فيصل آل السعود فضل الأمر بتأليفه ، ولمعالي السيد عبد الله السليمان فضل الانفاق على طبعه ، وحبذا لو يتاح للمؤلف اعادة طبع الكتاب واعادة النظر بمناهجه ، وببعض أخطاء نحوية يتضمنها الجزآن الثالث والرابع ، والنظر بالأماكن الواقعة في سورية والعراق ومصر فيزورها ويراجع ما كتبه عنها ليأتي ذلك منسجماً مع العناية التي بذلت في تحقيق أسماء الأمكنة الواقعة في قلب الجزيرة العربية . الدكتور احمد السمان

مجمع اللغة العربية

معجم ألفاظ القرآن الكريم

(الجزء الأول)

الهمزة والباء والتاء والثاء

هذا عمل من أفضل الأعمال التي تجلت على أيدي أولئك الأعضاء الأجلاء لمجمع اللغة العربية بمصر ، فقد دعاهم داعي الواجب الى وضع معجم خاص بألفاظ القرآن الكريم – أي تفسير كلماته ، لأنها هي السبيل الى فهم آياته ؛ فندب المجمع لذلك طائفة من أكابر رجاله وأشهرهم اشتغالاً بالعلم ، وخدمة لهذه اللغة الكريمة ، وتجد أسماءهم وأسماء الأساتذة المنتدبين من غير أعضاء المجمع ليكونوا عوناً لهم في هذا العمل الجليل . وقد عقد المجمع جلسات كثيرة في دوراته السنوية لإنجاز هذا الموضوع ، فكان من ذلك أن طلع الجزء الأول على الصيغة التي تم الاتفاق عليها في ترتيب هذا المعجم المبارك . وقد ذكر في مقدمته طريقتهم في وضعه ، ومنها أن يذكر بعد كل معنى عدد الآيات التي جاءت فيها الكلمة

بهذا المعنى ، ويكتفي بمثال ، ثم تذكر السور وأرقام الآيات الأخرى ، وينص على المعاني اللغوية كلها ، ويبين نوع الفعل والمصدر ، وتذكر المشتقات التي وردت من هذه المادّة . وقد جاء هذا الجزء في مائة وخمس وثمانين صفحة بدئت بلفظ « أبّا » وختمت بكلمة « ثيّبات » .

وهذا مثال مما ورد (في ص ٦٩ و ٧٠) في تفسير التأويل الوارد في آيات من عدة سور :

« أوّل الكلام وتأوله : فسره وبين المراد منه ، والتأويل التفسير ، وتبيين ما يؤول اليه الأمر من الكلام » . وأوضح أن لفظ (تأويل) ورد سبع مرات في سورة يوسف والكهف . و (تأويلا) مرتين في سورتي النساء والإسراء و (تأويله) ثمان مرات في سورة آل عمران والأعراف ويونس ويوسف مشيراً الى أرقام الآيات في كل سورة .

أقول : أما ما ورد في سورة الأعراف (٧ : ٥٣) « هل ينظرون إلاّ تأويله ؟ يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبلُ قد جاءت رسل ربنا بالحق » فالمراد ما يؤول اليه الأمر من وقوع ما أخبر به القرآن من أمر الآخرة . وفي سورة يونس (١٠ : ٣٩) « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ، ولمّا يأتهم تأويله » وهو ما يؤول اليه الأمر من ظهور صدقه ، ووقوع ما أخبر به . وفي سورة يوسف (١٢ : ١٠١) « وعلمني من تأويل الأحاديث » فتأويلها هو الأمر الوجودي الذي تدل عليه ، وهو فعل لا قول كما في قوله : « هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً » أي هذا الذي وقع من سجود أبويه واخوته الأحد عشر له .

فتبين من هذه الآيات أن لفظ التأويل قد ورد في القرآن بمعنى الأمر العملي الذي يقع في المآل ، تصديقاً لخبر ، أو رؤيا ، أو لعمل غامض يقصد به شيء في المستقبل كما أوضحه بعض أئمة اللغة والدين .

أثاب الله مجمع اللغة العربية أفضل الثواب على اهتمامه بوضع هذا المعجم الكبير ، وأعانه على إتمامه .

تفسير القرآن الكريم (الجزء الأول)

تأليف

محمود محمد حمزة ، حسن علوان ، محمد أحمد برانق

فسر القرآن هؤلاء الفضلاء ـ وهم من أساتذة المدارس والمعاهد ، ومن مفتشي وزارة المعارف المصرية ـ فسروه بباعث الإيمان والوجدان ، إذ ليس لديهم مال ينفقون منه في سبيل الله ، ولا سلطان يدخرون أجره عند الله (فليكن زاد الدارين ، وذخر الحياتين تفسير القرآن) كما قالوا ولنعما فعلوا .

يقع هذا الجزء في نحو مائة صفحة بالقطع المتوسط ، وطريقتهم فيه أنهم يوردون بضع آيات من السورة ، أو بضع عشرة آية منها ، أو أكثر من عشرين آية جملة واحدة ، مشكولة شكلاً تاماً ، ثم يشرحون الألفاظ شرحاً موجزاً جامعاً لمفرداتها ، ويأتي بعده (مجمل المعنى) الذي تضمنته آياتها ، وهذا مثال من تفسير « الحمد لله رب العالمين » : (الثناء والشكر لله وحده الذي يدبر أمور المخلوقات ، ويربي عالم الإنسان والحيوان والنبات في الدنيا بالحياة والغذاء والتناسل ، فيمنحها من نعمه ما يحفظ بقاءها إحساناً منه ورحمة الخ) .

ومن تفسير « إياك نعبدُ وإياك نستعين » أنت يارب المستحق أن نخصَّك بالعبادة ، ونخضع لك باتباع ما أمرتنا به ، وتجنب ما نهيتنا عنه ... كما أنك المستحقّ وحدك لأن نستعينك على جلب الخير لنا ودفع الضر عنا ، فلا نلجأ الاّ اليك ، ولا نطلب المعونة إلا منك ، ولا نتوسل اليك بشفعاء في تيسير أمورنا ، وشفاء مرضانا ، وقضاء حاجاتنا ، لأنك أقرب الينا من حبل الوريد .

ومن « اهدنا الصراط المستقيم » : فدُلنا أيها الإله القادر على طريق الخير ، دلالةً تحفظنا من الضلال والخطأ ، ووفقنا الى السير فيه الخ .

فقد تبين من هذه الأمثلة أن هذا التفسير مدرسي يوضح للطلاب ما هم في حاجة الى معرفته من فهم معاني الكلمات وتفسير الآيات تفسيراً يظهر المراد منها ، بل يستفيد منه سائر المسلمين ، لأنه كتب بأسلوب عذب مقبول ،

لا طويل مملّ ، ولا قصير مخلّ . أما ملحوظاتنا على هذا الجزء من التفسير فكما يأتي :

١ — لم تذكر أسماء التفاسير القديمة ولا الحديثة التي أُشير اليها في المقدمة بقولهم : ولقد رأينا ... أن نرجع أولاً الى المفسرين السابقين والمعاصرين الخ كما أنه لم يُعزَ شيء اليها مما نُقل منها باللفظ أو بالمعنى .

٢ — لم يُسمَّ كتاب من كتب أسباب النزول ، وقد استُمد منها ما أنزل في شأنه القرآن .

لم يرقم عدد آيات كل سورة مع اسمها في أولها كما هو المتبع ، ولا عُدّت حين تفسيرها ، ولم يوضع رقم الجزء المفسَّر ، ولا اسم السورة في رأس كل صحيفة ، ولا تُوّجت الصحائف بخلاصة ما تضمنته من المباحث ، كما جرت عليه كتب التفسير في طبعها الحديث كالكشاف وتفسيري المراغي والمنار ، والأخير هو الذي دلّ على مشتملات الصحائف بالعناوين .

وبعد فإن كتابة هذا الجزء من التفسير بأسلوب شهيٍ حديث ، هو الذي اقتضانا ذكر هذه الملاحظات ، فجزى الله المؤلفين أفضل الجزاء ، ووفقهم الى إتمامه بفضله وإحسانه .

محمد بهجة البيطار

(من صميم الحياة)

اسم كتيب لطيف الحجم ضخم الفائدة ألفه الأستاذ حمدي عبيد أحد أصحاب المكتبة العربية بدمشق وأودعه نبذاً مقتبسة من صميم الحياة الاجتماعية التي يحياها كل واحد من البشر ، وأي انسان يكون سعيداً في حياته من دون (الصبر) و (الاخلاص) و (حب الحق) و يعمل بقوانين (الاقتصاد) ويجتنب (البخل) وسائر المساوئ . وفي الكتاب أشياء أخرى من عيون مكارم الأخلاق . وفي خاتمته نصوص خطب وأحاديث أذيع بعضها في اذاعة دمشق ، فيها عظات وعبر . لمن فكر وتدبر . ويبلغ الكتيب نحو (١٢٥) صفحة حسنة الطبع والحرف والورق . فنثني على مؤلفها خيراً ونلفت اليها الأنظار .

المغربي

آراء وأنباء

كلمة الدكتور سامي الدهان (1)

سيدي معالي رئيس المجمع

حضرات السادة الأعضاء

منذ زمن بعيد ، توافد على الشرق الأوسط كثير من مسلمي البلاد العثمانية في الغرب ، فوجدوا في أفيائه الظل الظليل والمنزل الرحب ، وبلغ بعضهم مرتبة الإمارة والوزارة ، ورَقِيَ بعضٌ الى العروش .

وفي منتصف القرن التاسع عشر للميلاد قدم في الوافدين رجل ألباني الأصل ألقى مراسيَه في شاطئ بيروت ، وراح يعمل فيها ، حتى اذا استقر به الحال سالك في اللبنانيين ودخل في حياتهم وبنى على واحدة من بيوتهم من أسرة الخوري ، وكان من هذا الزواج « احمد » وقد عُرِف بالأرناؤط دِلالة على الوطن وإشارة الى الأصل .

وكان « أحمد الأرناؤط » يعمل بين البر والبحر فيعاشر أمواج البحر وأفواج السفر ، ويقتبس من هذه قوةً ومن هذه اطلاعاً . فلما استراح الى حيّه من بيروت خطب منه وتزوج فيه ورزقه الله بنين وبنات ، وفيهم « معروف » وُلد سنة ١٨٩٢ والقرن التاسع عشر يشارف الاحتضار .

وفي هذه الآونة كانت بيروت تموج بالطلاب وتضطرب باللغات وتهتز بالمنابر ، ففيها مدارس وكليات ، ومعاهد وجامعات ، تختلف اليها الطوائف والمذاهب على ألوانها ومشاربها ، تتنافس في العلم وتتسابق الى الثقافة ووقع في روع الناس أن هذه المدينة تعيد تاريخها القديم حين كانت تحمل الى البحر المتوسط كله شعلة الحقوق ودراسة القانون .

(١) القاها في الجلسة التي عقدت لاستقباله في ٤ شباط سنة ١٩٥٤ بعد انتخابه عضواً في المجمع العلمي العربي .

في هذه الزحمة من نشاط المدارس دخل (معروف) الكلية العثمانية الاسلامية للشيخ أحمد عباس الأزهري أبي الفتيان الأحرار ، وهذه الكلية كانت كمثيلاتها قوة في العربية ووقوفاً على الفرنسية وتمرساً بالخطابة وعكوفاً على القريض والكتابة . وكان الشعر واسطة السباق في الحلبة وشارة النبوغ في الشباب ، يدوي في بيروت فتحفظه الصدور وتعيه القلوب .

ولم يتخلف معروف الفتى عن هذا الركب ، فقد وهبه الله لساناً لافظاً وقلباً حافظاً ، فشارك في القول وخاض في المعركة ، وكانت بيروت تسمع لشكيب أرسلان وخليل مطران واليازجي والبستاني ، تنتشي بقصائدهم وخطبهم في العرب والعربية ، وتشغل ليلها ونهارها بهذا الجدل المتصل حول الاشتقاق واللغة ، والعامي والفصيح ، وتموج على المعاجم وقد غمرت السوق ، طوراً تصدر عن اليسوعية ، وطوراً تطبع في الأمريكية ، وأحياناً تنبثق من الحكمة والكلية العثمانية .

في هذا الجو المضطرم بالخطابة والكتابة والشعر نشأ معروف ، فداعب ربة الشعر حيناً من الزمن ، وتعلق بالترجمة ، وردد ذلك على صحبه واخوانه .

ولما احتفلت بيروت لتكريم الشاعر معروف الرصافي ، ووقف الجهابذة ينشدون ويتفننون ، صعد في أقصى السلم فتى في السادسة عشرة من عمره ينشد قصيدة في الحفل ، فتلفت اليها القوم ، ونظروا الى الفتى نظرة النسر الى وليده ، يكتسي بالريش ويتقوى بالريح ويحدق الى السماء ليخفق بجناحيه بين النسور .

وقرأ الناس ببيروت في صحف : « البلاغ ، والرأي العام ، والاقبال » ترجمات عن الفرنسية في المسرحية والقصة ومقالات في الأدب وقصائد ، فتساءلوا عن هذا الفتى يجمع بين جنبيه طموحاً الى عربية محلقة لا تنزل عن خيال الابتداعيين الفنائيين ، ففيها جرح وأسى ويأس ، حتى لقد ظن كثيرون أن الفتى طبع على الألم وصرف الى الهم فيما يترجم عن الغربيين ، وخيل اليهم أنه فطر على العروبة فيما يتخيل ويكتب ، أو أنه يحلم بامبراطورية فسيحة في مملكة القلم ، جناحاها الأدب الغربي وقلبها رسالة العروبة .

ورأى الناس كذلك كتباً صغيرة مترجمة بقلم معروف الأرناؤط لطائفة من الكتاب الفرنسيين أمثال : (فرانسوا كوبيه ، وتيوفيل غوتيه ، واسكندر دوماس ، والفريد ده موسه ، وجان دارمي ، وميشال زيفاكو) ، تحمل عنوانات مغرية : (حرب المئة ، الستار الأسود ، الصيقلي الشريف ، الطفلان الشريدان ، ديانا ، عذاب الضمير ، تقريع ضمير الملوك ، لادام أوكاميليا ، الابنة الملعونة ، أسرار رومية ، عواطف الإخاء ، روجه لاهونت ، لادام دي مونزو) . ورأوا كذلك كتباً صغيرة أخرى لا يتجاوز الواحد منها في الغالب أكثر من ثلاثين صفحة هي : (عمرو بن العاص ، الحرب في طرابلس ، أدرنة في النار ، الجاسوس الياباني ، الجريمة السورية ، الأخرس القاتل ، ابنة البحري ، نيويورك الخفية ، تاريخ الأدب في الجيل التاسع عشر ، القاهرة ، وهي أكثرها روايات وأقاصيص مترجمة لا تحمل اسم المؤلف الأجنبي ، ولا تثير في الأدب إلا فكرة التسلية والمطالعة والمحاولة ، نُشر بعضها في دمشق وبعضها في بيروت . وكانت هذه الكتب سبيلاً الى تمرُّس الشاب باللغتين ، وحبه للترجمة وعكوفه عليها ، والاستفادة من خيالها وأساليبها .

وتلفت الشاب الى المسرحية ، فعمل فيها وشارك في التمثيل فسافر له . وفي بعض أسفاره ، صحب سيدة فرنسية الى المعرة ، فلما وقف على قبر أبي العلاء آنذاك استصغر العناية بالقبر ، وهزَّه الشمم الى الفخر ، فقد أخذت المرأة على العرب إهمالهم لسيد الحكمة الشعرية في القرن الخامس ، لذلك أنشأ رسالة سماها (فردوس المعرّي) سنة ١٩١٥ ، طار فيها على أجنحة الخيال ، فطاف بالأولمب ووصف آلهة الشعر في اليونان ، ثم حطّ رحاله بالبانتيون في باريس ، ونقل لنا قصائد للشعراء الفرنسيين ، وسأل عن موقع المعري بينهم وذرف الدمع أسى حين وازن بين إكبار الغرب لشعرائه وإهمال الشرق لأدبائه .

ولما وقعت الحرب الكبرى وسيق العرب الى المعركة ، حُمل الشاب بين المجندين

برتبة معاون ضابط ، ونقل الى استانبول ، وفيها عاش عيشة الأدباء ، فكتب بعد عشرين سنة يسترجع الذكرى بأسلوب شاعري يقول فيه :

«في صيف سنة ١٩١٦ ، ألقت بي حظوظي الى مغاني استانبول ، وأرادني قدري جندياً من جنود الحرب الكبرى التي روعت العالم قاصيه ودانيه ، فارتضيت ما لا يرتضيه العمر الطري الجني ، ونزعتُ الى منزل صغير في ضاحية (فناريبولى) على الشاطئ الوارف في بحر مرمرة الهادئ ، وصحبت معي الى المثوى الذي اشتمل عليَّ كتاب الله وسيرة نبيه ، وقد حملتهما أمي إليَّ ساعة سفري ، وأوصتني بالرجوع اليهما في محني وكوارثي ، وأمَّلتْ أن أفيء اليها بعد اغتراب ، ودعت لي وللذين يحاربون ويناضلون» .

سادتي ،

أطلت القول في مسارح الطفولة والشباب ، وألححتُ عن رضاً في ذلك لأكشف عن أثر هذه المواطن فيما خلّف معروف الأرناؤط من آثار أدبية . فقد كان رحيله الى استانبول ، وطوافه في مفاتن عاصمة البزنطيين ، واستملاءه للغربة ، وشعوره بعاطفة الدين هي التي أقنعته بعظمة الفتوح ، وردَّته الى شيء من الإيمان حيناً من زمن فاستيقظت فيه فكرة الرواية وتحرك عنده خيال الفخر والاعتزاز .

فالشاب إذاً مدينٌ لينابيع ثلاثة في أدبه هي : المدرسة ، والوالدان ، والرّحلة .

أما مدرسته فقد تلقن فيها وتعلّم ، فأهدى أول كتبه اليها معترفاً بجميلها قائلاً : «الى تلك الأمّ التي أرضعتني من ثديها لبان العلوم ، الى الأم الجامعة بين الاخاء والمساواة والحرية ، الى المدرسة العثمانية مهد المجد والعلم» .

وأما والداه فقد كتب فيهما يقول : «فاني لأحب أن تفلت خواطري فتجوز أودية دمشق وتطير الى ذلك البحر الأزرق الجاثم على قدمي بيروت ، وتفتش في نواحي المدينة التي خلفتُ فيها طفولتي ومراكض شبابي عن قبور هؤلاء الذين

أحببتهم ، وفي هؤلاء أمي وأبي » . وقال يذكر يد أمه عليه : « يوم كانت أمي تجلس إليَّ في ليالي الشتاء لتقصَّ عليَّ أروع ما عرفته عن حياة سيد قريش وصحبه » . وحنّ الى أبيه في استانبول فقال : « وأروح ناظراً الى صورة لأبي معلقة على الجدار فيؤنسني أن بهذه الصورة عينين شاخصتين إليَّ ، وأن فيهما رقةً وعذوبةً ورحمةً ورضا ، كأنهما كانتا ترسلان إليَّ في طريق حياتي ذلك النور الأقدس الذي يضيء قلب المغترب النازح ، فيرى العالم السابح في ليل مآسيه ، كأنما هو قد اكتظ بالضحك ، وتنفض عنه أشباح قتلاه .

وأما رحلته فقد بدأت منذ طوّفت عيناه في السماء والماء ، والصخرة والخضرة ، والزهر والنور ، والسحر والعطر ، وحين تفتح قلبه للشباب وركضت أحلامه في الصبا ، سواء في بيروت واستانبول أم في العراق ومصر وبوادي الشام . وقد كان خياله يطفح بهذه الصور جميعاً فتسيل على قلمه ، وتكتسي بالظلال والألوان ، وتتضمّخ بالطيب والعطر ، فترى فيها الى الزوارق والقوارب تختال أمام عينيه في بيروت ، وتسمع الأنغام التي كانت تنصبّ في أذنيه وهو في بيته الريفي باستانبول ، حيث يقول : « إن هذه الليلة الساجية قد ابتعثتني على كتابة أول أشعاري في الاسلام ، ففي استانبول على الشواطئ الهادرة ، ـ التي لم تشقها سفن أمير المؤمنين معاوية ، ولم تبلغها سفن مسلمة بن عبد الملك في خلافة أمير المؤمنين الوليد ، فجازتها جيوش محمد الفاتح ـ ارتجّ الاسلام في قلبي ووأد أنشودة اسمها (سيد قريش) وانها لحادثة رائعة أتمها الله على يديّ ، في زمنٍ مسحَ فيه انتصار القويّ الحدود الجغرافية ، واستعبد الأمم الصغيرة ، وطوى حرياتها ، وفصل بين غابرها وحاضرها » .

وهكذا يعترف الرجل بأثر الرحلة في نفسه ، وقد رأى فيها مشاهد غريبة ومناظر جميلة ، وألواناً مختلفة من ألم وأمل وسعادة ويأس ، فغطّ ريشته فيها وكانت هذه الآثار التي خلّفها شاهداً على رقة حسه وجميل شعوره ودقيق خياله .

وأروع ما في الرحلة مُقامه في استانبول وبقاؤه على قُرْبٍ من الحرب يسمع أنباءها ويحسّ أخطارها في عاصمة الخلافة ومركز القيادة ، وقد رأى الغرب فاغراً فاه لابتلاع الشرق وتحطيم تيجانه وإذلال جيوشه وقواده ، بعد الفتح الكبير والسلطان الواسع ، ونظر الى العثمانيين من زاوية الدين والرابطة المذهبية وظنّ فيهم حماة المجد السالف وتتمة التاريخ العربيّ ، فآلمه انكسارهم وهمّه تقلص الدولة العثمانية ، فقال يصف أثر ذلك في نفسه : « ولقد خرجتُ – من الحرب – وأنا أحمل في قلبي كثيراً من الهمّ وكثيراً من الشعر ، فأما الهمّ الذي حملته فلقد سرب الى نفسي من انكسار هذه الأمة التي أحبها ومن اخفاقها في جني ثمار كدحها وجدها » .

ولعل نفس الأرناؤط تأثرت خلال الحرب بالدين ، فلاح له التقى عن سبيل الخوف ، وانصرف عنه الورع حين انقشعت سحب الحرب ، فهو يقول واصفاً تلك الحقبة التي قضاها في قريته قرب استانبول : « من ذلك اليوم الذي لا ينسى ذكراه أبناء هذا الجيل المروّع ما جفوتُ محراب القرية خلال صباح وخلال مساء » .

وقد حاول الكاتب من غير شك أن يضع مذكرات لحياته يصف فيها هذه الرحلة والمشاهد ناذا به يصبها في رواياته ويختفي خلف الشخصيات التي يبدعها قلمه ، ولو أتيح له أن يفعل لنافس روسو في اعترافاته . وقد استفاد من الرحلة والأسفار ثقافةً واطلاعاً ، فمالت نفسه الى التواضع ، وجنح قلبه الى البساطة ، ونظر الى الدنيا من خير وجوهها ، وفهمها من أبسط مسالكها ، وضحك لها واستخف بها كما فعل الشعراء العباسيون في عهد الرشيد ، أو كما يفعل شعراء الفرنسيين المتحررين بباريس ، فعشق اللهو ، وأحبّ الحياة ، وألف الدّعابة ، وكان أصدقاؤه يحاربون به الغمّ في المقهى ، ويطردون به الحزن في الملهى ، وكانت مجالسهم معه تفيض بالسرور والنكتة ، حتى لكأنه أشعةٌ تبدّد ظلمات النفس ، وريحٌ تعصف بالكدر . والذين يعرفونه يروون له النكت الغريبة

وقد وقعت له في صفوف العامة أو قصور الملوك أو بيوت الوزراء أو دوائر الحكومة والصحافة ، في مختلف العواصم العربية ، فقد عُرف الرجل بالضحك الساخر ، والاستخفاف النادر ، والكلم السافر ، وعاش أبداً في شباب العمر ، يضحك قلبه ويبهج لسانه ، لا يعرف من فصول الحياة إلا الربيع ، ومفاتن الربيع ! سادتي ،

لعلكم معي في أن المدرسة والبيت والرحلة تعاونت في أدب معروف الأرناؤط وبدت واضحة في كتبه ، فقد نشأ في عُباب الدعوة للعروبة في بيروت ، وعاش في ريف العاصمة العثمانية على مشاهد فاتنــة مبدعة تضطرب بين الحروب والحب والجمال والايمان ، فعاد القهقرى بذكرياته الى هؤلاء الأجداد الذين أخضعوا الشرق وبلغوا البحر الأسود ومُلك كسرى .

وانكسر العثمانيون فاحتضنت دمشق ملكاً عربياً ، ونصرت عاهلاً قرشياً ، وطمحت الى مكانها القديم من مجد الخلافة حين كانت ترسل الإشعاع والأمان الى ربوع نائية بعيدة . فاجتمعت كلمة الدعاة الى العروبة في دمشق ، وتقاطر اليها مَنْ يسير وراء الصولجان ويمشي خلف السلطان ، وفيهم هذا الشاب معروف الأرناؤط ؛ فقد أعلن بلسانه ذات يوم أن البيت الهاشمي امتداد لقريش ، وأن ربوع دمشق ظلّ للغساسنة والأمويين ، فآثر أن يعيش في ظل الأمجاد كما يقول ، وأن يربق قلمه في مفاخر الأجداد كما يردّد ، فسكب روحه في حبّ دمشق ، وسالت نفسه شعراً حين تحدّث عنها قائلاً :

«أي دمشق ، لقد قرأتُ تاريخكِ الماضي ، وأصغيتُ وأنا اتحدثُ الى حُماته ورُعاته إلى خفق ألويتك واهتزاز راياتك ؛ ثم رأيتك تجتازين البحارَ والخلجان والمدن الكبيرة عظيمة كالشمس قوية كالخلود ، ثم رأيتك تتخلين عن البحار والخلجان والمدن لتعيشي في جنانك فما استهواني من هذه الصور المتنافرة غير آلامك وغير جراحاتك ، فأنتِ على ما بك من الألم أشدّ فتوناً من كلّ

مدن العالم وذلك لأن روحك لم تهرم ، فهي لا تزال فتية كأنهـا ولدت ليلة أمس » .

لذلك طلّق الأرناؤط بيروت الى غير رجعة ، وسكن دمشق أبد العمر فقطن في قلب المدينة بسوق الحميدية ، وراح يعمل في الصحافة ، فأنشأ مع عثمان قاسم ورشدي ملحس جريدة الاستقلال العربي سنة ١٩١٨ ، فعاشت شهوراً ولقيت حتفها ، ثم أنشأ مجلة العلم العربي للأدب والشعر عام ١٩١٩ ، وانصرف بعدها الى جريدة جديدة بدأ بها في سنة ١٩٢٠ ، وظل يعمل لها طول حياته .

وفي مكتب الجريدة المتواضع ، أو خضم المقهى بين النرد والدخان كان الكاتب يقضي نهره ولياليه ليظهرها على الناس في أسلوب عربي تحمل في غرتها الشعر الرائع والمقالة الضخمة لأدباء العراق أو كتاب مصر والشام أو شعراء الغوطة والنيل ، فتقع فيها على أسماء الأعلام المعاصرين ؛ وفيهم : العقاد والمازني وهيكل ودياب ، وشوقي ومطران والعجلاني وشكيب أرسلان وشفيق جبري ، ذلك لأن صاحبها يرى الرأي للأدب قبل السياسة والاجتماع ، فكانت وحدها بين الصحف تحمل طابع المجلة الأدبية والجريدة السياسية جميعاً .

وكانت هذه الصحيفة خلال ثلاثين عاماً موضع همه ومسرح قلمه ينصرف إليها ويصرفها ، ثم ينصرف عنها لتحبير كتبه وانشاء قصصه التاريخية . وكان الى اهتمامه بقلمه يلتفت الى أولاده الثلاثة فهم خليفته في الأرض وامتداده في الدنيا ، وفيما عدا ذلك كان يقضي ساعاته مع الكتب العربية والغربية لا تفارقه ولا يفارقها يقرأ ويقرأ ثم يكتب وينشئ في كل مكان ولكل مجلس حتى أخرج ملحمته الكبرى ـ كما كان يحب أن يسميها ـ وهي تتكون من أربعة كتب : سيد قريش ، عمر بن الخطاب ، طارق بن زياد ، فاطمة البتول . وقد أظهر بين يديها مسرحية عن الأندلس عنوانها (ابو عبد الله الصغير) جعلها للتمثيل المدرسي ، وطبعتها المدرسة الفاروقية بحلب سنة ١٩٢٩ .

وهذه الكتب الأربعة تمثل جهد الكاتب الفنائي والقاص الابتداعيّ ، وهي التي أفردته بين الكتاب لزمانه وجعلت له أسلوباً خاصاً ومكاناً حسناً في خيالها وأسلوبها وفي موقعها من الأدب والقصة التاريخية .

وهذه الكتب من طراز متنق تحوم كلها حول التاريخ العربيّ خلال عصوره الزاهية الأولى ، صوّرها الرجل في قالب القصة ، فرسم فيها المدن والجبال والأودية على تقلب العصور وفي مختلف الألوان والأخيلة الأدبية ، يريد أن يقرّب البعيد وأن يلوّن القريب ، لعل القارئ يلمس العرب على أربعة عشر قرناً بيديه ويسمعُ حديثهم الرفيع أو كلامهم العاديّ .

ويتخطى « معروف » الى هـذا كله قراءاته المتعددة من كتب المستشرقين ومصادر العرب الأقدمين ، يريد أن يوطئ أكنافها ويذلل اختلافها ، فيسهل ويلين حتى يجتذب القارئ أغوار الفكرة وأعماق الفلسفة ، فهو يؤثر الراحة والبساطة وقرب الآفاق ، فيوفق حيناً في القصة ، ويُخفق حيناً .

وهو يدور في كتبه هذه على إكبار العربيّ ، والتغني بحضارته ومدنيته وحرّيته ، فيرى في قصوره نعمى الحياة ترقص نشوى ، وأغاني المجد تهتز سكرى ، لا تنقصه الا صرخة الوحدة ، واجتماع القريب الى القريب ، فلما جاء سيد قريش حقق الأماني وعزّز الرابطة فانتفضت امبراطورية مريضة ، وكُتبت أمجاد خالدة على صفحة الشام وجنبات العراق ومصر وافريقية ، جعلها المؤلف مراتع أبطاله ومواطن رواياته ، فعطّر هذه المرابع وكسا التاريخ بثياب القصة .

وقد طوى (الأرناؤط) في سبيل ذلك عشر سنين كانت تآليفه فيها على تفاعل متصل وولادة متتابعة . فقد أظهر سيد قريش سنة ١٩٢٩ ، وهي في ثلاثة أجزاء عرّج فيها على الشام قبل الميلاد فرسم عيشها ونحت قصورها ، وصوّر العشق فيها والغزل ، ونقل الينا ما وقع بين العرب من حديث وما جرى لهم من معارك ، وعني بالشعراء الذين توافدوا على الغساسنة أو الذين اجتازوا

بالشام الى قيصر ، فكتب في حسان بن ثابت وزيارته مع أبي سفيان وأمية ابن أبي الصلت ، ثم قصّ علينا حكاية امرئ القيس ورحلته الى القسطنطينية وسفر ابنته اليها في سبيل الإرث والانتقام . فوصف الطرقات والقصور ، وسرد قصص الهوى والغزل ، وأحصى دقات القلوب وتلفت الأجياد وهمس العيون ، واتخذ سبيله الى التاريخ الأدبي حيناً ينقل عنه ، وحيناً الى الاختراع القصصي يستوحي منه ، وكتب خلال هذه الأجزاء الثلاثة سيرة النبي الكريم وما كان من علائم بعثه ورسالته ، وما نُقل في التاريخ من أحاديث الرهبان .

وفي الكتاب صور نقلها الأرناؤط ، عن مشاهداته كما رآها بنفسه فرسم القسطنطينية وكنائسها القديمة ورسم حوران ودمشق ، وفيه كذلك عرض لمصادر التاريخ والأدب نقل منها جميعاً ، ووازن بينها جميعاً ، فتراه حيناً يترجم عن دوسو ونولدكه وبرسقال وهوار وسديو ، وحيناً ينقل عن أبي الفداء وابن الاثير والطبري وكتب السيرة والأغاني والعقد الفريد وكتب الطبقات .

ثم أصدر كتابه «عمر بن الخطاب» سنة ١٩٣٦ في جزءين اثنين ، أولها ليالي شاعر ، والثاني فرسان سيد قريش وأعلن عن الثالث والرابع ولكنهما لم يصدرا . وقد زار الرجل العراق وتعرّف الى الأماكن التي كانت ميداناً للصراع في سبيل الحرية بين الفرس وعرب العراق بعد أن زار سهول الأردن وجبال فلسطين ، وتوغّل في صحارى سيناء وأشرف على طلول النبّط في مناوز سلّع لكتابة الجزءين الأولين . وخرج من ذلك بوصف تدمر وبُصرى ومدن شرقي الأردن وفلسطين . ورسم حب شاعر لفتاته ، وطفولةَ ابن الخطاب وموقعة مؤتة ، واستعان بأساليب اليونان والفرنسيين في الحديث عن الحب وفي قصائد الغزل ، فبلغ الأجواء العالمية في الأدب .

وفي سنة ١٩٤١ أصدر كتابه « طارق بن زياد » وصوّر فيه افريقية والأندلس والعرب والبربر والحب والجمال ، وأراق من هذه الخمور على أفواه

الأبطال ما يسكر ، وجعل من هذه الملحمة الأموية لوحة خالدة لجهاد العرب في سبيل العقيدة والايمان والإخاء والاتحاد ، وانتقم من الكتاب الأجانب فأصلح ما أفسدوا من حب بين مغيث الأموي وفلوريندا الاسبانية .

وفي سنة ١٩٤٢ أظهر كتابه « فاطمة البتول » تحدث فيه عن يزيد بن معاوية وموقف الحجاز من البيعة ، ونضال العراق في جانب الحسين السبط ابن فاطمة البتول ، وقد خلف لنا لوحات بارعة عن الأسرة والأم والولد ، تصف لنا الحنين والحب والجزع والوداع الى لوحاته في القتال بين جيش الحسين وجيش شمر بن ذي الجوشن ، وما كان من ضحايا في الحرب وبشاعة في القتل ، ووحشية في التنكيل .

سادتي ،

هذه هي بعض الموضوعات التي طرقها في كتبه قد تقع على مثلها في كتب غربية وشرقية تسدد الهدف وتبلغ الغاية وترضي التاريخ ، ولكنها لن تبلغ من نفوسنا ما تبلغ كتب الأرناؤط ، ذلك لأن الرجل يمتاز بأسلوبه الفذ ، فهو يكتب على الورق كما ينسكب الربيع على الطبيعة فيورق ويزهر ويعطر ويسخر ، ويضحك ويبتسم ويغني وينشد ، وتشرق من خلال ذلك ألوان زاهية وأنوار مشرقة ، فتقع على حلو اللفظ وضاحك المعنى وعاطر الصورة ومجنح الخيال ، تتسابق الألفاظ المدوية ، والعبارات الضخمة ، والكلمات المختارة ، بين السطور ، كما تستبق الفتيات الى عرس فتزغرد وتصفق وترقص وتنتشي وتسكر ، ثم تخلف هذه الموسيقا التي تبدو للسامع عنيفة حيناً هادئة حيناً آخر كالطبيعة نفسها ، أو كالموصوفات عينها ، يصف المعركة فتسمع القعقعة والدوي ، ويرسم الليل الساجي فترى الأشباح تسبح في الظلام ، ويصور المحبين فتحس الثغور والصدور والقدود تلتقي وتنفصل ، كأن عصا سحرية قد حركت المشهد وقادت المنظر ، فاتصل سحر السماء بالحديث ، وانتقل عطر الزهر الى المرأة ، وحملت الملائكة الى المحبوب فضائل الرجال وخصال الأبطال .

كلّ ذلك في كلمات جُمعت للكاتب وجُعلت طوع يديه ، يصففها ويرصفها لتحلّ في المحل المناسب ، وتقع في الموقع الرضيّ ، فلا تكاد تنبو لفظة إلاّ في القليل ؛ فكأنه يقول الشعر من غير قواف ، أو كأنه يرصف الدرّ في السطور من غير أن تحسّ له تصنعاً كثيراً أو تكلفاً ممجوجاً . والغريب أنك لا ترى عليه آثار التعب والارهاق فهو يكتب الصفحات كما يكتب السطور ، يسيل قلمه بالكتب هداراً كالشلال يُرغي ويزبد عند مسقطه ، فاذا سار صفا وسكن ، وتقلبت على وجهه صور السماء وظلال الأحياء ، ولذلك كتب فنال في الأدباء مرتبة الكاتب المحلّق والأديب المترسل ، وقد امتدحه لذلك شاعر القطرين خليل مطران ، وقال فيه العالم الأديب الدكتور منير العجلاني يصف « روعة إنشائه المشحون بالعطر والصدى واللون » ، وكتب فيه صفيّه الأستاذ الكبير شفيق جبري عميد الأدب في الشام يرمم ذكرى ثلاثين عاماً معه يقول فيها : « كان يحبُّ في فنه الألفاظ الحلوة المرحة الضاحكة ، ويحرص على هذا الشكل من اللغة ، وما أعرف كاتباً اجتمع له من حلاوة الألفاظ ومرح اللغة وبشاشتها ما اجتمع لمعروف الأرناؤط » .

وهل تريدون مني شهادة بالأسلوب ورأياً في الطريقة وبياناً لهذه العبقرية بعد بيان العميد وشهادة الشاعر والعالم الأديب !! . .

سادتي ،

عرضتُ طويلاً لهذه الكتب وحللتها في خطوط كبيرة لأبرهن أن الرجل كان أبداً في تطور مستمر وتقدُّم دائم في انتاجه ، وقد اكتفيتم من هذا الروض الجميل ببرعم واحد هو « سيد قريش » فمنحتم صاحبه لأجله سنة ١٩٣٠ مكاناً بينكم في المجمع ، وكسوتموه بذلك جناحي لقب كان يطير به في آفاق العربية منزهواً معتزاً .

ولقد رأيتم أنكم كسبتم جندياً في صفوفكم ، ناضل في العربية الفصحى حتى وقع في الجزالة ، وعمل للتاريخ القومي حتى أدى الرسالة ، وظلّ يحلّق ويحلّق حتى كان في الخالدين ، فسلك سبيل الكتاب العالميين وعرف ذلك لنفسه فقال أثناء خطبة له في بغداد يشرح فنه وأدبه :

« وإنما أنا كاتب قصة يصانع ذوق عصره كما يقول بعض الناس ؛ ورائد أموات كما يقول بعض ؛ أدخل الى المقابر وأشقّ الحجر الصالد ، وأزيح التراب الغامر ، وأبحثُ عن أولئك الذين طواهم ليلُ الموت في غسقه حتى اذا أطللتُ على الرُّفات الطحين ، رأيتُ بعينيَّ المضيئتين المتحركتين الى عينيه السادرتين ، وفتشتُ في صورته عن الطيف الذي أحبه فتسرقتُ صوته ، وسكرتُ من لحونه ، أو تقصصتُ أثره ، واستوقفته وتحدثتُ اليه بلغة يعانها الأحياء من الناس ، وتنبو عنها أذواقهم ولا تسيغها أفهامهم ، ذلك الطيف الهالك هو الماضي ، ولستم بتاركيه ، فانه الجسر الذي جازته قوافل أبنائنا في ذات نهار ، فلعلنا لا نعجز عن اجتيازه ، ونحن نشق الطريق الى ذلك الغامض المظلم ، الذي يسمونه المستقبل .

هذا هو فني وذلكم أدبي ، ومن عناصره : الحزن والألم ، والمجد والشهرة ، والحب والحرب ، والشعر والزهر ، والنغم الماتع » .

وهذا تحليل طيب لما وصل اليه الكاتب في فنه ، فقد بلغ منزلة في القصة التاريخية تعلّق بها قبله جرجي زيدان في رواياته التاريخية ، وحلّق فيهما بعده الدكتور طه حسين في كتابه على هامش السيرة . ولو أتيح للرجل تفرّغ لزادنا روعةً وجمالاً ، بل لو أتيحت له حياة مديدة لزادنا كتباً وآثاراً كانت في جعبته وراء خياله ، فقد قال في صدر كتابه عمر بن الخطاب : « لئن بقي في الأمل طول ، وفي الأجل فسحة ، فسأكتب كثيراً ، وأصوّر كثيراً ، وأغني كثيراً » ، وقال بعدها : « واني لأرجو الله أن يمدّ في أيامي ، فلعلني

أقول هذا الشيء الكثير على فمي ، ولعلني بعد هذا كله أفيء الى ظل هـذه الأرض الحادبة ، فأستريحَ اليها بجوار أمي في حفرة تندّيها السحب ، وترقّها هذه الأزهار التي جمعتها في أسفاري من سيناء ومكة ومن بوادي الشام والعراق ؛ ورحم الله أمي ، فلقد حسرَتْ عن بصري ، وأرتني دنيا محمد رسول الله ودنيا صحبه ، ووهبتْ لي مجد هذا اليوم الذي أنا فيه» .

ولكنْ هذا العمر كان قصيراً ، وهذا الأجل كان مبتوراً ، فقد توفاه الله في الساعة الثانية من صباح الجمعة في ٣٠ كانون الثاني سنة ١٩٤٨ عن عمر لم يتجاوز الخامسة والخمسين ، فرقد من دمشق التي أحبها بمقبرة الباب الصغير ، بعد أن عمل على أرضها ثلاثين عاماً ، فكأننا نحتفل اليوم بمرور ستّ سنوات تماماً على وفاته ، أو كأننا نؤبنه ونرثيه بأحسن فضائله وخير ما فيه .

* * *

سيدي معالي الرئيس ،

سادتي حضرات الأعضاء ،

هذه صورة لحياة سلفي أرادها التقليد المجمعي ، فوضعني في تجربة دقيقة ، لأني رأيتُ الرجل مرةً واحدةً لم ألقه بعدها أبداً ، فرحت أقرأ على أوراقه ، وكتبه ، وصحفه ، ومقالات أحبائه ، وتناولت آثاره كما أتناول علماً من الأعلام مرّت عليه القرون وانقضت عليه الأجيال ، فكم أتمنى أن أبرأ من الخطأ في تحليل حياته ، والحكم على شخصيته وأخلاقه .

ولعلّ كثيرين منكم يبتسمون لهذه الأحكام وهذا التحليل فأنتم تعرفون أكثر مني ما كان عليه من عيش خاص ونكت سائرة ، ولكنّ هـذا كله لا يغير من الخطوط الرئيسية التي رسمتها في تحفظ وبنيتها على نصوص وشواهد من أقواله . والميت قد يبعث في الأفواه أحكاماً غريبة كما يقول ڤاليري ، وقد يحرّك الأحقاد القديمة والأشياء التافهة مما يعلق بحياة أيّ كائن من الناس

في محيط ضيق كالذي عاش فيه الأرناؤط . ولكنّ اللّغط يزول ويبقى السحر الحلال ، وفي التراب كثير من مواد حقيرة ، لكنّ فيه الذهب والجوهر .

وسواء أوقفتُ عند الجوهر أم وقعت على العرض ، فأنا أدرس المؤلف بلسان الأجيال المقبلة وقد خلف لها كتباً كبيرة وصغيرة ، ومقالات ، وترجمات ، الى جريدة عاشت ثلاثين عاماً ، في بيان متدفق وأسلوب جميل ، فماذا يقولون فيه اذا قسموا أيام العمر على عداد السطور التي كتبت خلال خمسة وخمسين عاماً ؟! أظن انهم سيقولون فيه : إنه ما فتر عن الكتابة ولا وهنَ عن القراءة ، ينظر بعينين نافذتين ويقرأ في لغتين غنيتين ، ويستفيد من أدبين واسعين على خلاف أقرانه وزملائه . اللهم إنهم سيحمدون له العصامية ويشكرون له الصبر والدأب ، ويذكرون له براعة الأسلوب وسيجدون فيه خلفاً لخير سلف .

ولعلهم سينحنون أمام روحه كما نحني اليوم أمام هذه الأرواح التي خلدت أمجادنا الأدبية وصنعت عبقريتنا الثقافية ، وسيتلفتون اليه كما نتلفت اليوم الى الأجداد كلما عضنا الزمان وافتقرنا الى المفاخر ، فليس إكبار الآباء من وثنية الأدب وانما هو من واجب الحضارة يُبنى فيها الطارف على التليد والجديد على القديم ، ومجمعكم وقف نفسه على احترام التراث . فسعى الى جلاء القديم في ثوب جديد اظهاراً للمجد الموروث والعز المكتسب ، وحثاً للهمم الشابة على القدوة الحسنة . ولهذا كان مجمعكم المعقلَ الفذ للدفاع عن لغتنا وتاريخنا ، والحصن المنيع للحفاظ على آثارنا ؛ قضى كثير في سبيل رضاه ، وقضى كثير قبل أن يبلغ منه مناه ، ولهذا كانت تفضلكم بانتخابي عضواً بينكم شرفاً عظيماً لي ، لأكون في سدَنة هذا البيت وفي العاملين لحمل أعبائه الكبيرة على أسس من الصبر في العلم ، والجهاد في البحث ، والاخلاص للهدف ، فأشكركم خالص الشكر لهذا التشجيع وأدعو الله أن يبارك في عملكم وأن يأخذ بأيدينا الى النجاح وأن يحقق بأعمالنا أمل الوطن واللغة والأدب ، والسلام عليكم .

الدكتور سامي الدهان

كلمة الأمير جعفر الحسني (١)

زميلنا الكريم ،

عهد إليّ مجمعنا العلمي الردّ على كلمتك الرقيقة التي أودعتها عاطر الثناء على هذه المؤسسة العلمية الفتية التي دعتك اليها وعلى ما وجهته من شكر الى أعضائها لضمك الى عداد أسرتهم .

لا يتمّ عزاؤنا يا صديقي العزيز بفقد أي زميل الا اذا عوّضنا عنه بخلف مثله أو خير منه يحيي بيننا ذكراه ويواصل مسعاه ، فكنت أيها الزميل الكريم خير خلف لفقيدنا معروف الأرناؤط تغمده الله برحمته ، وقد وفيته بحثك حقه وأديت نحوه واجب الزمالة ، وكان لحديثك عنه أطيب الأثر في نفوسنا فجزاك الله عنه وعنا خير الجزاء .

ان من عرف الفقيد بالأمس وعرفك اليوم يجد فيك كثيراً من مزايا المرحوم وفضائله العلمية والغيرة على ماضي الثقافة العربية ، فقد اتحدتما في الغاية وان اختلفتما في النهج وكلاكما بحاثة وكلاكما جوال في آفاق أمجادنا الغابرة ، فأنت تعمل لإحياء نفائس تراثنا الدفين في خزائن الكتب ، وكان الفقيد ينبش من ثنايا الكتب مفاخر تاريخ العرب المجهولة فيصوغ من حوادثها ووقائعها بأسلوبه البليغ وخياله المبدع قصصاً يبعثها في دنيا العرب عبرةً وذكرى . فأديتما لوطنكما بعمليكما أجل خدمة علمية وقومية ، وأي غاية أنبل من وصل حاضرنا المكلوم بحقيقة ماضينا وعزته .

سادتي ،

يتعذّر على المرء مهما سمت مداركه وعظمت مواهبه أن ينطلق في عمله من

---

(١) ألقاها في الجلسة التي عقدت لاستقبال الدكتور سامي الدهان .

العدم ، بل هو يحتاج كأي صانع بسيط لعدة ومادة ، وعدة المشتغل بالعلم هو ذاك التراث الذي خلفه لنا السلف لننتفع به في يومنا وغدنا ٠

ان من الجحود أن نزهد بماضينا وأن لا نتطلع الا الى حاضرنا ومستقبلنا وأن نعرض عن حقائق الماضي ونعلق مصيرنا بأوهام المستقبل ٠ ان المستقبل يا سادتي ليس هو من صنعنا ولا يأتينا بشيء ولا يمنحنا شيئاً من عنده بل يتطلب منا في بنائه كل شيء ، ولولا نفحة الحياة التي نستمدها من معين تراثنا الذي تمثلـه نفوسنا وكينته ظروفنا لما وجدنا من واقعنا ما نغذي به مستقبلنا لأن فاقد الشيء لا يعطيه ، فمن الاثم إذن أن ننتقص قدر ماضينا ونعمل على هدمه بأيدينا ، وأن نصانع القائلين بأن التغني بالماضي والحرص على احيائه حركة رجعية يجدر التحرر منها ، وشر ما بذرته الشعوبية في نفوس فئة من أبنائنا هي فكرة الفصل بين غابر أمتنا وحاضرها لإخماد نور هذا النبراس الذي نتلمس على ضوئه إحكام بناء مستقبلنا ومشاكلنا ٠ لقد أجمع العالم بأنه لا يوجد أي منافضة بين الماضي والمستقبل ولا يمكن عزل بعضها عن بعض ، فالحاضر هو امتداد الماضي كما ان المستقبل هو وليد الحاضر ، وليس الماضي وهماً وخيالاً بل هو على اتصال وثيق بالحاضر ، والشعوب الناهضة هي التي تحيي دائماً بروح تاريخها ، وتاريخ الأمة هو وحدة لا تتجزأ كما ان الطبيعة البشرية لا تتبدل في فضائلها ونقائصها ، وحوادث التاريخ حافلة بشواهد ما انطوت عليه غريزة الانسان من خير وشر ٠

سادتي ،

ان كانت الظروف لا تتكرر والأحداث لا تتشابه فان عواملها عند الانسان لا تتبدل ، ونتائجها واحدة في كل زمان ومكان وقد أسفر عنها بعد تجارب طويلة وضع قوانين تاريخية هامة وتقرير قواعد اجتماعية يصعب علينا التنكر لها وخرق حرمتها دون أن نعرض مجتمعنا الى التصدع والانهيار ، ولا يمكن توحيد مثلنا العليا والالتفاف حولها وتوجيهها كما يفرضه علينا اخلاصنا

لوطننا ورغبتنا الصادقة في اعلاء كلمته الا بمعرفة ماضينا من جميع نواحيه وعندها نستطيع تقدير عزيمة السلف والاعتزاز بما حققوه من جلائل الأمور بوسائلهم الضعيفة وامكانياتهم المحدودة وقتئذ ، فمن العجز ان لا تقتفي أثرهم ولا نعمل عملهم والوسائل عندنا اليوم متوفرة والامكانيات جاهزة والعزائم ان شاء الله صادقة ٠

إن أبرز ما يتحلى به زميلنا الجديد الى جانب ثقافته الغربية هو هذا الايمان ، الايمان بعظمة ماضينا والاعتزاز بثقافتنا العربية ، ولذلك رأيناه يتحول عن التأليف الى البحث عن المخطوطات العربية القديمة والتنقيب في خزائن كتب الغرب والشرق يحصي نفائسها ، ودأب على تحقيق أنفسها ونشرها خدمة للعلم ووفاء لمؤلفيها ٠ ولا نستغرب منه هذا الاتجاه الذي ارتضاه لنفسه وفضله على سواه وهو من تلاميذ بقية السلف الصالح الشيخ بدر الدين النعساني والشيخ راغب الطباخ من أعضاء مجمعنا رحمهما الله ، وهما كما تعلمون من أوسع الناس اطلاعاً على تراث السلف وأشدهم غيرة على بعثه ، ولا أريد أن أتوسع بالكلام عن زميلنا الجديد إذ ليس هو بغريب عنا فقد عرفناه جميعنا عاملاً مجداً واطلعنا على انتاجه العلمي الخصب ، وسيرة المرء آثاره ، وآثار زميلنا تغني عن التعريف ، وكان رئيسنا مؤسس هذا المجمع رحمه الله من المعجبين بزميلنا الجديد ومقدراً جهوده ونشاطه العلمي ومتمنياً ضمه الينا وقد جاء انتخابنا له محققاً لرغبة الفقيد ووفاء لأمنيته ٠ وكان أستاذنا رحمه الله يعتمد الشباب ويعقد عليهم الآمال الجسام ، وكان يحب شباب العمر وشباب العقل والقلب ، وهو الذي عرف كيف يهزم الشيخوخة ويتغلب عليها في جميع أدوار حياته ، ولم تجد لروحه ونشاطه سبيلاً ٠ وقد جمع ولله الحمد زميلنا همة الشباب وحكمة الشيوخ ٠

إني أيها الزميل الكريم أرحب بك باسم مجمعنا العلمي العربي أجمل الترحيب ، وإنك حللت بين زملاء لك عرفوك فقدروك حقق الله آمالنا فيك ، ووفقك الله في رسالتك ونفع بعلمك بلادك ٠

جعفر الحسني



كلمة الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي(١)

سيدي الرئيس ، سادتي الزملاء ،

لا أزال أذكر منذ عام ١٩٢٢ إذ كنت طالباً في المعهد الطبي ، كلمة الرئيس الراحل طيب الله ثراه يوم قدم للترحيب بوالدي رحمه الله ، الذي نزل دمشق آنئذٍ مع رئيس دول الاتحاد بقوله لي : (سنضم الينا مسعوداً عضواً عاملاً) . بهذه الكلمة الصادرة من أعماق قلبه الطيب برهن على ما يكنه من الحب الصادق لأخي عبد الرحمن الكواكبي صديقه العزيز الذي كان يلهج بذكراه دوماً حتى لقد خصه بكلمة (الدم الطاهر) فأدى له حق الصداقة بكلمته هذه ، وحق الأخوة بضمه أخاه مسعوداً الى هذا المحفل العلمي النقيّ يومئذٍ .

ولا يزال يرنّ في أذني : الصدى الموسيقي الرخيم لبيت ختامي من كلمة قرأها عليّ والدي المرحوم ، يوم احتفى هذا المجمع العلمي بضم رئيسنا « الخليل » الجليل اليه وهو :

« قد ضممناك الينا واتخذناك خليلا »

بهذا الشعور منذ تلك اللحظة ـ يا سيدي الرئيس وسادتي الزملاء الأجلاء ـ رأيت في أفق الأمل كوكباً صغيراً ظهر وأخذ يسير ، ويطرد سيره فيرتفع حتى توسط قبة السماء .

فقصصت الرؤية على والدي فقال : يا بنيّ ، لا تقصص رؤيتك على رفقائك ، وسيكون لك إن شاء الله شأن في مجمعنا بانضمامك الى نجومه السواطع تحت قبته .

(١) القاها في الجلسة التي عقدت لاستقباله في ٢٥ شباط سنة ١٩٥٤ بعد انتخابه عضواً في المجمع العلمي العربي .

كل هذا كان حافزاً لابن صديقكم الى العمل دأباً - من درس وتنقيب ، وتأليف وتعريب ، ونقد وتصويب - على ما يوصله الى أبواب هـذا الصرح العلمي الذي توطدت أركانه وبلغ بجهود أعضائه العاملين المخلصين ، أعلى ما يبلغه محنى علي رسم لنفسه خطته المثلى ؛ ثم الى ما يؤهله يوماً لدخوله بسلام والانضواء تحت لوائه والسير مع أعضائه العظام على سنة التدرج في الرقي ، الى هدفه الأسمى : وقد جعل ربي رؤياي حقاً ، فتحققت لي بذلك - يا سادتي الكرام - أمنية طالما علات بها النفس وقد بلغتها والحمد لله ، ولا يبلغها الا ذو حظ عظيم ، يوم صدر قراركم عن قلوبكم الطيبة ، بمحض المحبة والرضى ، بضمكم إياي الى أسرتكم . و (كل من سار على الدرب وصل) .

سادتي ، لقد انتخبتم فيّ محباً للعلم واللغة فضممتموني اليكم عضواً يبدأ تطوره من اليوم بقلوبكم الحية ، في رواق هذا المجمع العلمي الذي تفخر به سورية العزيزة ، هذا المجمع الذي أسس يوم أسس ليؤدي واجباً في إحياء العربية وقد كادت تندثر تحت حكم العثمانيين ، وليصل - بجوثه واجتهاداته ونشراته - ما انقطع بين الشرق والغرب بعد تلك الحقبة من الحضارة التي حمل مشعلها العرب في عصرهم الزاهر الزاخر بالمآثر فاستضاء به الغرب حتى أصبح بتبسه منبع نور الحضارة في عصرنا هذا .

* * *

لقد جعل لي المجمع الكريم الخيار في انتخاب موضوع الكلمة التي ألقيها على مسامعكم ولقد والله (حيَّرني مذ خيَّرني) ، فمن لي (بالمختار لرد المحتار) والموضوعات التي يجمل الكلام عليها وافرة ، وأبواب الحديث عديدة ؟

هل أحدثكم عن (الكيمياء) وما كان لأجدادنا العظام (أمثال أبي بكر الرازي ، وجابر بن حيان الكوفي ، وابن سينا ، وابن رشد ، وابن الهيثم) في هذا الباب من الأعمال المجيدة التي جعلتهم بين أهل هذا العلم من الخالدين

يذكرهم الغرب بالثناء والتمجيد، والإعجاب والتقدير لأنهم كانوا حقاً بناة أسس الكيمياء بما قاموا به من بحوث استقرائية وما وضعوه من نظريات كان الغرب يعتقد أنها لم تولد إلا في زمانه هذا [1] .

أم أحدثكم عن (حجر الفلاسفة) ذلك الحجر العجيب الذي يستطيع بمجرد التلامس أن يقلب المعادن الخسيسة ذهباً خالصاً، احمر وهاجاً كان وما يزال خلاب الألباب من ملوك وصعاليك، ولعب حتى بعقول بعض العلماء أمثال (باكون، وبويل، ونيوتن)، بالرغم من اكتشاف نوعه الآخر (الذهب المائع)، الغزير الينابيع الذي تتسابق للحصول عليه والاستئثار به الشركات الطامعات لا يُشبع نهمهن ما بأيديهن منه مهما كثر؟ أم أذكر تفكهةً للمسامع سيَر رهط من المحتالين الذين اتخذوا الشعوذة لهم ديدناً، يقومون بأنواع الاحتيال لسلب أموال الناس وتحويلها الى جيوبهم ذهباً؟

أم أتكلم عن (اكسير الحياة) ـ في حياة الكيمياء ـ وأعدّد الجهود الجبارة التي يبذلها الاخصائيون الجهابذة في هذا المضمار سعياً وراء ايجاد ما فيه اطالة عمر الانسان وتخليص البشر من صولة أعدائه الجراثيم القتالة، وانقاذه من مخالب الأمراض التي تفتك به؟

أم عن أسرار (القنبلة الجوهرية أو الهدرجينية) وهي من موضوعات الساعة، يحاول الاستكثار منها للتقتيل والتدمير، بدلاً من الانشاء والتعمير من لا يخافون الله ولا يرقبون إلاًّ ولا ذمةً في صغير وكبير، ولم يقم موجدوها

(١) يقول الفيلسوف درابر الأمريكي في كلامه عن العرب وعلومهم: (تأخذنا الدهشة أحياناً عندما ننظر في كتب العرب فنجد آراءً كنا نعتقد انها لم تولد الا في زماننا كالرأي الجديد في ترقي الكائنات العضوية وتدرجها في كمال أنواعها، فان هذا الرأي كان مما يعلّمه العرب في مدارسهم وكانوا يذهبون الى أبعد مما ذهبنا اليه فكان عندهم عاماً يشمل الكائنات غير العضوية والمعادن. والأصل الذي بنيت عليه الكيمياء عندهم هو ترقي المعادن بأشكالها .. الخ).

بإيجادها إلا لهدف نبيل هو توفير الراحة والرفاه لاخوانهم (الآدميين)،
إذ ما من عالم يعمل في مختبره للبحث العلمي المجرد إلا لما فيه نفع لبني الانسان ودرء المصائب عنه على قدر الامكان مهيئاً له أسباب السعادة والعمران ولا ينتظر أجراً على بحثه أو كشفه لأنه انما يطلب العلم لذاته عن هواية ليس غير .

أم أتكلم عن (الحياة) وما يكتنف تطوراتها من أسرار أعجزت الباحثين عن مفتاحها، على ما بأيديهم من المشعل المنير، وأعني به (العنصر النظير) الذي يهديهم سواء السبيل في بحثهم العلمي الخطير ؟

أم عن المؤتمرات العلمية التي يعقدها العلماء فيما بينهم لا يفرقون بين أحد منهم قومية أو جنسية أو عنصرية - وقد أيقنوا أن الخير في هذا الاتحاد العلمي بعد أن كانوا أشتاتاً لا يرجى من عملهم أفراداً خير - ليعرضوا ثمرات أفكارهم ونتائج جهودهم، وليتداولوا الآراء في توحيد مناهج البحث والدرس ولغة التفاهم العلمية أعني المصطلحات ؟

وعلى ذكر المصطلحات العلمية وهو من أهم أغراض مجمعنا العلمي هذا، أرجو أن يتسع صدركم لكلمة لي حول هذا الموضوع :

لقد كان أمر المصطلحات، يا سادتي، مدعاة للأخذ والرد الطويلين بين فحول اللغة وفطاحل العلم، كلٌّ يتمسك برأيه لا يحيد عنه . فلا اللغويون يرضون بمس قواعد اللغة بأذى، ولا العلماء يقبلون استعمال ما يضعه اللغويون من الكلمات الغريبة المستخرجة من بطون القواميس، وهذا ما كان نصيب الكلمات العلمية التي استأثر بوضعها مجمع اللغة العربية الملكي بمصر، على ضآلة انتاجه في هذه المدة الطويلة .

سادتي، ماذا يضير اللغويين أن يلجأ العالم الى النحت والاشتقاق وفيهما من المرونة وسهولة الوصف والاضافة من الكلمة المنحوتة، ما ليس في غيرهما من الأفعال، وهما الى ذلك يملآن المجال واسعاً في ايجاد كلمات ملائمة للغرض،

ويزيلان كثيراً من الصعوبات التي تعترض المؤلف والمترجم لولاهما لبقيت دائرة المصطلحات العلمية ضيقة جداً ، خصوصاً وبعض قواعد اللغة الموضوعة ، ليس كالجبال الراسيات لا تزعزعهن الزوابع والأعاصير ؟ ولنا أسوة حسنة في المجامع العلمية الغربية . فهي تضع وتقرّ في كل يوم – نحتاً واشتقاقاً – عدداً لا يستهان به من الكلمات التي يرددها العلماء ، ويضعها المخترعون لشتى الآلات والأدوات والأجهزة في مختلف الفنون ، والمجامع العلميـة أنشئت للتيسير لا للتعسير .

ألا ترون معي ، سادتي ، الغبن اللاحق بالعربي الحديث في أحكام اللغويين القاسية ؟ لماذا يمنحون العربي القديم حق النحت والاشتقاق أو التعريب ، ويمنعون العربي الحديث أن ينهج نهجه فينحت هو أيضاً أو يشتق أو يعرّب ؟

لماذا يرضون أن يقول العربي القديم : (ماوَرْد) ، (ما زَهْر) ، (مُحبْرَم) ، (حَبْرَمَة) ، ولا يقبلون من العربي الحديث أن يقول : (مَاغَوْل) ، (مَاسَلْ) ، (مُخْزَلِد) ، (خَزْلَدَة) (١) ؟

.. لماذا يسمحون للقديم أن يقول : (بَسْمَلَة) ، (حَمْدَلَة) ، (حَوْقَلَة) ، (تَعَبْقَس) ، ولا يقول الحديث : (فَحْمَلَة) ، (بَلْمَهَة) ، (بَلْسَمَة) ، (حَلْمَهَة) ، (خَسْفَمَة) ، (تَعَبْشَم) (٢) .

يتقبلون من القديم (زُرْقُم) ، (شُبْرُم) ، بزيادة الميم في آخر الكلمة ولا يستسيغون من الحديث (تَحَلُّون) ، (تَصَفُّرُن) ، (تَحَمْضُن) ، (تَقَلْوُن) ، (تَحَثْوُن) ، (تَغَوْلُن) (٣) بزيادة النون !

هـذا من حيث النحت والاشتقاق وأما من حيث التعريب والوضع فمجال

1) hydro-alcool ; hydro-mel: oxydo-réducteur; oxydoréduction.

2) carboxylation ; déhydratation ; détoxication ; hydrolyse ; désamination; tournesoler.

3) glycémie ; cholémie ; acidose ; alcalose . hémocrinie ; alcoolémie.

الكلام أوسع ، أخشى إن أسهبت فيه بضرب الأمثال وبيان العلل أن يعتريكم الملل ، واليكم بعضًا منها : (تَأَقْلَمَ) ، (أَقْلَمَة) ، (بَرْكَنَة) ، (غَزْلَنَة) ، (عَمْذَج) ، (مَحْفَظَ) ، (تَرْفِين) (١) ، وما كان وزان فَعَلان : (رَوَذان) ، (نَوَسان) ، (مَوَجان) (٢) . وهنالك مما يمكن وضعه وزان (مَفْعَلَة — فَعُول — فَعُولِيَّة) العدد الكثير : (مَخْثَرَة) ، (مَعْرَقَة) ، (مَهْضَمَة) ، (مَسْبَتَة) — (خَلُوص) ، (لَهُوب) ، (نَفُوذ) ، (صَبُوغ) (٣) !

والقياس ، ما أوسع حدوده ! لماذا نكتفي ببضع كلمات معدودات على وزن (فَعَلَ : رَمَدَ ، كَلَبَ) فنجعل الدائرة ضيقة لا تتعدى حدودها دفتي القواميس ، ولا نحب توسيعها بالقياس كما هي عليه القواميس فنقول : (فَيَلَ ، زَرَقَ) (٤) ، — أو نكتفي بكلمتين على وزن (مَفْعُول : مَكْبُود ، مَعْثُون) فلا تقول قياسًا : (مَزْهُور ، مَسْكُور) (٥) ، — أو بكلمتين على وزن (فُعَال : جُذَام ، بُوَال) فلا تقيس به (نُهَام ، رُحَام) (٦) ؟ ألأنه لم يسمع عن العرب أكثر من هاتين الكلمتين ، أم لأنه لم يدون في المعاجم غيرهما ؟

فلماذا اتخذت المقاييس إذن ؟ أليست للقياس على الاطلاق دون قصر أو حصر ؟

ما نفع (المتر) اذا اقتصر استخدامه على ثوب الحرير ولم يعمّ أثواب القطن

---

1) acclimater (s') ; acclimatation ; dégazolinage ; échantillonner ; encapsuler.

2) mouvement de va-et-vient ; oscillation ; ondulation .

3) coagulant ; sudorifique ; digestif ; hypnotique ; extractible ; inflammable ; pérméable ; colorable.

4) éléphantiasis ; maladie bleue .

5) luétique ; diabétique.

6) polyphagie ; métrite.

والصوف والكتان ؟ وما فائدة (اللتر) اذا حصر عمله لكيل الماء ، ولم يستخدم لكيل الموائع كافةً من زيوت وأغوال وألبان ؟

سادتي ، لو أن العربي القديم بعث اليوم حياً من لحده ، وشاهد هذا التقدم العلمي الهائل بفروعه الجمة التي لم تكن في عهده ، لما تردد لحظة في وضع ما جرى عليه العربي الحديث نهجاً على ما سار عليه القديم سليقةً ، يوم كان حياً في زمنه الغابر . فاذا كان هو الجد الهمام لم يجبن عن التقدم الى الأمام ، فهل يليق بحفيده أن يجبن عن النسج على منواله وقد ورث الكثير من سليقته وخلاله ؟

بقليل من التساهل ، يا سادتي ، وبتنامي كلمات : (شاذ ، مستحيل ، ثلاثي مجرد ، ثلاثي مزيد الخ) في سبيل المصطلحات يتسع على العلماء مجال التعليم والتأليف بلغةٍ عربيةٍ مبينة وتتخلص البيئة التعليمية الحالية من لغةٍ عجيبةٍ غريبة دونها غرابةً لسان أهل بابل ، وكلنا يعلم ان قافلة العلم تسير السير الحثيث وفي كل يوم مخترعات ومكتشفات تعد بالمئات تحتاج الى مصطلحات ، ولا يمكن التغلب على هذه الصعوبة وتذليل هذه العقبة إلا بمثل هذا التساهل في وضع المصطلحات : مفردات لغة التفاهم العلمية .

* * *

سادتي ، يقضي عليّ حق الزمالة للمرحوم الدكتور جميل الخاني الذي كان من أعضاء مجمعنا العلمي أن أشيد بجهود بذلها في موضوع المصطلحات تُذكر له بالثناء والتقدير أجزل الله ثوابه عدد قطرات المداد الذي أمدّه .

لقد حمل العبء الجسيم في مهنة التعليم الشاقة في المعهد الطبي العربي (كلية الطب الآن) وكان أستاذاً للأمراض الجلدية والزهرية وأخلص فيها وهو بها ذو باع ، ولم يأل جهداً في العمل على ما فيه نفع لطلابه . ولما رأى أن تدريس مادة الطبيعة التي تبرّع بتدريسها زيادةً عن الأمراض الجلدية

والزهرية ، يتطلب أن يكون ضليعاً في الرياضيات لم يتردد لحظة إرضاء لوجدانه الطاهر ، في حضور دروس الرياضيات في السوربون بباريس رغم تقدمه بالعمر ، على جهابذة هذا العلم حتى اذا ما عاد ملىء الجعبة من تحصيله الجديد جعل يقدمها ثماراً يانعة ، الواحدة تلو الأخرى ، هدية ثمينة لطلابه فيستسيغونها ، ولبث كذلك بضع سنين قام بتدريس مادة الطبيعة خير قيام وألّف فيها جزأين باسم (القطوف الينيعة في علم الطبيعة) لا يزالان الينبوع الفياض يرده كثير من الشباب ، وفيهما الكثير من المصطلحات .

ولم يكن رحمه الله أقل اهتماماً في مصطلحات دروسه الأصلية ـ الأمراض الجلدية والزهرية ـ وهو الإخصائي الوحيد فيها يومئذ . وما بلغ سن التقاعد حتى آثر الانسحاب من التدريس ليخلو بنفسه وكتبه ومصادره تحقيقاً لرغبة كانت تجيش في نفسه الوثابة وهي إعداد (معجم طبي) بدأ به بالأمراض الجلدية ثم رأى التوسع فيه وجعله عاماً عربياً ، فكان له ذلك عملاً أضناه ، حتى وافاه الأجل المحتوم مكباً على وجهه فوق أوراقه في غرفته ، فلفظ آخر نفس من أنفاسه زفرة صعدها من صدره المكدود حسرة على جهود لم يأمل ـ لإلهام باطني ـ أن يدرك ثمارها فودعها مطبقاً عينيه ليرتاح من عناء هذا العالم الفاني الذي لا تنتهي أعباؤه ، تاركاً للجيل العتيد مجال العمل لإتمام ما وصل اليه في معجمه الفريد .

* * *

وبعد ، سادتي الزملاء الأجلاء ، هذه هي (السانحة اللغوية) ، ألقيتها على مسامعكم الآن ما توخيت بها إلا التمهيد للبناء والتركيب ، وهي فيما أحسب ، خير من الحديث عن (القنبلة الجوهرية) وما تخبؤه في جوفها من القدرة الهائلة والتي إن أطلقت لم تبق بإشعاعاتها المميتة ولم تذر ، وعما يكون منها من

الخراب والدمار ، وقانا الله ويلاتها وألهم الطامعين ، استخدامها للخير لا للشر رحمةً للبشر .

* * *

أستميحكم عذراً ، اذا شعرتم في كلماتي ومقاطعها بايقاع ليس على عذوبة الكلام المأثور أو الشعر المنثور ، وهل تنتظرون ممن قضى جل عمره بين ملاح الزئبق والرصاص ، والفضة والنحاس ، والذهب والبلاتين إلا أن تكون كلماته على الأذن معدنية الرنين ؟

هذا واسمحوا لي - سادتي الأفاضل - أن أختم هذا الوقع (الصادح Dièse) لا (الرخيم Bémol) بترديدي ختاماً على مسامعكم في معرض شكركم جميعاً ، قول الشاعر حافظ ابرهيم :

« شكرت جميل صنعكمو بدمعي ودمع العين مقياس الشعور .
لأول مرة قد ذاق جفني ، على ما ذاقه ، دمع السرور »

والسلام عليكم ورحمة الله .

الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي

كلمة الدكتور حسني سبح (١)

سيدي الرئيس ، زملائي الأكارم

إن القلب ليطفح بشراً وسروراً وأنا أقف هذه الأمسية مستقبلاً الزميل الجديد والصديق القديم وقد سمعتم ما ألقاه على مسامعكم من كلم طيب ، وإذا كان للمسك أن تنم عليه رائحته ، فقد تضوّع من قول الرصيف ما دل على ما يتحلى به من غزير علم وأدب في جانب ولهه في بناء صرح لغة الضاد العلمية على أسس متينة ، مما يجعله في غنى عن الترجمة والتعريف وأن يصبح من نوافل الكلم كل ما يقال بعده ، ولكن نظام المجمع يحتم أن يستقبل الزميل الجديد من زكاه إبان انتقائه ، أما وقد قبلت التزكية مختاراً فأصبح عليّ أن أزجّ بنفسي في هذا المأزق لزاماً .

وبعد ، فان زميلنا الجديد الدكتور صلاح الدين الكواكبي هو ربيب بيت علم وفضل ، وأحد الكواكب الساطعة في أسرة الكواكبي الحلبية ، وقد أنجبت أفذاذ الرجال الأعلام أمثال العلامة الشيخ محمد(٢) ، وعبد الرحمن الكواكبي ومسعود الكواكبي والدكتور أسعد الكواكبي من أولي العلم والفضل ممن أدوا الى الوطن أجل الخدمات . وهو ابن زميل قديم في هذا المجمع لم يسعدني الحظ بالتعرف عليه ، ولا شك ان قدامى الأعضاء يعرفونه كما عرفته دوائر القضاء الطافحة بذكراه الحسنة طيب الله ثراه ورحمه رحمةً واسعة .

وإن هذا الشبل ما عرف عنه منذ نعومة أظفاره إلا مجلياً في كل حلبة ، إذ كان أبداً الأول في جميع صفوف دراسته من ابتدائية واعدادية تجهيزية

---

(١) ألقاها في الجلسة التي عقدت لاستقبال الدكتور صلاح الدين الكواكبي .

(٢) الامام العلامة الشيخ محمد بن حسن بن احمد الكواكبي مفتي حلب الشهباء المتوفى سنة ١٠٩٦ هـ مؤلف (الفوائد السمية في شرح الفرائد السنية) في فروع الفقه الحنفي وبهامشه : (ارشاد الطالب الى منظومة الكواكب) في علم الأصول للكواكبي المذكور الجزء الأول طبعة مصر ١٣٢٢ هـ . الجزء الثاني طبعة مصر ١٣٢٤ هـ .

وعالية ، ولم ينل من الشهادات الا ما كان منها موسوماً بجملة جيد جداً أو على الأعلى على حد التعبير القديم .

وما إن أنهى آخر مراحل الدراسة في هذه البلاد بنوال درجة صيدلي من الدرجة الأولى ، حتى أبت عليه نفسه الطموح إلا المزيد من العلم ، فشد الرحال ميمماً وجهه شطر بلاد الغرب وحط عصا الترحال في باريز وعاد الى عهد التلمذة بعد أن قضى فيها ما فيه الكفاية ، وما بعده غيره الغاية كل الغاية ، وحصل على درجة الدكتوراه في الصيدلة وهي على ما أظن أول شهادة ينالها سوري متوجة بجملة جيد جداً أيضاً ، وظل في مخابر الكيمياء ومبحث السموم يعمل ويكد ويجد حتى وجد ، نعم وجد وأبدع واكتشف أمراً جالاً في بحث السموم جعل اسم صلاح الدين الكواكبي يدوّي في الأندية العلمية ، وأن يخلد في الكتب المدرسية التي تدرس هذا الفن في جانب اسم أستاذه الذي أقرّ له بفضل بحثه .

وما أن قضى لبانته حتى حنّ الى العودة الى بلاده فعاد حاملاً لواء الظفر ، ولكن أنّى له أن يجد في ذلك الحين من يقدر علم صلاح الدين الكواكبي وفضله حق قدره ، فعيّن مساعداً في المخابر ، وعوضاً من أن توسد اليه ما أهّل له من تدريس الكيمياء ، أسند اليه العمل في مخبر الجراثيم الذي ظل فيه قرابة ثماني سنوات ، وآن الأوان لترقيته الى وظيفة رئيس مخبر ، غير أن المرسوم الذي أعد لهذا الأمر لم ينفذ لأسباب ، وكان ان استدعته في تلك الآونة مديرية الصحة العراقية ، فسافر الى بغداد أستاذاً لتدريس الكيمياء الحيوية والتحليلية في كلية الصيدلة ، ثم عاد الى دمشق بعد انتهاء عقده مع حكومة العراق ، تاركاً في بلاد الرافدين أطيب الأثر ، واندمج في سلك التدريس في كلية الطب كرةً أخرى ، وأتيح له في هذه المرة أن يتدرج في المدارج العلمية حتى بلغ القمة وأصبح أستاذاً أصيلاً لكرسي الصيدلة والكيمياء اعتباراً من ١٩٤٧ .

وهو يجيد اللغتين العربية والتركية كتابةً وإنشاءً ويحسن الفرنسية ويلم بالانكليزية ، ومؤلفاته في العلوم الكيمياوية والأحيائية كثيرة تبلغ بضعة عشر ، وكلها تشهد بطول باعه وتعمقه في البحث ، ولا يكاد ينقضي عليه عام إلا ويتحف خزانة المطبوعات العربية بمصنف جديد ، ناهيك بالمقالات الكثيرة التي دبجها ونشرتها أمهات المجلات العلمية .

وله جولات موفقة في المصطلحات العلمية صنف كراسة فيها طبعت ست مرات ، واشترك مؤخراً مع الأستاذين مرشد خاطر وحمدي الخياط بنقل معجم المصطلحات الطبية للدكتور كارفيل الى العربية باذن من مؤلفه وعدد مصطلحات هذا المعجم ينيف عن ١٤٥٠٠ كلمة .

هذا ، ومن نحتفي باستقباله في هذه الجلسة ليتحلى في جانب ذلك بأكمل صفات العلماء من طيب الأحدوثة ودماثة الأخلاق وصدق وتواضع وتقوى وصلاح . والمجمع قد وُفق كل التوفيق بضمه الأستاذ الكواكبي الى عداد أعضائه العاملين وعسى أن يتمّ بصلاح الدين صلاحه ، فهنيئاً له بهذا العضو الجديد ، وهنيئاً للزميل الكريم على هذه الثقة الغالية التي هو أهل لها ، ولئن غاب عنا كوكب فلنا بالكواكبي أحسن عوض والسلام .

الدكتور حسني سبح

(بِجَل) أم (پِچَل)

لي صديق كتب لي يوماً من باريس وكان قصدها لنيل (الدكتوراه) ، يسألني من أجل صديق له طبيب افرنسي يهيئ رسالته ، عن معنى كلمة (البجل) واشتقاقها ومصدرها . وكنت أجبته بما توصلت اليه بعد التحقيق عن أمر هذه الكلمة . ومنذ مدة وأنا أجد في الصحف بين أخبارها المحلية كلمة (البجل) هذه ويستعملها أطباء الصحة والاسعاف في بلاغاتهم وتقاريرهم كأنما هي عربية الأصل .

فرأيت أن أكشف على صفحات مجلة المجمع العلمي العربي ماخفي من أمر هذه الكلمة تبياناً للحقيقة .

(بجل) ويقصد بها العامة (الداء الافرنجي أو الزهري)، مع أنها في الأصل صفة لا اسم كما سترى، شائعة الاستعمال فيما بين النهرين دجلة والفرات وبين أهل البادية . (بجل) هذه ليست عربية الأصل البتة ولا من العامي الفصيح . انما هي فارسية المنشأ . وليس لكلمة البجل العربية وما يقرب منها لفظاً من الكلمات، معنى يحمل على الحكم بأن تكون العامية الشائعة الاستعمال مأخوذة عنها محرفة .

فالبجل العربي الأصل هو : (البهتان، والافتراء)، ومن معانيه (نَعَمْ، مثل أَجَلْ)، وبجل بمعنى حسب، وبجلك بمعنى حسبك وعليه و (حسبك حيث انتهيت) . وأما كلمة (البجل) العامية فهي فارسية المنشأ وتكتب (پچل Pétchél) بالباء والجيم المثلثتين التحتيتين ومعناها بالفارسية (الانسان القذر، الملوث، المستكره المنظر، البغيض الخ .) بما يوافق معنى الكلمة الافرنسية (Haïssable) تماماً .

ومن هنا — على ما أرى — جاء استعمالها لدى العامة المتاخمين للفرس فيما بين النهرين والبادية، للمصابين بالداء الافرنجي، لما ينجم عن هذا الداء من الحالة القذرة، الملوثة التي تدعو للاستكراه والنفور من حامل هذه العلة .

والكلمة نفسها انتقلت الى التركية بالمعنى الفارسي تماماً فهي عند الترك أيضاً تطلق على (الرجل القذر، الملوث، المستكره المنظر، المستوجب النفور منه) .

واذا بحثنا عن معنى كلمة (سيفليس Syphilis) الفرنسية نجدها مأخوذة عن اليونانية (Siphlos) ومعناها (Haïssable) : (المستكره، المقيت، المستوجب النفور منه) بمعنى كلمة (بجل) الفارسية .

فلا مجال بعد هذا أن يبحث عن اشتقاق لها في اللغة العربية وان كان العامة يقولون (مبجول) للمصاب بالزهري ظناً منهم ان (بجل) اسم (مع انها في الحقيقة صفة) .

وخير منها كلمة (مَزهُور)(١) اشتقاقاً من (الزُّهَري) وهذه من (الزُّهَرَة) النجم المعروف ، وهي عندهم إلهة الحب ولأن المصاب بهذا الداء انما يصاب به من (الحب الملوث) .

هذا ما كنت كتبته الى الصديق منذ حين . وفي نشره الآن على صفحات هذه المجلة العلمية ايضاح للحقيقة وفائدة لمن يشتغل بالتأليف والترجمة .

الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي

عضو المجمع العلمي العربي

تصويب أغلاط مطبعية

وقعت في مقالة « فضل الثنائية على المعجمية » للأب مرمرجي

	صفحة	خطأ	صواب
مجلد ٢٨ جزء ٤	٥٤٢	المجميه	للمعجمية
	«	شتار	مُشتار
	٥٤٧	بك	بدء
مجلد ٢٩ جزء ١	٧٩	شمائر	ستائر
	٨٠	التنجيم	التخييم
	٨١	مفعول	معقول
	٨٢	لدغة الحية	لدغته الحية
	«	سليم	سلم
	٨٧	في جويد	في تَجرِيه

(١) وضعتها على وزن مفعول ويدل على ألم أو داء يشتكى منه في العضو. مثال (المكبود، المثون) لمن يشتكي كبده او من مثانته . فالمزهور : (للمصاب بالزهري او بالداء الافرنجي) .

ملاحظات على الجزء الرابع من المجلة

استعرتُ جزء تشرين الأول لسنة ١٩٥٣ للاطلاع على ما نشر لي أو نشر عني فانتهزت الفرصة بتصفح بعض محتوياته فبدت لي الملاحظات الآتية :

ص ٥١٦ — بيت النابغة (أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا) ..

الذي في الشواهد[1] على ما أحفظه (أمست ... وأمسى) .

٥٣١ — بيت الهذلي :

ما ان يمس الأرض إلا جانب   منه وحرف الساق طي المحمل

الذي أحفظه من ديوان الحماسة (الا منكب) والمحمل خطأ مطبعي صوابه (المحمل) .

٥٣٧ — بحث للأستاذ حسن حسني التونسي ـ جاء فيه لفظ البيت مؤنثاً في أفعاله وضمائره المتتابعة ... وسيأتي ما يكشف اللثام !

٥٣٩ — البحث نفسه ـ «وأشرف على سيرها وتعليمها حكيماً» بالنصب !

٥٥٢ — «وألفوا كتب قيمة» بغير اشارة نصب !

٥٥٨ — «ويقول ابن عبدون انه يجب على ...» . ليته نقل (المقول) بلفظه لا بمعناه فهو أليق بالبحث .

٥٧٤ — سليمان ظاهر مادة (سعن) وجدنا قريباً من المعرة في سفر لنا قبل ثلاثين عاماً امواهاً تشبه الاحساء يسمونها (السعن) .

٥٩١ — س ١٥ «أتباع الهوى» بهمزة على الألف وهي تفيد الجمع مع أن المراد المصدر لا الجمع ! ومن المؤسف أن يكون وضع الهمزة على الألف في المطبوعات العربية فوضى وفيه من اشاعة الخطأ في الضبط ما لا يخفى ! وليت

(١) والذي في ديوان النابغة (مطبعة الهلال) : أضحت خلاءً وأضحى أهلها احتملوا . (المجمع)

المجامع تعالج هذه القضية فانها خرق على اللغة يضاف الى الخروق الأخرى ...
ومنها امال الياء الأخيرة فتشتبه بالألف المقصورة .

٦٠٠ — « بدليل أنه يذكر أغلاطاً لعامة الأندلسيين مثل قولهم في الدجاجة بالفتح دجاجة بالكسر » أقول نص اللغويون على تثليث الدال [1] !

٦٠١ — « وقد توافقنا مع مؤلف الجمانة » أقول ان (توافق) من أفعال المشاركة فهو يحتاج الى فاعلين و (مؤلف) هنا أحد الفاعلين وصواب التعبير (توافقت أنا ومؤلف ...) أو (توافقنا نحن ومؤلف) أو (وقع التوافق بيني وبين مؤلف) ... الا أن إقحام (مع) في أفعال المشاركة قد فشا فشواً لا يرجى تداركه ! وهذه اللهجة من رواسب العجمة !

٦٠١ — « والطعام النيء بكسر النون . وهم ونحن نفتحها » . أقول : ونحن نكسرها على الفصيح لكن بشد الياء من دون همز .

بعده : « العقبان بضم العين والصواب كسرها » .

٦٠٢ — « كما توهمت عامة تونس كلمة بيت مؤنثة فقالوا بيت حسنة أو واسعة قياساً على بنت وأخت » ! ؟

أقول في هذا التعليل نظر ! فأهل بغداد مثلاً يؤنثون الباب وليس في آخره تاء موهمة وأهل الموصل يؤنثون الدكان والبستان والمطر ... وانما جاء الاختلاف من اختلاف الأقاليم وتأويل سكانها للألفاظ بحسب سلائقهم ولكن يجب تجنيب ذلك لغة الكتابة لا كما مر في بحث الأستاذ التونسي .

٦٠٣ — « لام (الكالئ) لام مزحلقة » أقول : الألف من تبرع المبيض أو الطابع ! وقد أجاد الأستاذ في التحليل والتوجيه .

٦٠٤ — « إذ أن السكوت » بفتح أن والصواب كسرها لتعقب (إذ) جملة لا مفرد ! بعده :

(١) على أن الفتح أفصح . (المجمع)

(اذا جاوز الاثنين سرٌ فانه يبَثُّ وتكثير الوشاة قمين)

علل الأستاذ تصحيحه هكذا : « فقوله بعده وتكثير بالجر ليس له ما يعطف عليه » .

وليسمح لي سماحته أن أعلله هكذا : « لما كان (قمين) يحتاج الى متعلق مجرور بالباء تعين كون ياء المضارعة مصحفة عن الباء الجارة .

٦٠٨ — بحث (الوحدة الاسلامية) — « وأصله أن المجتهد الخالصي قد هاله ما رأى من تنافر هذه الأمة وتناحرها ... فقدم من الكاظمية الى بغداد » بل أصله أن الخالصي قدم من ايران الى العراق بعد إقامته هناك نحو ربع قرن ...

ثم تطرق الأستاذ المعلق الى آيات عد رسمها خطأ فأقول ان لكل خطأ عدَّه نكتة ! أما (ويل للمصلين) بغير فاء فالغرض منه رمز الى مثل مشهور لا الاستشهاد بالآية !

وأما (ولا يغرنك تقلب الذين ...) فقد كانت الواو خارج القوس للعطف على ما قبلها فدخلت القوس في غفلة من المصحح ... لتوجه إليَّ سهماً !؟

وأما قوله تعالى (ومن يعتد حدود الله) بتأخير التاء فلم تقع (الجناية) في حدودي ! وقد برئت ذمتي باشارة (كذا) ولست مسؤولاً عن تصرفات غيري ...

ثم عرج الأستاذ الجليل على كتاب (الرزية في القصيدة الأزرية) فبدا رسمها بتقديم الزاي على الراء والأصل العكس ولا بأس كما قال الشاعر :

خذا درب هرشى أو قفاها فانما كلا طرفي هرشى لهن طريق !

وأما سقوط الواو من (الا تنصروه) فداء المطابع لا يقبل الفداء !

وأما (لست منهم) من دون (في شيء) فليس من الخطأ في شيء !؟

على كل نشكر العلامة البيطار على ما تلطف به .

ولقد اشتهيت التعليق على اقتراحه عقد مؤتمر ولكن خشيت أن يجمح القلم فيجري بما لا تحتمله المجلة !؟

وفي ص ٦١١ — «خلّف ديوان شعر كبير» وحقه (كبيراً) !

٦١٣ — (الشذاة) لنوع من السفن والعالق بذهني من المطالعات (شذاءة) فلتراجع[1] وأما (الاشتيام) فقد كان العلامة المغربي يحث عنه وقفيت أنا على اثره ولا أتذكر أين نشرت بحثي ؟ بان الاشتيام على ما تراءى لي كلمة مركبة من (اشت) و (يام) وأن الثانية لغة في (يم) وأن الأولى ما نعينه بالسين ... ولتراجع اللغة ... فيكون المعنى (قاعدة البحر) ثم توسّع في استعمالها ...

ص ٦١٥ — (بعض كلماتها) — أرى نفسي لا تقر اضافة بعض الى جمع منكر لأن التنكير يغني عنها ولذلك لو حذفناها لم يختل المعنى فهي فضلة !

بعده «يعزب صوابه يغرب» وما ندري المقام لنعلم أيهما الصواب ؟

٦٢٠ — «حين كتبت وألقيت» بالبناء للمجهول وهنا أثارت الهمزة شجوني كما أثارتها في أوائل البحث !

٦٢١ — القاضي الأسعد ... بن الخطير» بمهملة ثم معجمة والصواب العكس ! أما القضاء فلم أر ما يفيده في الترجمة ولعله جاء من صحبة (القاضي الفاضل) فليراجع .

٦٢٤ — (الشيني) لا أتذكر أني صادفت في مطالعتي هذا الاسم لسفينة لكن صادفت (شون) و (شواني) و (شونة) .

٦٢٥ — «والفروس وجسور ورسومها» الظاهر (والجسور) .

٦٣١ — شطر (ومتّاهم قره القرهات) اقتصر الباحث على قوله «ان في نسخة القاهرة التيرهات» وسكت عن (قره) وأرى كلتيهما بالتاء .

٦٤٣ — «في السابعة عشر من عمره» لعل التاء سقطت من الجزء الثاني !

بعده — بحث العاملي —

«مدرسة لم يطل عمرها بمقاومة الحكومة الحميدية لروحها العربية» أقول :

---

(١) جاء في التاج في مادة (شذا) ما نصه : والشذا ضرب من السفن الواحدة شذاة عن الليث ، ونقله الزجاجي في اماليه ، قال الأزهري : ولكنه ليس بعربي صحيح ، وفي المصباح : الشذاوات : سفن صغار كالزباذب الواحدة شذاوة . (المجمع)

لم يكن في العهد الحميدي روح عداء للعربية كما لم تكن روح عربية ! ؟ فلينظر سبب آخر ! !

٦٤٨ — « مفتح للسدود والمغص » بالواو وفي عبارات الأطباء بغير واو بعده أو لا يسيل قط » قط مخصوصة بالمضي في الفصيح .

٦٥٠ — « من ذلك اكتشافهم مادةً » الاكتشاف لا يتعدى ولكنه شاع ولا يرجى تداركه !

بعده — (الميوعة) لم ترد ولكنها شاعت ولعل (التميع) يغني عنها لو أشيع وللألف دخل كبير !

٦٦٥ — يثنون على الجمع لنشر (صحيفة همام بن منبه) ذات الأهمية العظيمة » ! لم يشر الباحث الى محل نشرها .

وفي آخر الصفحة « ان الامام احمد بن حنبل تدرّسها على عبد الرزاق ... » وعلي بالامام احمد (رضي الله عنه) أنه رحل الى اليمن ومكث فيه مدة طويلة للأخذ عن رجل اسمه عبد الرزاق فيما أتذكر كان يتشيع ! فليتني اطلعت عليها ...!

٦٦٨ — كالمذهب الشيعي الاثني عشري » بالياء في الجزء الأول ولا حاجة اليها لأن الاعراب جار على ياء النسبة في الجزء الثاني ثم ان نسبة المذهب الى جعفر مصطلح جديد في ما أرى والمعروف عند المتقدمين (مذهب الامامية) والله أعلم !

بعده — « وما كان هذا ليغرب عن علم الأستاذ » بالمعجمة والصواب بالمهملة والزاي كما ورد في القرآن (وما يعزب عن ربك ...) .

٦٧٠ — « الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي » كتبت على هذه الرسالة رسالة هامة نشرت في عدة حلقات وخطأت نسبتها الى المجريطي ! بل هي لإخوان الصفاء وقد نصوا عليها في رسائلهم .

٦٧٢ — (كفرتخاريم) أنا مرتاب في رسم هذه الكلمة وهي جديرة بالتحقيق والرسم على ما تستحق ..

(بغداد) محمود الملاح

فهرس الجزء الثاني من المجلد التاسع والعشرين

صفحة

التعريف والنقد

آراء وأنباء

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

١ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)

٢ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث

٣ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث

٤ — رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري: بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي

٥ — المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري: قدّم له الأستاذ خليل مردم بك

٦ — تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي: بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي

٧ — المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي المحسّن التنوخي: بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي

٨ — كتاب الأشربة لابن قتيبة: بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي

٩ — البيزرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي: بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي

١٠ — غوطة دمشق (الطبعة الثانية): تأليف الأستاذ محمد كرد علي

١١ — كنوز الأجداد: تأليف الأستاذ محمد كرد علي

١٢ — ديوان الوليد بن يزيد: جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف. جبريالي قدّم له الأستاذ خليل مردم بك

١٣ — ديوان ابن عنين: بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك

١٤ — ديوان علي بن الجهم: حققه وجمع تكملته الأستاذ خليل مردم بك

١٥ — ديوان ابن حيّوس (الجزء الأول) بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك

١٦ — 〃 〃 (الجزء الثاني) 〃 〃 〃 〃 〃

١٧ — ديوان الوأواء الدمشقي: بتحقيق الدكتور سامي الدهان

١٨ — تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (المجلدة الأولى) بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد

١٩ — فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي: بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد

٢٠ — تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني
٢١ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الأول) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني
٢٢ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الثاني) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني
٢٣ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا
٢٤ — 〃 〃 〃 〃 (الجزء الثاني) 〃 〃 〃 〃 〃
٢٥ — عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي
٢٦ — الموفي في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنغراوي الاستانبولي : شرحه وعلق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار
٢٧ — طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول: بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك. و. ستترستين.
٢٨ — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ) وضعه الدكتور يوسف العش
٢٩ — التبصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب
٣٠ — المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربعي
٣١ — تكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي
٣٢ — بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي الحلبي
(٣٠ – ٣٢: بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي)
٣٣ — الرسالة النباتية : للأمير مصطفى الشهابي
٣٤ — المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية : للدكتور أسعد الحكيم
٣٥ — الفيلسوف صدر الدين الشيرازي : أطروحة الأستاذ ابي عبد الله الزنجاني

